ترجمات

تشاك
بولانيك

نادي القتال

رواية

ترجمة: د. أحمد خالد توفيق

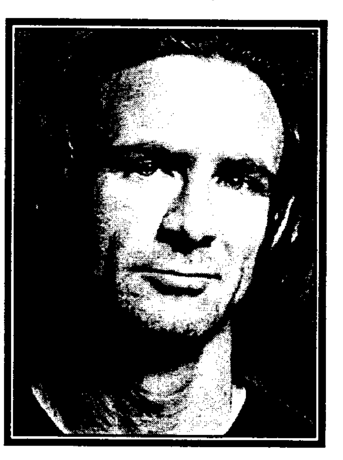
ميريت

المـــؤلف

اشتهرت قصة (نادي القتال) كثيراً في مصر عن طريق عرض الفـيلم الشـــائق الذي أخرجه (ديفيد فنشر)، ونال شعبية خاصة لدى الشباب.. وهي ظاهرة تكررت في العالم كله.

تشـــاك بولانـــيك (Chuck Palahniuk) اسم غريب لكاتب





أمريكـــي من أصل فرنسي – روسي، والمقطع الأخير من اسمه ذو أصـــول أوكرانـــية كما يقول هو. يقول إن اسميّ جديه كانا (بولا) و(نيك).. وهذه هي الطريقة التي يجب أن ينطق بها اسمه: (بولا – نيك).

يقول من عرفوا بولانيك إنه رجل هادئ لا تعتقد أبداً أنه مؤلف هـــذه الـــروايات العنيفة. إلا أن الحقيقة المفزعة التي عرفها هي أن

٨٥% مـن قراء الأدب نسوة في منتصف العمر. وقرر أن ما يريده فعلاً هو أن يكتب لمن لا يقرءون بدلاً من أن يكتب لجمهور القصة المعـتاد. لقد رغب في أن يكتب أدباً يخاطب الرجال أساساً.. نوعاً من الأدب الذكري المليء بوساوس الفحولة وشهوة الصراع.

كانـت القصـة ــ وبالتالي الفيلم ــ من أكثر الأعمال إثارة للجـدل، حتى أن ناقداً رصيناً مثل (روجر إيبرت) أطلق على عالم بولانيك مصطلح (بورنو الفتوات Macho Porn). وهو مصطلح أحـبه بولانـيك كثيراً حين سمعه. فهو بالفعل بالغ الاهتمام بالعنف والجـنس. ويـرى أن المجـتمع الأمريكي قد تعلم التسامح بالنسبة للجنس لكنه لا يغفر أبداً أن تمتدح العنف (هذا رأيه على كل حال). ناقد آخر هو (ركس ريد) قال إن الفيلم (سيجد جمهوره المناسب في جهنم)، وكان رد بولانيك إنه سيزور ريد في جهنم ولربما دعاه إلى كأس هناك.

مـنذ صـدورهما ظلـت روايـتا (نادي القتال) و(المجنون الأمريكـي) توضـعان دومـاً في قائمة الكتب التي تتجاوز ما هو معقول. إن الرواية الأولى تتحدث عن المجتمع الأمريكي الذي يتحلل ويلـتهم نفسـه لأسباب كثيرة منها تفكك الأسرة، وقد جاءت للكاتب أمهات غاضبات كثيرات لأنه يقول في روايته على لسان البطل: ما تراه اليوم هو جيل كامل من الرجال ربته أمهات وحيدات. تأمل هذه

الجملة الصادمة: "لو كنت ذكراً مسيحياً وكنت تعيش في أمريكا، فإن أبـاك هو نموذجك الأول للإله. وإذا لم تكن تعرف أباك، أو مات أو لـم تـره فـي البيت قط، فكيف يكون إيمانك بالله؟". هكذا يعترف المؤلف على لسان بطله (تايلر) بأن تفسخ الأسرة قد هز فكرة الدين ذاتها. وتأمل هذه الجملة: " نحن أبناء التاريخ الأوسطون الذين ربانا جهاز التلفزيون، وقال لنا إننا يوماً سنصير مليونيرات ونجوم سينما ونجـوم موسيقا روك، لكن هذا لن يحدث. ونحن الآن نستوعب هذه الحقيقة".

القصـة تحـوي قدراً هائلاً من التمرد والغضب والفوضوية، إلـى حد أنها تذكرنا ببعض كتابات (كروبوتكين) الفوضوي الروسي الأشـهر، وكـان في القصة وصف مفصل لطرق إعداد المتفجرات والـنابالم مـن أشياء بسيطة مثل براز القط وعصير البرتقال، وإن اضـطر الكاتب ــ آسفاً ــ إلى حجب بعض تفاصيل الوصفات كي لا يجـربها أحدهـم. هـناك الكثـير مـن الولع بالمذاقات المثيرة للاشـمئزاز، وهو تأثير مقصود بغرض (الصدمة البرجوازية). إلى حـد أن بعـض الفقرات تحتاج إلى معدة قوية حقاً. يقول بولانيك: " ناشـري يوقفنـي أحياناً عند حدي ، وغالباً ما أجده على حق. في النسـخة الأصـلية للـرواية كانوا يقومون بإخصاء رئيس البوليس. وكانت هناك ثلاجة مليئة بالخصي في منزل (بيبر ستريت)، فقال لي

الناشر: هكذا ستفقد الكثير من التعاطف .. لا تجعلهم يفعلون ذلك، لذا تراجعت والآن سرني أنني أطعته". بعد الرواية انتشرت أندية القتال في الولايات المتحدة. بولانيك نفسه يتدرب على القتال مع مصارع محترف ثلاث مرات أسبوعياً.

بطل قصة (نادي القتال) لا اسم له .. في الفيلم أسموه (جاك)، والسبب هو أن كاتب السيناريو كان بحاجة إلى أي اسم يضع أمامه سطور الحوار. فكرة القصة راودت بولانيك حين كان يعمل متطوعاً في المستشفيات، وكان يرافق المرضى إلى مجموعات العلاج، وينتظرهم حتى يعود بهم إلى المستشفى. وفي كل مرة كان يراوده شعور أصيل بالذنب لأنه الشخص الوحيد السليم بين هؤلاء. وخطرت له فكرة: ماذا لو أدعى أحدهم المرض ليجلس مع هذه المجموعات، فقط من أجل الشعور بالصدق والحرارة لدى المرضى؟. "إن الناس إذا اعتقدوا أنك تحتضر، يعطونك كامل اهتمامهم.. إذا كانت هذه هي آخر مرة يرونك فيها فإنهم يرونك حقاً.. وينسون كل شيء آخر عن دفاتر شيكاتهم وأغاني الراديو والعناية بشعرهم. إنك تظفر باهتمامهم الكامل". هذه إذن قصة عن التطهر catharsis بمعناه النفسي والأرسطوطالي.

الخيط الثاني يعود لعهد ما قبل ممارسته الكتابة، حين كان يعمل على خط تجميع في شركة شحن. ثم راح يمارس البحوث على

المركبات لتطويرها ويكتب تقارير. كان في إجازة ودخل في مشاجرة عنيفة. وحين عاد بعدها للعمل كان في أسوأ حال لكن أحداً لم يسأله عما دهاه. وخطر له إنه لو بدا مظهرك شنيعاً بما يكفي فإن بوسعك عمل أي شيء لأن أحداً لن يتدخل في شئونك. هكذا يمضي بطل القصة بفجوة مخيفة لا تلتئم في خده فيناديه كل من يقابله بـ (سيدي). كل القصة حقيقي إذن ما عدا فكرة نادي القتال نفسها.. هذا ما يقوله بولانيك.

ويقول بولانيك إنه بعد ما رأى الفيلم، وجد أن السيناريو تنبه لأشياء كثيرة، وخلق علاقات لم تخطر له ببال، حتى أنه شعر بالخجل من نفسه لأنه لم يفكر فيها من قبل.

قصة (نادي القتال) تهاجم الملكية الفردية وكل قيمة برجوازية بشراسة: "الإعلانات جعلت هؤلاء القوم يطاردون السيارات والثياب التي لا يحتاجون إليها. هناك أجيال ظلت تعمل في وظائف تكرهها فقط لتستطيع شراء أشياء لا تحتاج إليها...". بولانيك نفسه لا يعبأ بالملكية لأنها تجعل الحياة أعقد، ويقول إنه حين كان فقيراً كان يفكر طيلة الوقت في الأشياء التي سيبتاعها لو صار ثرياً.. اليوم هو ثري ولكنه فقد أية رغبة في الامتلاك.. ويقول: "أحمد الله أنني لم أملك مالاً يكفي لارتكاب الأخطاء التي كنت سأرتكبها ".

لا يعبأ تشاك بولانيك بالشهرة ولا المال كما قلنا، لكنه حريص على أن يحب الرجال كتبه، أما عن فلسفته في أدبه فيقول: "يجب أن نقبل الفوضى والأشياء التي نراها كوارث. لأننا بهذه الأشياء نتغير. يجب أن نرحب بالكارثة".

قصصه تتحرك للأمام بسرعة البرق مع منحنيات كثيرة تصيب بالدوار. هذه المنحنيات الشهيرة في قصصه تعكس بالضبط تحاشيه لكل ما لا يحبه في الكتب. كان يكره القصص التي تضيع فصلاً كاملاً في وصف برتقالة أو انتظار رجل حتى يبرد الشاي، فهو يريد أفعالاً لا صفات، على أن يترك القارئ يكمل بنفسه ما هو ناقص. "لا أحتاج لعقدة في كل فصل بل احتاج لعقدة في كل جملة". وأسلوبه في الكتابة مميز حقاً.. يبدأ الفصل بحدث لا تستطيع فهمه، وتشك في كونه قد فاتك أثناء القراءة، ثم تتوغل في القراءة فتكتمل الصورة ببطء، كأن فصوله وقصصه كلها يجب أن تقرأ من نهاياتها .. ثم إنه يمزج بين زمنين أو أكثر على نفس مستوى السياق، مع صوت عال لتدفق اللاشعور. يقول الملمون بأدبه إن هذه بالضبط سمات أسلوب (المينيماليزم Minimalism) الذي يتعامل معه بولانك كأنه يبشر بدين سري له أتباعه المخلصون. المينيماليزم أصلاً مدرسة تجريدية في الرسم والنحت، تلتزم بأقصى تبسيط ممكن في الشكل واللون الذي قد يكون أحادياً، مع غفلية الموضوع

والأسلوب معاً. ويعترف بولانك بأن معلمه (توم سبانوير) أقنعه باستخدام هذا الأسلوب الذي استقاه من كاتب آخر هو (جوردون ليش).

حاولت في الترجمة أن ألتزم حرفياً بأسلوبه هذا، خاصة مع الجمل القصيرة القاطعة والتكرار على غرار " ذهبت لألقى مدير فندق (برسمان). جلست هناك في مكتب مدير فندق (برسمان)" أو الإفراط في استعمال الزمن المضارع: "(مارلا) تشعل لفافة تبغ. (مارلا) تقول إنها مرهقة".. فضلت أن ألتزم بهذا مجازفاً بأن يفترض القارئ أن هناك خللاً معيناً في صياغتي للجمل.

تتضمن قصص بولانيك التالية (الباقي حياً) و(الوحوش الخفية) و(الاختناق) — و هي كوميديا سوداء عن مدمني الجنس — و(أغنية المهد) وقصته الأخيرة تحمل اسم (مفكرة)، أما آخر كتبه – حتى كتابة هذه الترجمة – فموضوعه وطنه بورتلاند ويحمل عنوان (هاربون ولاجئون). على أنه يمضي الوقت بين كتاب وآخر في كتابة قصص قصيرة لمجلة (بلاي بوي).

الفصل الأول

يجد لي (تايلر) عملاً كساق، وبعد هذا يزج بالمسدس في فمي قـــائلاً: "الخطوة الأولى للحياة الأبدية هي أن تموت". برغم هذا كنت و(تايلر) صديقين حميمين لفترة طويلة، وكان الناس يسألونني دوماً: هل أعرف من هو (تايلر دوردن) ؟. ماسورة المسدس تضغط على مؤخـــرة حلقـــي و(تايلر) يقول: "نحن لا نموت حقاً". بلساني أشعر بثقوب كتم الصوت التي حفرناها في الماسورة. إن أكثر الجلبة التي تحدثهـــا طلقـــة الرصاص ينتج عن انفجار الغازات، ثم ذلك الأزيز الضـــئيل الـــذي تحدثه الرصاصة لأنها تتحرك بسرعة هائلة. لكي تصـــنع كـــاتم صوت عليك أن تحدث ثقوباً في ماسورة المسدس .. ثقوبـــاً عديدة لأن هذا يجعل الغاز يخرج، ويبطئ الرصاصة إلى ما هـــو أقل من سرعة الصوت. ضع الثقوب في المكان الخطأ ولسوف ينسف المسدس رأسك.

(تايلر) يقول: " ليس هذا هو الموت حقاً.. سنصير أسطورة.. لن نشيخ ."

ألمـــس الماسورة بلساني وأقول: (تايلر).. أنت تفكر بطريقة مصاصي الدماء .. البناية التي نقف فوقها لن تكون هنا خلال عشر

دقـــائق. خذ تركيز ٩٨% من حمض النتريك وأضفه لثلاثة أضعاف الكمـــية من حمض الكبريتيك. افعل هذا في حوض ثلجي. ثم أضف الجلســـرين نقطة نقطة بقطارة .. الآن لديك النيتروجلسرين. أعرف هذا لأن (تايلر) يعرفه. اخلط الناتج بنشارة الخشب، ولسوف تحصل علـــى مـــتفجر جيد. كثير من الناس يمزجون النيترو بالقطن وملح (إبســـوم) المليـــن كمصدر للكبريتات. هذا ينجح أيضاً. بعض القوم يمزجون البارافين بالنيترو. لم ينجح البارافين معي قط .

هكـــذا أقف أنا و(تايلر) فوق بناية (باركر موريس) والمسدس محشور في فمي، ونسمع صوت زجاج يتهشم. انظر عبر الحافة .. إنـــه يـــوم غائم حتى على هذا الارتفاع. هذه أعلى بناية في العالم، وعلى هذا الارتفاع تكون الريح باردة دوماً. كل شيء هادئ، فينتابك شعور بأنك واحد من تلك القردة التي يرسلونها للفضاء. تقوم بالعمل البسيط الذي دربوها على القيام به. تجذب رافعة.. تضغط زراً.. لا تفهم أي شيء من هذا .. فقط تموت بعدها. على ارتفاع ١٩١ طابقاً .. تنظر من فوق الحافة والشارع من تحتك مبرقش ببساط من الناس يقفـــون .. يـــنظرون لأعلى. الزجاج المهشم هو نافذة تحتنا.. تنفجر نـــافذة فـــي جانب البناية، ثم تطير خزانة ملفات بحجم ثلاجة كبيرة ســـوداء.. وتســـقط لأسفل ببطء .. تصغر .. تتوارى وسط الزحام المحتشـــد. فـــي موضع ما من الـــ ١٩١ طابقاً تحتنا تركض قردة

الفضاء في لجنة الكوارث في (مشروع الأضرار) محاولة تدمير كل قصاصة من التاريخ.. إن المقولة القديمة عن أنك تقتل دوماً الشخص الذي تحبه .. حسن ..إنها تعمل بالطريقة وعكسها. بمسدس في فمك وماسورته بين أسنانك، لا يمكنك إلا أن تتكلم بحروف متحركة. هذه آخر عشر دقائق لنا ..

نافذة أخرى تنفجر في البناية ويتناثر الزجاج كأنه سرب متألق من اليمام، ثم تخرج طاولة خشبية دفعها رجال الطوارئ بوصة بعد بوصة من جانب البناية، حتى سقطت على حافتها وسط الزحام. لن تبقى بناية (باركر موريس) هنا بعد تسع دقائق. أنت تصنع كمية كافية من هلام التفجير وتطوق أعمدة الأساس لأي شيء. وبهذا يسقط أي مبنى في العالم. فقط يجب أن تحيطه بأكياس الرمال، حتى ينصب الانفجار على الأعمدة لا على ساحة انتظار السيارات حولها. طريقة الحشو هذه ليست في أي كتاب تاريخ.

ثمة ثلاث طرق لعمل النابالم: الأولى أن تخلط مقدارين متساويين من الجازولين وعصير البرتقال المركز. الثانية أن تخلط مقدارين متساويين من الجازولين مع الدايت كولا .. الثالثة أن تقلب فضلات قط مع الجازولين حتى يصير الخليط سميكاً. اسألني عن طريقة عمل غاز الأعصاب. آه !.. وكل قنابل السيارات المجنونة هذه. تسع دقائق. سوف تتهاوى بناية (باركر موريس) بطوابقها

المائة وواحد وتسعين، كأنها شجرة تهوي في غابة. وتدوي صيحة الحطابين (تيمبر).. من الغريب أن تفكر في أن المكان الذي نقف فيه سوف يصير نقطة في السماء.

المسدس في فمي . أتساءل عن مدى نظافته .. لقد نسينا كل شيء عن خطة (تايلر) للانتحار والقتل بينما نحن نرى خزانة ملفات أخرى تهوي من جانب البناية، والأدراج تنفتح فيتطاير الورق الأبيض مع الريح. ثمان دقائق.. ثم الدخان. الدخان يخرج من النوافذ المهشمة. سوف يصطدم فريق المفرقعات بالمفجر الأولي خلال ثمان دقائق . سوف يفجر المفجر الأولي المفجر الأساسي، ولسوف تدخل صورة بناية موريس باركر كل كتب التاريخ. إنه تتابع من خمس صور. هنا البناية سليمة.. الصورة الثانية تمثل البناية وقد مالت بزاوية ثمانين درجة. ثم سبعين درجة. البناية مائلة بخمس وأربعين درجة في الصورة الرابعة حين تتهاوى الهياكل.. الصورة الأخيرة ينهار فيها البرج بكل طوابقه فوق المتحف الوطني الذي هو هدف (تايلر) الحقيقي.

يقول (تايلر): "هذا هو عالمنا الآن .. عالمنا .. وهؤلاء القوم الذين ولى عهدهم قد ماتوا.. "

لو عرفت كيف سيحدث هذا، لسرني أكثر أن أكون ميتاً بدلاً من أكون في الجنة الآن. سبع دقائق.. وعلى قمة بناية باركر

موريس يضع (تايلر) مسدسه في فمي. بينما تتطاير خزانات الملفات والأوراق وأجهزة الحاسب الآلي من نوافذ البناية، والدخان يخرج من النوافذ المحطمة، وفريق المفرقعات يقف في الشارع ينظر لساعاته .. أنا اعرف هذا كله.. المسدس ..الفوضى .. إن الانفجار قريب.

(مارلا سينجر).. ست دقائق .. إن نوعاً من مثلث الحب يحيط بنا .. أنا أريد (تايلر)، و(تايلر) يريد (مارلا)، و(مارلا) تريدني أنا. أنا لا أريد (مارلا)، و(تايلر) لم يعد بحاجة لي.. ليس بعد اليوم. الأمر لا يتعلق بالحب بل يتعلق بغريزة التملك. ومن دون (مارلا) لن يمتلك (تايلر) شيئاً.

خمس دقائق.. لربما صرنا أسطورتين وربما لا. لكن .. أين سيكون المسيح اليوم لو أن أحداً لم يدون الإنجيل؟.. أربع دقائق.. أتحسس ماسورة المسدس بلساني وأقول: تريد أن تصير أسطورة ؟.. (تايلر) يا رجل .. أنا سأصنع منك أسطورة. كنت هنا منذ البداية وأتذكر كل شيء ....

ثلاث دقائق.

الفصل الثاني

كانت ذراعا (بوب) الغليظتان مطبقتين علي، فوجدت نفسي محشوراً في الظلام بين ثدييه الكبيرين الجديدين. كنا في قبو الكنيسة المليء بالرجال، حيث اعتدنا أن نلتقي كل ليلة. هذا هو (آرت) وهذا (بول) وهذا (بوب). كتفاه العملاقان ذكراني بالأفق. كان لـ (بوب) شعر أشقر كثيف كأنه غارق في عجينة كثيفة من كريم الشعر، وكان يضغط براحتي يديه على رأسي فوق الثديين الجديدين على صدره البرميلي.

يقول (بوب):

ـ "سيكون الأمر على ما يرام .. سوف تبكي الآن "

ومن ركبتي إلى جبهتي أشعر بالتفاعل الكيماوي داخل (بوب) وهو يحرق الغذاء والأكسجين....

ويرتفع كتفاه في شهيق طويل ثم يهبطان .. يهبطان .. يهبطان بزفرات مرتجفة. يرتفعان لأعلى .. يهبطان .. يهبطان.. يهبطان. لقد ظللت آتي هنا كل أسبوع لمدة عامين، وفي كل أسبوع يخنقني (بوب) بذراعيه فأبكي.

يقول (بوب):

ــ"لــربما استأصلوه مبكراً.. لربما هو مجرد سرطان خصية .. مــع سرطان الخصية تكون فرصتك في الحياة مائة في المائة.. والآن فلتبك !"

ويأخذ نفساً عميقاً ثم يشهق ويشهق.

ــ"هلم الآن .. فلتبك"

ويهبط الوجه المبتل العملاق على وجهي فأغوص داخله. هنا أبكي.. البكاء متاح في الظلمة الخانقة حين تجد نفسك داخل شخص آخر، وحين تدرك أن كل ما يمكنك تحقيقه سوف ينتهي كهراء، وكل ما كنت تفخر به سوف يطاح به. وأضيع داخل وجهه.

هذه هي الطريقة التي قابلت بها (مارلا سينجر). كان (بوب) يبكــي لأنــه مــنذ ســتة أشهر تم استئصال خصيتيه، ثم بدأ العلاج بالهــرمونات. إن لديــه ثدييــن لأن نسبة التستوستيرون أعلى من اللازم. ارفع معدل التسوستيرون ولسوف يرفع جسدك الإستروجين بحــثاً عن التوازن. هنا تبكي لأن حياتك تصير لا شيء .. ليس لا شــيء فحسب بل هو النسيان التام. الكثير من الإستروجين ولسوف يصير لك ثديا امرأة. من السهل أن تبكي حين تدرك أن كل شخص أحببــته سوف يتخلى عنك أو يموت. على المدى البعيد سوف يهبط متوســط حياة كل إنسان إلى الصفر. (بوب) يحبني لأنه يحسبني بلا خصيتين مثله.

حولــنا فــي قــبو كنيســة (الثالوث المقدس الأسقفية) هناك عشــرون رجلاً وامرأة واحدة، كلهم يقفون أزواجاً وأكثرهم يبكون. بعضــهم انحــنى للأمــام وألصــق أذنــه بــأذن رفــيقه كما يفعل المصارعون. الرجل الذي يرافق المرأة الوحيدة يضع ساعديه على كتفيها .. ساعد على كل جانب من رأسها، ووجهه الباكي مدفون في عنقها. يميل وجهها لجانب وتتناول لفافة تبغ.

أختلس لها نظرة من تحت إبط (بوب) بينما هو يصرخ:

ــ"طيلة حياتي .. لماذا أفعل أي شيء ؟.. لا أعرف"

هي المرأة الوحيدة هنا في مجموعة (الرجال الباقون معاً) .. مجموعة مساندة مرضى سرطان الخصيتين. تدخن لفافة تبغها تحت ثقــل رجل غريب ، وتتلاقى عيناها بعيني. مزيف .. مزيفة .. شعر قصــير أسود لامع. عينان كبيرتان كما يرسمونها في أفلام الرسوم المتحركة اليابانية. نحيلة تلبس ثوباً بلون مخيض اللبن، عليه أزهار داكــنة متراصــة. هــذه المرأة موجودة أيضاً في مجموعة (مساندة مرضــى الــدرن الــرئوي) التي أحضرها ليلة الجمعة. وكانت في مجموعــة (مــائدة ســرطان الجلــد الأسود) التي أحضرها مساء الأربعاء. وكانت في مجموعة المناقشة الخاصة بسرطان الدم والتي يعقدهــا (المؤمنون المخلصون). في منتصف شعرها ترى جلد فروة رأسها الأبيض اللامع.

حين ترى هذه المجموعات المساندة للمرضى، تجد أن لها أسماء غامضة طنانة. المجموعة التي أحضرها يوم الثلاثاء عن طفيليات الدم اسمها (حرر وطهر).. المجموعة التي أحضرها عن طفيليات المخ اسمها (ما فوق وما وراء).. وظهر الأحد أحضر مجموعة (الرجال الباقون معاً) في كنيسة (الثالوث المقدس الأسقفية) فأجدها هنا. الأسوأ من هذا أنني لا أستطيع البكاء وهي تراقبني. هذا هو أفضل جزء أحبه حين يمسك بي (بوب) فأبكي بلا أمل. كلنا نجهد أنفسنا بالعمل، وهذا هو المكان الوحيد الذي أسترخي فيه .. هنا إجازتي.

لقد ذهبت لأولى مجموعات مساندة المرضى منذ عامين، بعد ما قصدت طبيبي لأستشيره من جديد بشأن الأرق الذي يطاردني. ثلاثة أسابيع ولم أنم بعد. ثلاثة أسابيع بلا نوم وسوف يصير كل شيء كتجربة خروج الروح من الجسد. قال لي الطبيب:

ـ"الأرق هو مجرد عرض لشيء أكبر .. ابحث عن الشيء الخطأ.. أصغ لجسدك."

لم أكن أريد سوى النوم. أردت بعض كبسولات (أميتال الصوديوم) الزرقاء التي تحوي ٢٠٠ ملجم من المادة. أردت كبسولات (التوينال) الشبيهة بالرصاصة، أو (السيكونال) الأحمر كصبغة الشفاه. نصحني الكثير من الأطباء بمضغ التليو وممارسة

الرياضة. لو رأيت ثمرة الفاكهة الضامرة المسنة التي تحول لها وجهي لحسبتني ميتاً. قال لي الطبيب إنه لو أردت ان أرى الألم الحقيقي فعلي أن اقصد جماعة (القربان المقدس) مساء الثلاثاء، وأرى طفيليات المخ وأمراض العظام الضمورية واختلالات المخ العضوية. أرى مرضى السرطان يقاومون. لذا ذهبت هناك.

في أول مجموعة ذهبت إليها كان هناك من قدموا الآخرين لي: هذه (أليس).. هذه (برندا).. هذا (دوفر).. الكل يبتسمون مع وجود ذلك المسدس الخفي المصوب لرءوسهم. لا أقول اسمي الحقيقي في جمعيات المساعدة. هيكل عظمي صغير لامرأة اسمها (تشول) يتدلى سروالها خالياً حزيناً. قالت إن أسوأ مشكلة بالنسبة لطفيليات المخ إن أحداً لا يمارس الجنس معها. هي هنا قريبة من الموت حتى أن شركة التأمين على الحياة دفعت لها خمسة وسبعين ألفاً من الدولارات، لكن كل ما تتمناه هو أن يضاجعها أحدهم للمرة الأخيرة. ليست المودة ما تريد بل الجنس. فماذا يقول الرجل ؟.. ماذا تقول أنت ؟.. بدأ كل شيء بإرهاق بسيط .. والآن لم تعد تطيق الذهاب للحصول على العلاج. أفلام إباحية .. كانت لديها أفلام إباحية في دارها .. حكت لي أنه في عهد الثورة الفرنسية، كانت السجينات ـ الدوقات والماركيزات والبارونات ـ المحكوم عليهن بالإعدام ينمن مع أي رجل يصل إليهن. وشهقت في عنقي.

المضـــاجعة تزجـــي الوقـــت .. الفرنســـيون يطلقون عليها (الميتة الصغرى La petite mort).. (تشول) لديها أفلام إباحية لو كنت مهــتماً. أمــيل نيترات .. ومشحمات .. في المعتاد كان هذا سيؤدي لتهيجـــي، لكن (تشول) كانت هيكلاً عظمياً مغموساً في شمع أصفر. وأنـــا لا شيء .. لست حتى لا شيء .. لكن كتفيها يحتكان بي حين نجلـس في دائرة على السجادة المشعثة. نغمض عيوننا ويأتي دور (تشـــول) كـــي تقتادنا في تأمل موجه.. وتأخذنا إلى حديقة الصفاء. كانت تحكي لنا عن القصر ذي الأبواب السبعة.. داخل القصر هناك سبعة أبواب والباب أخضر والباب الأصفر. وكانت تكلمنا وهي تفتح كل باب.. الباب الأزرق .. الباب الأحمر .. الباب الأبيض ..وتبحث عمـــا هـــنالك. مغمضـــي الأعين كنا نتخيل ألمنا كرة من الضوء الأبـــيض الشـــافي يطفو حول أقدامنا ويرتفع لركبنا .. لخصورنا .. لصـــدورنا .. تنفـــتح مراكـــز التشاكرا (*) فينا .. تشاكرا القلب .. تشاكرا الرأس.. كانت (تشول) تحدثنا عن كهوف نلقى فيها حيواناتنا التـــي تمثل قوتنا .. حيواني كان البطريق. كان الثلج يغطي الكهف وقد أمرني البطريق بأن انزلق .. بلا جهد فعلنا ذلك عبر الممرات.

(*) الشاكرا من مراكز الطاقة الجسدية السبعة لدى ممارسي اليوجا

ثـــم جـــاء وقت الاحتضان. افتح عينيك .. هذا هو التلامس الجسدي كما قالت (تشول).. على كل منا أن ينتقي شريكاً.

ألقت (تشول) بنفسها حول رأسي وبكت. كان لديها مشد صدر بلا حمالات في البيت لهذا بكت. كان لديها زيت وأصفاد لهذا بكت .. بيـــنما أنا أرمق عقرب ساعتي يدور أحد عشر مرة. لهذا لم أبك فـــي أول مجموعة مساعدة أحضرها. لم أبك كذلك في المرة الثانية ولا الثالـــثة. لـــم أبك بسبب طفيليات الدم ولا سرطان القولون ولا العـــته المخي العضوي. هذا هو الحال مع الأرق .. كل شيء بعيد ..نســـخة مـــن نسخة من نسخة.. الأرق يبعدك عن كل شيء .. لا تستطيع لمس شيء ولا شيء يلمسك.

ثم ظهر (بوب). حينما ذهبت أول مرة إلى مجموعة سرطان الخصـــية، جاء إلي في مجموعة (الرجال الباقون معاً) وراح يبكي. وحين جاء وقت العناق نهض كشجرة ويداه إلى جانبيه، وقد استدار كتفاه، وذقنه على صدره، وعيناه مغلفتان بالدموع. وهو يحك قدميه بـــالأرض، ليلقـــي بثقله عليّ. لقد هبط علي هبوطاً، والتفت حولي ذراعاه القويتان. قال لي إنه كان مولعاً بالشراب. ثم الستيرويد الذي يستعملونه في سباق الخيول (ويسترول).. صالة التدريب التي يملكها .. تزوج ثلاث مرات وكان مسئولاً عن اختبار المنتجات الجديدة .. ألم أره في التلفزيون ؟.. لا ؟... كل برنامج تدريب عضلات الصدر

كـــان مـــن ابـــتكاره. إن الأشخاص الصادقين بهذا الشكل يجعلونني اشـــعر بالـــتخاذل لو كنت تفهم ما أعنيه. لم يكن (بوب) يعرف ما حـــدث له.. ربما واحدة من الـــ (هوفو) لم تنزل .. وعرف أن هذا عـــامل يمهـــد للســـرطان. أخبرنـــي عن علاج الهرمونات ما بعد الجـــراحة. أبطـــال كمـــال الأجســـام الذيـــن يـــتعاطون الكثير من التستوســـتيرون تصـــير لهـــم أثداء نساء. كان علي أن أسأله عما يقصده بلفظة (هوفو). قال لي إن معناها (الخصيتان).. (الكرتان).. (البيضـــتان).. فـــي المكسيك حيث تبتاع الهرمونات يطلقون عليهما (البيضـــتان). طلاق .. طلاق .. طلاق .. حدثني عن نفسه وأراني صورة في حافظته تظهره عارياً ضخماً في مسابقة ما.

هـــي طريقة غبية للحياة ــ كما قال ــ لكن حين يحلقون لك علـــى المنصـــة، وقد فقدت من دهن جسدك نحو ٢%، وقد تركتك مـــدرات البول بارداً صلباً كالخرسانة، يصيبك العمى من الأضواء والصمم من صدى السماعات العالية حتى يأمرك الحكم:

ــ"افـــرد العضـــلة الرباعـــية .. اثن واثبت في هذا الوضع" "افرد ذراعك اليسرى .. اثن العضلة ذات الرأسين واثبت".

هـــنا يصير الأمر أروع من الحياة الواقعية. وتنطلق بسرعة فـــي طـــريق السرطان. ثم يأتي الإفلاس. كان لديه ولدان بالغان لا يـــردان علـــى مكالماته الهاتفية. وكان علاج ثدييه الأنثويين أن يقوم

الطبيب بفتح ما تحت العضلات الصدرية ويسحب أي سائل. هذا كل مـــا أذكره لأن (بوب) كان يحيطني بذراعيه الآن، ورأسه يغطيني. هكـــذا غبت في الظلام والنسيان والصمت التام، وحين خرجت من صدره أخيراً، كان صدر قميصه صورة مبتلة لوجهي الباكي..

كـــان هـــذا لقائي الأول بمجموعة (الرجال الباقون معاً) منذ عاميـــن. وفـــي كل لقاء بعد هذا كان (بوب) يجعلني أبكي. لم أعد للطبيب قط، ولم أمضغ جذور (التليو).. كانت هذه هي الحرية.. أن تفقـــد أي أمل .. هذا هو معنى الحرية.. لو لم أتكلم كان القوم في المجموعة يفترضون الأسوأ، وينفجرون في البكاء فأبكي أكثر. أنظر للـــنجوم فوقـــك ولسوف تضيع. وأثناء عودتي لداري بعد مجموعة المســـاعدة كنت اشعر بأنني حي كما لم أشعر من قبل. لم أكن مهدداً بالســـرطان أو طفيليات الدم. كنت المركز الدافئ للعالم من حولي. وهكذا نمت.. حتى الرضع لا ينامون بهذه الراحة . في كل ليلة كنت أموت وفي الصباح أحيا .. أبعث ..

حتى هذه الليلة .. عامان من التوفيق حتى هذه الليلة، لأنني لا اقدر على البكاء بينما هذه المرأة تراقبني .. لأنني لا أستطيع أن أبلغ القاع فلا خلاص لي .. لم أنم منذ أربعة أيام .. إنها تراقبني فأشعر أنني كاذب وانها زائفة .. إنها كاذبة .. ليلة التعارف قدمنا أنفسنا: أنا

(بوب).. أنا (بول).. أنا (تيري).. أنا (ديفيد).. لكني لا أعطي اسمي الحقيقي أبداً.

سألتني:

ـ"سرطان .. أليس كذلك ؟" ـ ثم قالت ـ "حسن .. مرحباً.. أنا (مارلا سينجر)"

بعدها انشغلنا في هدهدة الطفل بداخلنا. الرجل مازال يبكي على عنقها، فتسحب نفساً آخر من لفافة تبغها. أراقبها وأنا بين ثديي (بوب).. بالنسبة لها أنا زائف.. لكني لم أستطع النوم منذ الليلة الثانية التي رأيتها فيها. أنا الزائف الأول هنا.. بالطبع ما لم يكن هؤلاء القوم يكذبون بصدد آلامهم وسعالهم وأورامهم. حتى (بوب) ذلك الوعل الكبير. (مارلا) تدخن وتشخص بعينيها الآن. في هذه اللحظة انعكس كذبها في كذبي وصار ما أراه أكاذيب وسط كل حقائق هؤلاء.. كلهم يتكلمون عن أسوأ مخاوفهم .. عن أن الموت آت لهم مباشرة، وعن أن ماسورة المسدس مضغوطة على مؤخرة حلوقهم.

لكن (مارلا) تدخن وتشخص بعينيها، وأنا مدفون تحت بساط ثقيل يبكي، وفجأة يصير الموت مساوياً للزهور البلاستيكية على شاشة الفيديو.. ليس حدثاً على الإطلاق.

أهمس:

ـ"(بوب).. أنت تهشمني. "

أحاول أن أبقي صوتي خفيضاً ثم اصرخ:

ـ"(بوب).. يجب أن اذهب إلى (الدورة).."

ثمة مرآة معلقة فوق المغطس في الحمام. لو ظلت القواعد ثابتة فلسوف ألقى (مارلا) في (ما فوق وما وراء) ومجموعة (أمراض اعتلال المخ الطفيلي).. ستكون (مارلا) هناك طبعاً، ولسوف أجلس هناك جوارها. وبعد التأمل الموجه وأبواب القصر السبعة، وكرة النور الشافية، وبعد ما نفتح التشاكرا، ويأتي دور العناق، سأمسك بالعاهرة الصغيرة. ذراعاها مضغوطتان إلى جانبيها، وشفتاي تلتصقان بأذنها .. سأقول لها: (مارلا).. أيتها الأكذوبة الكبرى .. أخرجي من هنا .. هذا هو الشيء الحقيقي الوحيد في حياتي وأنت تفسدينه. أيتها السائحة الكبيرة .. في المرة القادمة التي نلتقي فيها، سأقول: (مارلا).. أنا لا أستطيع ان أضاجعك هنا .. أنا بحاجة لهذا المكان.. انصرفي ..

الفصل الثالث

تصحو من النوم في (بيج هاربر إنترناشيونال).. ومع كل إقلاع أو هبوط للطائرة، حين تميل الطائرة على جانبها، كنت أدعو الله أن تسقط وتتحطم. هذه اللحظة كانت تشفيني من الأرق.. تداعبني بحلم النوم كشحنة تبغ معدومة الحيلة في مخزن أمتعة الطائرة. هكذا قابلت (تايلر دوردن).

تصحو في (أوهار).. تصحو في (لاجارديا).. تصحو في (لوجان). (تايلر) يعمل بعض الوقت كعامل عرض سينمائي. بسبب طبيعته لا يقدر (تايلر) إلا على العمل في وظائف ليلية. لو تغيب عامل عرض لأسباب مرضية يتصل الاتحاد بـ (تايلر). بعض الناس خلقوا للنهار وبعضهم خلق لليل. لا أقدر إلا على العمل في عمل صباحي.

تصحو في (دولس) .. التأمين يدفع لك ثلاثة أضعاف القيمة لو مت في رحلة عمل. كنت أدعو الله أن تؤثر الريح على الطائرة.. دعوت أن ينحشر البجع في التوربينات، وأن يتكاثف الثلج فوق الجناحين أو تتطاير المسامير.، وبينما الطائرة تقلع، وهي مندفعة على الممر وقد ارتفعت ثنيتا جناحيها، ومقاعدنا في وضع

قائم وكل متاعنا في خزانات المتاع فوق الرءوس، ونهاية الممر تركض لتلقانا، كنت أدعو الله أن يحدث ارتطام.

تصحو في (لاف فيلدز). وفي كابينة العرض ــ لو كانت دار العرض قديمة ــ يجري (تايلر) تبديل البكرتين . مع التبديل يكون لديك جهازا عرض في الكابينة وأحدهما يعمل. أعرف هذا لأن (تايلر) يعرف هذا. ويتم تعبئة بكرة الفيلم التالية في جهاز العرض الثاني . أكثر الأفلام تتكون من ست أو سبع بكرات صغيرة تعرض بترتيب معين. دور العرض الحديثة تضع كل البكرات معاً في بكرة قطرها خمسة أقدام. هكذا لا تحتاج إلى استخدام آلتي عرض وتبديل الفيلم. البكرة الأولى .انقل .. البكرة الثانية .. البكرة الثالثة على آلة العرض الأولى ..

تصحو في (سي تاك).. أدرس صور الناس في المطوية الخاصة بمقعدي. امرأة تطفو في المحيط، وشعرها البني ينتشر خلفها.. تضم وسادة المقعد إلى صدرها، وعيناها واسعتان، لكنها لا تبتسم أو تقطب. وفي صورة أخرى أناس هادئون كأبقار الهندوس، يمدون أيديهم من مقاعدهم إلى أقنعة الأكسجين المعلقة من السقف. لابد أن هذا وضع طوارئ. أه .. لقد حدث فقدان لضغط الطائرة.

تصحو في (ويلو ران). دار عرض قديمة .. دار عرض جديدة .. كي ينقل (تايلر) الفيلم لدار عرض جديدة عليه أن يقسمه

إلـــى بكراته الست الأصلية. توضع البكرات الصغيرة في زوج من الحقائـــب المسدسة المعدنية. كل حقيبة لها مقبض في أعلاها. ارفع واحدة لأعلى ولسوف ينخلع كتفك فهي ثقيلة إلى هذا الحد ..

(تايلر) ساق في مطعم .. يخدم على الموائد في فندق في قلب المدينة..وهو عامل عرض يعمل مع اتحاد عمال العرض السينمائي. لا أعـــرف كم من الوقت عمل في تلك الليالي التي لم أكن أنام فيها. فـــي دور العـــرض القديمة التي تعرض فيلماً على جهازي عرض، يجب على العامل أن يستعد لتغيير آلة العرض في الوقت المناسب، حتى لا يشعر الجمهور بالفارق حين تنتهي بكرة وتبدأ أخرى. يجب ان تراقب النقط البيضاء في أعلى الشاشة . الركن الأيمن منها. هذا هـــو الإنـــذار.. راقب الفيلم ولسوف ترى نقطتين في نهاية البكرة . يسمونها (حروق سجائر) في تلك المهنة .الأولى هي إنذار بدقيقتين.. هـــنا تشغل الجهاز الثاني، حتى يكتسب السرعة .. النقطة الثانية هي إنذار بخمس ثوان.. إثارة.. أنت تقف بين جهازي عرض، والكابينة حـــارة بسبب مصابيح (الزينون) التي لو نظرت لها مباشرة لعميت. أول نقطـــة تظهـــر .. الصـــوت يأتـــي من مكبر صوت عال خلف الشاشة. داخل كابينة العرض لا يصل الصوت، لأن صوت العجلة المســـننة يبدو كطلقات البندقية الآلية .. وهي تدير الفيلم بسرعة ستة أقدام في الثانية .. عشرة كادرات في القدم .. ستين كادراً في الثانية.

الآن وقـــد دار جهـــازا العـــرض تقـــف بينهما ممسكاً برافعة الغلق لكليهما. أجهزة العرض القديمة تريك إنذاراً على البكرة. وحتى بعد عـــرض الفيلم في التلفزيون تظل نقاط الإنذار عليه. حتى على أفلام الطائرات. عند نهاية البكرة تصير بكرة التلقيم أكثر سرعة حتى يبدأ الإنـــذار يدق بأن تغييراً صار وشيكاً. الظلام حار جداً من المصابيح داخـــل آلتي العرض، والإنذار يدق. قف هناك بين جهازي العرض، وراقب ركن الشاشة. تظهر النقطة الثانية .. عد لخمسة ..اغلق أحد الغالقين وافتح الآخر .. تم التغيير .. ويستمر الفيلم. لم يفطن أي من المشـــاهدين لشيء. ويمارس عامل العرض أشياء كثيرة لا يفترض منه القيام بها. ليست كل آلة عرض بإنذار. وهكذا تصحو أحياناً من نومك في البيت مذعوراً، شاعراً أنك نمت في الكابينة ونسيت تغيير البكرتيـــن. سوف يلعنك الجمهور .. لقد دمرت الحلم السينمائي الذي كانوا يرونه ولسوف يتصل المدير بالاتحاد.

تصـــحو في (كريس فيلد) .. سحر السفر في كل مكان أذهب إلـــيه .. حـــياة صـــغيرة. أقصد الفندق .. صابون صغير .. شامبو صـــغير .. قطعة زبد لواحد .. معجون صغير وفرشاة تستعمل مرة واحـــدة. اجلـــس في مقعد الطائرة.. المشكلة هي أن كتفيك كبيران جـــداً.. ســـاقاك الخاصتان بأليس في بلاد العجائب قد صار طولهما أميالاً فجأة حتى أنهما يلمسان الجالس أمامك. يصل العشاء .. قطعة

من الدجاج كأنها نموذج يتدرب عليه هواة الطهي.. نوع من ألعاب التجميع يبقيك منهمكاً. لقد أضاء الطيار علامة ربط الحزام، ولسوف نطلب منك ألا تمشي في القمرة.

تصحو في (ميجز فيلد). أحياناً يصحو (تايلر) في الظلام، شاعراً بالرعب من أن يكون قد أضاع تغيير البكرة، أو أن الفيلم انقطع أو تحرك حتى راحت التروس تصنع صفاً من الثقوب في مجرى الصوت. عندما يدور الفيلم على قرص التروس، يضيء المصباح عبر مجرى الصوت وبدلاً من سماع الكلام تسمع صوت مروحة هليوكوبتر (وب واب) بينما تخرج كل حزمة ضوء منفجرة من أحد الثقوب. ما لا يجب أن يفعله عامل العرض أيضاً هو هذا: (تايلر) يصنع شرائح ضوئية من أفضل كادرات في الفيلم. أول فيلم بدت فيه البطلة عارية الصدر كان للممثلة (أنجي ديكنسون). وعندما انتقل الفيلم من دور العرض الغربية إلى دور العرض الشرقية، كان المشهد العاري قد اختفى. عامل عرض سرق كادراً.. وعامل آخر سرق كادراً. الجميع أراد أن تكون عنده شريحة عارية لـ (أنجي). ثم ظهر البورنو في الأفلام وكون بعض عمال العرض هؤلاء مجموعات مذهلة.

تصحو في (بوينج فيلد). تصحو في (لاكس). كانت طائرتنا الليلة شبه خاوية لذا خذ راحتك كي تفرد مساند الذراع وتتمدد،

واثن ركبتيك وخصرك، وأرح ذراعك على ثلاثة مقاعد. اضبط ساعتي على ساعتين مبكرتين أو ثلاث ساعات متأخرة. حسب توقيت المحيط الهادي أو الجبلي أو المركزي أو التوقيت الشرقي. افقد ساعة ثم ساعة .. تلك حياتك وأنت تفقدها دقيقة في كل مرة.

تصحو في (كليفلاند هوبكنز).. تصحو في (سي تاك) من جديد. أنت عامل عرض وأنت متعب غاضب. لكن الأهم أنك تشعر بالملل. لذا تأخذ كادراً عارياً جمعه عامل آخر تجده مخبئاً في كابينة العرض، ثم توصل هذا الكادر الذي يظهر عضواً ذكرياً محتقناً أو عضواً أنثوياً متثائباً في لقطة قريبة، وتلحمه بفيلم روائي آخر. هذا الفيلم يحكي عن واحدة من مغامرات الحيوانات الأليفة حين يترك القط والكلب وحدهما، وقد سافرت الأسرة، وعليهما أن يجدا طريق العودة. في البكرة الثالثة بمجرد أن يأكل القط والكلب ـ اللذان يتكلمان ولهما صوتان بشريان ـ علبة القمامة يظهر انتصاب للحظة من الثانية. (تايلر) يفعل هذا. كادر واحد في فيلم على الشاشة معناه واحد على ١٦ من الثانية. قسم الثانية إلى ستة عشر جزءاً.. هذه هي الفترة التي يبقاها الانتصاب. يطل أحمر شنيعاً من ارتفاع شاهق فوق الجمهور الذي يتسلى بأكل الفيشار، لكن لا أحد يراه.

تصحو في (لوجان) من جديد. هذه طريقة شنيعة للسفر. أذهب لاجتماعات لا يريد رئيسي أن أحضرها.. آخذ مذكرات ..

سأعود لك .. أياً كنت سأكون هناك لأجرب الوصفة .. سأبقي الأمر سراً.. سآخذ مذكرات ثم أعود لك.

إنها حسبة بسيطة . مشكلة في شكل قصة .. لو غادرت سيارة جديدة صنعتها شركتي (شيكاغو) متجهة غرباً بسرعة ٦٠ ميلاً في الساعة، ثم حدث لها حادث وتهشمت واحترقت، وقد سجن الجميع داخلها، فهل تستردها شركتي من الأسواق ؟.. خذ عدد السيارات في السوق (أ) واضربه في معدل الفشل (ب)، ثم اضرب النتيجة في متوسط تكلفة التسوية خارج المحكمة (ج). أ X ب X ج = س. هذا هو ما نخسره لو لم نسترد السيارة. لو كانت س أكثر من تكلفة الاسترداد، نسترد السيارة ولا يصاب أحد بأذى، أما لو كانت س أقل فنحن لا نستردها. في كل مكان اذهب إليه أجد الهيكل المتفحم لسيارة ينتظرني. أعرف مكان كل هيكل واعتبر هذا سر مهنتي. موعد الفندق .. طعام مطاعم. في كل مكان أذهب إليه أعقد صداقات صغيرة مع الناس الجالسين بجواري من لوجان إلى كريسي إلى ويلوران. أنا منسق حملات استرداد .. هكذا أخبر الصديق الجالس جواري، لكنني أشق طريقي إلى أن أصير غاسل أطباق.

تصحو في (أوهار) من جديد. لقد لحم (تايلر) لقطة عضو ذكري في كل فيلم بعد هذا .. عادة تكون لقطة مقربة أو هي لقطة لعضو أنثوي.. أربع قصص طويلة، وارتفاع في ضغط الدم إذ

ترقص سندريلا مع الأمير الجميل، والناس يراقبون. لم يشك أحد. كان الناس يشربون ويأكلون لكن الليل كان يختلف. في المساء يشعر الناس بالغثيان أو يبكون ولا أعرف السبب. فقط يستطيع عصفور طنان أن يضبط (تايلر) وهو يعمل..

تصحو في (جى إف كى).. أذوب وأنتفخ لحظة الهبوط، حين تلمس عجلة واحدة المهبط، وتتصلب الطائرة حيرى بين قرار أن تصحح وضعها أو تنقلب. أنظر للنجوم ولسوف تضيع. متاعك لا يهم.. لا شيء يهم .. ولا حتى رائحة البخر من أنفاسك.. النوافذ مظلمة بالخارج والمحركات التوربينية تزأر. القمرة تميل بزاوية خاطئة تحت زئير التوربينات..لن تحتاج بعد اليوم إلى تقديم مذكرة بنفقات السفر. الإيصالات مطلوبة لأي مبلغ يتجاوز ٢٥ دولاراً. . لن تحلق شعرك ثانية. ضربة مكتومة أخرى وتصطدم العجلة الثانية بالأسفلت. الصوت المتقطع لمائة قفل حزام أمان يفتح، وصديقك الذي يصلح للاستعمال مرة واحدة، والذي كدت تموت جواره يقول: آمل أن تنجز مهمتك .. نعم . وأنا كذلك ..هذا هو طول لحظتك .. وتعود الحياة لمسارها.

بطريقة ما وعن طريق الصدفة قابلت (تابلر). كان هذا وقت الإجازة.

تصحو في (لاكس) .. من جديد.. قابلت (تايلر) حين قصدت شاطئ عراة.. كان هذا في نهاية الصيف بالضبط، وكنت نائماً. كان (تايلر) عارياً مبللاً بالعرق خشناً من الرمال. شعره مبتل على شكل خيوط يتدلى على وجهه. لقد جاء هنا كثيراً قبل لقائنا، وكان يسحب بقايا خشب من بين الأمواج ويجرها على الشاطئ، وفي الرمال الرطبة زرع نصف دائرة من ألواح الخشب على بعد بوصات عن بعضها.. كانت هناك أربعة ألواح. وحين صحوت رأيته يخرج لوحاً خامساً من الماء. حفر حفرة تحت أحد طرفي اللوح، ثم رفعه ليسقط في الحفرة، ويقف في زاوية قائمة.

تصحو على الشاطئ .. كنا الوحيدين على الشاطئ. وبعصا رسم (تايلر) خطاً مستقيماً على الرمال على بعد عدة أقدام. ثم راح يثبت اللوح بوضع الرمال حول قاعدته. كنت الشخص الوحيد الذي يرى هذا. ثم صاح:

ـ"هل تعلم كم الساعة ؟"

دائماً ما ألبس ساعة. سألته:

ـ"أين ؟"

ـ"الآن .. "

كانت الساعة الرابعة وست دقائق بعد الظهر. بعد قليل جلس القرفصاء في ظل الأعواد. جلس بضع دقائق ثم نهض وسبح في

البحر.. ارتدى تي شيرت وسروالاً وتأهب للانصراف. كان علي أن أسأل .. كان علي أن أعرف ماذا كان يفعل وأنا نائم. لو استطعت ان اصحو في مكان مختلف وفي وقت مختلف، فهل بوسعي أن أصحو كشخص مختلف ؟ سألته إن كان فناناً. هز (تايلر) كتفه وشرح لي كيف أن خمسة الألواح تتسع قرب القاعدة. أراني الخط الذي رسمه على الرمال وكيف يستخدمه ليقيس به الظل الذي يرميه كل لوح. أحياناً تنهض وتريد أن تتساءل أين أنت. ما صنعه (تايلر) كان ظلاً ليد عملاقة. فقط كانت الأصابع طويلة كأصابع (نوسفيراتو) مصاص الدماء، لكن الإبهام كان قصيراً، إلا أنه قال لي كيف أنه في الساعة الرابعة وثلاثين دقيقة سيصير ظل اليد متقناً. ظل الظل العملاق متقناً لدقيقة واحدة، ولدقيقة واحدة جلس (تايلر) في راحة الظل الذي صنعه بنفسه.

تصحو فتجد أنك في لا مكان. دقيقة كانت كافية ــ كذا قال (تايلر) ــ صحيح أن على المرء أن يعمل جاهداً من اجلها.. لكن دقيقة من الكمال تستحق الجهد. لحظة هي أكثر ما تحلم بالحصول عليه من الكمال. تصحو .. وهذا كاف.

كان اسمه (تايلر دوردن).. وكان عامل عرض سينمائي لدى الاتحاد، وكان كذلك ساقياً في فندق في وسط المدينة، وأعطاني رقم هاتفه. هكذا التقينا.

كل طفيليات المخ المعتادة هنا الليلة .. دائماً ما تعقد مجموعة (ما فوق وما وراء) اجتماعاً هنا.. هذا هو (بيتر).. هذا هو (ألدو).. لنقدم بعضنا .. هذه (مارلا سينجر)، وهي معنا لأول مرة.. مرحباً (مارلا).. في (ما فوق وما وراء) نبدأ بالمحادثات التمهيدية.. هذه المجموعة لا تدعى (طفيليات المخ).. لن تسمع أحداً يقول (طفيليات).. الكل في خير حال دائماً . إنه ذلك العقار الجديد .. برغم هذا تجد في كل مكان ذلك الحول المصاحب لصداع خمسة أيام. امرأة تمسح دموعاً لا تتحكم فيها .. كل واحد يضع بطاقة باسمه، والناس الذين تقابلهم كل ليلة ثلاثاء منذ عام .. جاءوا من أجلك .. مصافحات وعيونهم على بطاقة اسمك. لا اصدق أننا التقينا .. لا يذكرون اسم (طفيل) بل يقولون (العامل)... لا يقولون (شفاء) بل يقولون (علاج) .. أثناء المحادثة يحكي احدهم كيف انتشر (العامل) في نخاعه الشوكي، وهنا يفقد التحكم في يده اليسرى فجأة. يقول أحدهم إن (العامل) قد جفف بطانة مخه لذا شد المخ من موضعه مسبباً نوبات التشنج.

آخر مرة كنت فيها هناك أخبرتني امرأة تدعى (تشول) بأفضل أخبار لديها. وقفت على قدميها مستندة إلى مسندي المقعد وأعلنت أنها لم تعد تخاف الموت. الليلة بعد التعارف تقول فتاة لا أعرفها تحمل بطاقة باسم (جلندا)، إنها أخت (تشول) وإنه في الثانية

من صباح الثلاثاء ماتت (تشول) أخيراً. أوه ..لابد أن هذا لذيذ .. لقد ظلت تبكي بين ذراعي طيلة عامين أثناء العناق، والآن هي ميتة.. ميتة على الأرض .. ميتة في وعاء لحفظ الرماد.. ميتة في ضريح..في قبو لحفظ أوعية الرماد.. الدليل على انك في يوم تجهد نفسك في التفكير، وفي اليوم التالي أنت سماد بارد للأرض .. مأدبة للديدان. هذه هي معجزة الموت المذهلة.. ولابد أنه شيء لذيذ لو لم تكن تلك الفتاة هنا .. (مارلا)..و(مارلا) تنظر لي من بين كل مرضى طفيليات المخ.. كاذب .. مزورة ..(مارلا) الكاذبة .. بل أنت الكاذب .. كل واحد هنا سوف يرتجف .. يسقط على الأرض وهو يعوي، ويتحول موضع العورة في سرواله الجينز إلى الأزرق الداكن. خلف كل باب من سبعة الأبواب .. الباب الأزرق .. الباب البرتقالي .. تقف (مارلا).. الباب الأخضر .. (مارلا) تقف هناك. كذاب .. في رحلة التأمل أبحث عن حيواني الذي أستمد منه القوة .. حيواني هو (مارلا).. تدخن لفافة تبغها وتقلب عينيها. كذاب ..شعر أسود وشفتان ممتلئتان كوسادة .. كذاب .. شفتان صنعتا من جلد أريكة إيطالية .. لن تستطيع الفرار ..

(تشـــول) كانـــت هـــي المادة الأصيلة .. (تشول) كانت تبدو كـــهيكل (جوني ميتشيل)(*) لو جعلته يبتسم ويمشي في حفل متودداً للجميع. تخيل (تشول) بحجمها الذي يشبه حجم حشرة، تركض عبر قاعـــات أحشـــائها الداخلية في الثانية صباحاً. نبضها صفارة إنذار تعلـــن: استعدي للموت خلال عشر .. ثمان ثوان .. يبدأ الموت بعد ســـبع .. ســـت... في الليل تركض (تشول) في متاهة أوردتها التي بـــدأت تفـــرغ من الدم، والأنابيب المتفجرة التي يخرج منها السائل اللمفـــاوي الساخن. تنتفخ الخراريج في الأنسجة المحيطة بها كلآلئ بيضاء، صفارة الإنذار تعلن: استعدي لتفقدي التحكم في أمعائك بعد عشـــر ثوان.. تسع .. ثمان .. سبع .. استعدي لتفرغي روحك بعد عشـــر ثوان.. تسع .. ثمان .. سبع.. (تشول) مغمورة حتى كاحلها بالسائل الخارج من كليتيها التالفتين. يبدأ الموت خلال خمس .. أربع .. ومن حولها بدأت الطفيليات تدهن قلبها بلونها الخاص .. أربع .. ثلاث .. اثنتين .. تتسلق (تشول) بيديها فوق البطانة المجعدة لحلقها . المـــوت يبدأ بعد ثلاث .. ثانيتين .. ضوء القمر يسطع عبر الفم المفـــتوح.. استعدي لآخر نفس الآن .. أفرغي .. الآن .. تخلصت الـــروح من الجسد .. الآن يبدأ الموت .. آه .. لابد أن هذا لذيذ ..

(*) مطربة بوب شهيرة ونحيلة جداً..

تذكـــرت دفء (تشـــول) واضطرابها بين ذراعي، وتذكرت (تشول) الميتة في مكان ما. لكن لا .. (مارلا) تراقبني ..

أثـــناء الـــتأمل الموجه أفتح ذراعي كي أستقبل الطفل الذي بداخلـــي .. لكـــن الطفـــل هو (مارلا). تدخن لفافة تبغها .. لا كرة بيضاء شافية .. كذاب .. لا تشاكرا .. تصور التشاكرا الخاصة بك تتفتح كالوردة، وفي المركز انفجار بالسرعة البطيئة لضوء عذب.. كـــذاب .. تـــبقى الشاكرا مغلقة .. وحين ينتهي التأمل يكون الجميع ممدديـــن ، ويساعد كل منا الأخر على أن ينهض على قدميه. فقد جـــاء وقت التلامس الجسدي العلاجي. من أجل العناق أعبر الغرفة لأقف أمام (مارلا) التي تنظر لوجهي، بينما انا أرقب الجميع منتظراً إشارة البدء. هلموا .. إشارة البدء .. احتضن شخصاً بقربك .. تلتف ذراعـــاي حول (مارلا).. اختر شخصاً مهماً لك الليلة. يدا (مارلا) بلفافـــة التبغ في خصرها.. قل لهذا الشخص ما تحس به.. (مارلا) ليســـت مصابة بسرطان الخصية .. (مارلا) ليست مصابة بالدرن.. هـــي لا تحتضـــر .. بالنســـبة لـــتلك الفلسفة المتحذلقة نحن جميعاً نحتضـــر، لكـــن (مارتـــا) لا تحتضر بالطريقة التي احتضرت بها (تشـــول). أعـــط نفسك .. (مارلا).. هل تحبين التفاح ؟.. أعطيني نفسك بالكامل.. اخرجي يا (مارلا).. اخرجي .. أخرجي .. ابكي لو أردت .. تـــنظر لي (مارلا) .. عيناها بنيتان وشحمتا أذنيها تتجعدان

حول ثقب القرط .. لا قرط .. شفتاها مكسوتان بالجلد الميت .. هلمي اصرخي .. تقول لي: "أنت كذلك لا تحتضر .. "

حولنا الناس يبكون ويحتضنون بعضهم .. "لو فضحت أمري لفضحت أمرك..".. ثم نتفق على أن نقسم الأسبوع .. يمكنها أن تأخذ مجموعات أمراض العظام وطفيليات المخ والدرن، وأنا سأبقي سرطان الخصية وطفيليات الدم وعته المخ العضوي .تسألني (مارلا): "وماذا عن سرطان القولون الصاعد ؟". إنها بارعة وتحفظ درسها جيداً.. سوف نقسم مجموعة (سرطان القولون الصاعد). ستكون لها أول وثالث أحد من كل شهر. تقول : لا .. هي تريد كل شيء لها .. كل السرطانات لها .. وتضيق عيناها. لم تحلم قط بأن تستمتع إلى هذا الحد .. لقد عادت للحياة. لقد استعاد جلدها رونقه .. لم تر شخصاً ميتاً طيلة حياتها.. فلا معنى للحياة لأنها لا تستطيع أن تعقد مقارنة بين حياتها وبين شيء آخر. والآن كل هذا الموت والحزن والبكاء .. يمكنها الآن أن تحب حياتها.. لهذا لن تترك أية مجموعة. تقول (مارلا): "اعتدت أن أعمل عند حانوتي لأشعر بالرضا .. لكن الجنازات لا تقارن بهذا ..الجنازات احتفال تجريدي رمزي بينما هنا لديك خبرة الموت الحقيقية .."

الآخرون حولنا يجففون الدموع ويربتون على ظهور بعضهم.

أقول لها إنه ليس بوسعنا أن نأتي معاً.. "إذن لا تأت أنت.." .. أنا

بحاجة لهذا .. "إذن إذهب إلى الجنازات" ..الآن تخلى كل واحد عن رفيقه وتماسكت الأيدي للصلاة. أبتعد عن (مارلا) . "كم لك من الوقت هنا ؟".. الصلاة الختامية .. عامين .. رجل بين المصلين يأخذ بيدي، ورجل آخر يأخذ بيد (مارلا). تبدأ هذه الصلوات .. باركنا يا رب.. باركنا في غضبنا وخوفنا .. تميل (مارلا) برأسها نحوي وتسأل: "عامان ؟"...باركنا وتمسك بنا .. كل من لاحظني خلال هذين العامين قد مات أو شفي ولم يعد قط.. تقول (مارلا): "حسن.. حسن .. لتأخذ أنت سرطان الخصية ".. (بوب) الضخم يبكي فوقي طيلة الوقت .. شكراً.. اهدنا لقدرنا .. اعطنا السلام . "عفواً.." ..

هكذا قابلت (مارلا)..

الفصل الرابع

شرح لي رجل مهمات الأمن كل شيء.

يمكن للمتعاملين مع الحقائب أن يتجاهلوا صوت (التكتكة) الصادر من الحقيبة. كان يطلق على المتعاملين مع الحقائب اسم (القاذفون). إن القنابل الجديدة لا تحدث تكتكة، لكن مع حقيبة تهتز فلابد أن يبلغ القاذفون الشرطة. وكان سبب انتقالي لأقيم مع (تايلر) هو أن أكثر خطوط الطيران تتعامل بذات السياسة مع الحقائب الهزازة. لدى عودتي من (دوليس) كان كل شيء معي في حقيبة واحدة، فحين تسافر كثيراً تتعلم أن تحزم نفس الأشياء في كل رحلة. ستة قمصان بيضاء..سروالان أسودان . الحد الأدنى لما تحتاج إليه كي تظل حياً.. منبه للسفر .. آلة حلاقة كهربية بالبطارية .. معجون أسنان ..ستة سراويل داخلية ... ستة أزواج جوارب.. تبين أن حقيبتي تهتز لدى مغادرتي (دولس)، لذا أخذها رجال الأمن في المطار. كل شيء كان في تلك الحقيبة بما فيه لوازم عدساتي الملتصقة، وربطة عنق حمراء بأشرطة زرقاء، وربطة عنق حمراء سادة. هذه القائمة معلقة دوماً على باب غرفة نومي في البيت.

وبيتي كان شقة مشتركة في الطابق الخامس عشر .. نوع من المعرض الذي يحتفظون فيه بالأرامل والموظفين الصغار.

نشرة البيع كانت تعدك بطبقة سمكها قدم من الخرسانة في السقف والجدار تفصلك عن أي تلفزيون مفتوح أو ستريو عال. كذلك أنت لا تستطيع فتح النافذة بحيث تتصاعد الروائح لتذكرك بآخر وجبة طهوتها، أو آخر رحلة قمت بها للحمام. هناك مطبخ يذكرك بمحل القصاب، وهناك إضاءة خافتة. برغم هذا طبقة الخرسانة هذه مهمة لأن جارك أو جارتك فقد البطارية في سماعة أذنه، ويريد سماع المباريات بأعلى صوت ممكن. أو حين يدوي انفجار بركاني هائل فيما كان من قبل أثاث غرفة معيشتك، و تطير النوافذ التي تمتد من السقف للأرضية، وتهبط لأسفل تاركة شقتك فقط .. وقد تحولت إلى حفرة خرسانة منزوعة الأحشاء في (مسقط البناية. هذه الأشياء تحدث. حتى مجموعتك من الأطباق المصنوعة يدوياً من الزجاج الأخضر، بكل ما عليها من فقاقيع وعيوب ورمال تشي بأنها صنعت بوساطة الأهالي الأصليين البسطاء شديدي الأمانة في مكان ما من العالم. كل هذه الأطباق يطيرها الانفجار.. تصور الستائر الممتدة من السقف للأرضية تنفجر وتتمزق في الريح الملتهبة. خمسة عشر طابقاً فوق المدينة .. تهوي هذه الأشياء مشتعلة فوق كل سيارة في الشارع..

بينما أنا اتجه غرباً نائماً .. بسرعة ٠،٦ ماخ أو ٤٤٥ ميلاً في الساعة ..سرعة طيران حقيقية، وخبراء المفرقعات يتفحصون حقيبتي في ممر تم إخلاؤه في (دوليس). يقول رجل مهمات الأمن إنه في كل تسع من عشر مرات، يتضح أن الاهتزاز ناجم عن آلة حلاقة كهربائية. كانت تلك آلة حلاقتي التي تعمل بالبطارية. أحياناً أخرى يتضح أنها عضو ذكري صناعي هزاز (ديلدو). هذا ما اخبرني به رجل مهمات الأمن. كان هذا عندما وصلت دون حقيبتي، حيث كان علي أن أرسلها بسيارة أجرة للبيت، وأجد أغطيتي الصوفية الممزقة على الأرض. يقول رجل مهمات الأمن : تصور أن تخبر مسافرة لدى الوصول أن الـ (ديلدو) قد جعلنا نحتجز أمتعتها في الساحل الشرقي. أحياناً يكون هذا رجلاً. سياسة شركة الطيران ألا توحي بملكية الراكب لهذا (الديلدو). استعمل لفظة غير محددة .. قل (ديلدو) .. لا تقل: الديلدو الخاص بك .. لا تقل أبداً إن الديلدو قام بتشغيل نفسه، وأحدث حالة طوارئ احتاجت لإفراغ متاعك.

كان المطر يهطل حين صحوت كي أركب مواصلتي إلى (ستابلتون).. كان المطر يهطل حين صحوت لرحلتي الأخيرة للوطن. إعلان طلب منا أن ننتهز الفرصة ونتفقد مقاعدنا بحثاً عن

أية متعلقات شخصية نسيناها خلفنا. ثم ذكر الإعلان اسمي .. هلا تفضلت وقابلت ممثل شركة الطيران الذي ينتظر عند البوابات ؟.. أرجعت ساعتي ثلاث ساعات وبرغم هذا كان منتصف الليل قد مر. هناك كان ممثل شركة الطيران عند البوابة، وكان هناك رجل مهمات الأمن ليقول لي: ها .. لقد تسببت آلة حلاقتك الكهربية في أن يظل متاعك في (دولس). رجل مهمات الأمن يطلق على المتعاملين مع الحقائب اسم (القاذفون). ثم أطلق عليهم اسم (المشاغبون). وليبرهن لي على أن الأمور كان يمكن أن تكون أسوأ قال لي: على الأقل لم يكن هذا (ديلدو). وهنا ــ ربما لأنني رجل وهو رجل والساعة الواحدة صباحاً ــ وليجعلني أضحك، قال لي إن الاسم المتداول للمضيفة في أوساط المهنة هو (نادلة الفضاء) أو (فراش الجو).. بدا لي كأن الرجل يلبس ثياب ربان: قميص أبيض وربطة عنق زرقاء ومقصبان على الكتفين. لقد تم إخلاء متاعي وسوف يصل غداً. سألني رجل مهمات الأمن عن اسمي ورقم هاتفي وعنواني، ثم سألني عن الفارق بين الواقي الذكري وقمرة قيادة الطائرة.. ثم قال: "أنت لا تستطيع أن تضع أكثر من عضو ذكري في الواقي الذكري الواحد "..

ركبت سيارة أجرة للبيت بآخر عشرة دولارات معي. آلة حلاقتي الكهربية ــ التي لم تكن قنبلة ــ تقع الآن على بعد ثلاث

مناطق زمنية خلفي. شيء كان قنبلة .. قنبلة كبيرة قد نسفت منضدة القهوة المتقنة من طراز (نجورندا) الخاصة بي، التي تبدو كـ (ين) أخضر و(يانج) برتقالي يلتحمان كدائرة. لقد تحولت إلى شظايا الآن .. والأريكة من طراز (هاباراندا) ذات الأغطية البرتقالية، والتي صممتها (إريكا بيكاري) قد صارت حطاماً الآن. لم أكن الضحية الوحيدة لغريزة بناء الأعشاش هذه. الأشخاص الذين أعرفهم والذين يحبون الجلوس في الحمام مع المجلات الخلاعية، الآن يجلسون في الحمام ومعهم كتالوج أثاث (إيكيا). كلنا نملك ذات شيزلونج (يوهانشوف) بطرازه المخطط باللون الأخضر. الشيزلونج الخاص بي هوى محترقاً من خمسة عشر طابقاً، وسقط في نافورة. كلنا نملك ذات المصابيح الورقية (ريزلامبا/هار) المصنوعة من السلك وورق غير مبيض لا يؤذي البيئة ..في الحمام معدن لا يصدأ .. غسالة أطباق آمنة .. ساعة الردهة مصنوعة من الصلب المجلفن.. وحدة رف (كليبسك).. أه حقاً.. صناديق قبعات (هيمليج).. مجموعة لحاف (موما لا).. تصميم توماس هاريلا ومتوافرة بالألوان التالية: أوركيد .. فوشيا .. كوبالت .. عاج .. أبنوس .. كهرمان.. قشرة بيضة أو مبرقشة .. أفنيت عمري كله كي أبتاع هذه الأشياء .. أنت تبتاع الأثاث وتقول لنفسك: هذه آخر أريكة أحتاج إليها في حياتي. ابتع الأريكة، وبعد عامين أنت راض بأنه مهما حدث فعلى الأقل قد

ظفرت بأريكتك. ثم طاقم الأطباق المناسب .. ثم الفراش الأمثل.. الستائر .. البساط .. ثم تجد نفسك حبيس عشك المفضل، والأشياء التي اعتددت أن تمتلكها تمتلكك الآن. إلى أن تعود من المطار. يقف البواب خارج الظلال ليخبرك أن حادثاً وقع. كان رجال الشرطة هنا وسألوا الكثير من الأسئلة. يعتقد رجال الشرطة أن الغاز الطبيعي هو السبب. ربما اشتعل لهب الفرن وربما كان هناك تسرب في الغاز.. لقد ارتفع الغاز للسقف وملأ الشقة من السقف إلى الأرض في كل غرفة. كانت مساحتها ١٧٠٠ قدم مربع ولها أسقف عالية، ولابد أن الغاز تسرب حتى امتلأت كل الغرف. وهنا اشتعل الضاغط (الكومبريسور) في قاع الثلاجة .. انفجار .. طارت النوافذ ذات الإطار المصنوع من الألومنيوم، واشتعلت الستائر والأريكة والمصابيح ودوريات المدرسة وشهادة الدبلوم والهاتف. كل شيء طار من الطابق الخامس عشر كأنه انفجار شمسي. آه .. ليست ثلاجتي !.. كنت قد كومت على الرفوف أنواعاً من المستردة وبعض الخمور الجيدة، وكان هناك أربعة عشر نوعاً من السلطة الخالية من الدهن، وسبعة أنواع من (الكيبرز). أعرف .. أعرف .. بيت مليء بالمقبلات لكن لا يوجد فيه طعام حقيقي. البواب يتمخط ويسقط شيء في منديله، فيتلقفه ببراعة لاعب البيسبول إذ يتلقى كرة في قفازه..

يقول البواب: بوسعك الصعود للطابق الخامس عشر، لكن لا أحـد يمكنه دخول الوحدة. أوامر الشرطة. سأل رجال الشرطة عما إذا كانـت لـدي عشيقة قديمة قد تفعل شيئاً كهذا، أو لدي عداوة مع شخص يستطيع الحصول على ديناميت.

قـال الـبواب: "ما كان الأمر ليستحق الصعود .. لم تبق إلا الجدران الخرسانية"

لكـن الشرطة لم تستبعد الحريق المتعمد. فلم يشم أحد رائحة الغـاز.. ويرفع البواب حاجبه. هذا الرجل يقضي يومه في مغازلة الخادمـات والمربـيات اللاتي يعملن في الشقق الكبيرة في الطابق العلـوي، وينتظرهـن في مقعده بمدخل البناية حين ينهين عملهن. عشـت هـنا ثلاثة أعوام ومازال الرجل يجلس ليقرأ مجلة (إيلري كويـن) كـل ليلة، بينما انا أنقل ما احمله من يد ليد، كي افتح باب البناية وأدخل. يرفع البواب حاجباً ويخبرني كيف ان الناس يسافرون في رحلات طويلة وينسون شمعة، شمعة طويلة جداً تحترق في دلو كبير من الجازولين. أناس عندهم مشاكل مالية يفعلون هذه الأشياء.. أناس يرغبون في الخلاص من الفقر. طلبت منه استعمال الهاتف في المدخـل، فقال: "شباب كثيرون يحاولون التأثير في الناس ويبتاعون الكثير من الأشياء.." .

طلبـت (تايلـر).. دق الهاتف في منزله المستأجر في (بيبر ستريت).. أه .. أرجوك يا (تايلر) رد علي.. ويدق الهاتف.. انحنى البواب على كتفي وقال: "كثير من الشباب لا يعرف ما يريد حقاً.."

أه .. يا (تايلر).. أرجوك ان تنقذني .. ويدق الهاتف.. "شباب كثـيرون يحسـبون انهـم يحتاجون إلى العالم".. أنقذني من الأثاث السويدي .. أنقذني من الفن البارع .. ويدق الهاتف فيجيب (تايلر). قـال الـبواب : "لـو إن تعـرف مـا تريد .. تنته بأشياء كثيرة لا تـريدها..". فلـيحرم علي الكمال .. فليحرم علي الرضا .. فليحرم علي الإتقان.. أنقذني يا (تايلر) من أصير مكتملاً أو متقناً..

اتفقت مع (تايلر) على اللقاء في البار. سألني البواب عن رقم هـاتف يمكـن للشـرطة أن تطلبني فيه. السماء ما زالت تمطر... سـيارتي الـــ (أودي) مازالـت تقف في الساحة. التقيت (تايلر) وشـربنا الكثـير مـن الجعة.. وقال لي (تايلر) أن بوسعي الانتقال للإقامـة معه، لكن يجب أن أسدي له خدمة. غداً تصل حقيبة متاعي وفيها أقل ما يمكن: ستة قمصان .. ستة ازواج من الجوارب .. ستة ازواج من الثياب الداخلية.

هناك ــ بينما نحن ثملان في البار حيث لا يراقبنا ولا يعبأ بنا احد ــ سألت (تايلر) عما يريده مني. فقال:

ــ"أريدك أن تضربني بأعنف ما تستطيع.."

الفصل الخامس

شاشتان من العرض التجريبي الذي أعددته لشركة (ميكروسوفت). أشعر بمذاق الدم وأبدأ في ابتلاع ريقي. لا يعرف رئيسي موضوع العرض، لكنه لن يتركني أقدمه بعين سوداء ونصف وجهي منتفخ بسبب الغرز الجراحية داخل خدي. لقد بدأت الخياطة تتراخى وأشعر بها بطرف لساني داخل خدي. تظهر الصورة حبل صيد سمك على الشاطئ. أتخيل الخياطة كغرز سوداء على ظهر كلب بعد علاجه.. وأبتلع المزيد من الدم. يقوم رئيسي بتقديم موضوعي وأقوم أنا بتشغيل جهاز العرض المتصل بالـ (لاب توب)، لهذا أنا في ركن الغرفة في الظلام. شفتاي ملتصقان بالدم وأنا أحاول أن ألعقه، وحين تعود الأضواء سوف استدير إلى المستشارين (إلين) و(والتر) و(نوربيرت) و(ليندا) من شركة (ميكروسوفت) وأقول شكراً على مجيئكم .. بينما فمي يلتمع بالدم، والدم ينساب في الشقوق بين أسناني. يمكنك أن تبتلع مقداراً من الدم قبل أن يصيبك الغثيان. نادي القتال غداً وأنا لن أفوت نادي القتال.

قبل تقديم العرض يبتسم (والتر) من شركة ميكروسوفت بفكه العملاق الشبيه بالمجرفة، والذي يذكرك لونه بقطعة من البطاطس

المشوية. يصافحني بيده ذات الخاتم العملاق فتلتف كفه الناعمة الملساء على يدي، ويقول: "أكره أنا أرى ما حدث للشخص الآخر في المشاجرة"

أول قاعدة لنادي القتال هي أنك لا تتكلم عن نادي القتال.

أخبر (والتر) أنني تعثرت فسقطت وجرحت نفسي. وقبل العرض التقديمي إذ أجلس مواجهاً لرئيسي، أخبره أين تبدأ كل شريحة في النص، وحين أردت أن اشغل الجزء المعد للفيديو، يقول رئيسي:

ـ"فيم تتورط في نهاية كل أسبوع ؟"

ـ"لا أريد أن أموت من دون بعض الندوب"

لم يعد ذا جدوى أن تملك جسداً جميلاً خالياً من العيوب.. أنت ترى السيارات الخارجة من معرض التاجر عام ١٩٥٥، وكنت أفكر دوماً.. يالها من خسارة..

ثاني قاعدة لنادي القتال هي أنك لا تتكلم عن نادي القتال.

ربما أثناء الغداء يأتي الساقي لمنضدتك، والساقي له عينا دب (باندا) عملاق من كثرة السواد حولهما بسبب نادي القتال في عطلة الأسبوع الماضي. لقد رأيت رأسه محشوراً بين الأرض الخرسانية وركبة فتى يزن مائتي رطل، راح يدق بقبضته فوق قنطرة أنف الساقي مراراً ومراراً ، وصوت ارتطام رأسه يرتفع أعلى من كل الصراخ، إلى أن بصق الساقي دماً ليقول: كفى !

أنت لا تقول شيئاً لأن نادي القتال يوجد فقط في تلك الساعات مابين بدئه وانتهائه.. لقد رأيت الفتى الذي يعمل في مركز نسخ المستندات، الذي ينسى أن يثقب الطلبات أو يضع قصاصات ملونة بين رزم النسخ، لكن هذا الفتى كان كالآلهة لمدة عشر دقائق .. حين رأيته يوسع أحد المحاسبين الذين يفوقونه في الحجم مرتين ركلاً، ثم يهوي على الرجل ويقيده حتى اضطر إلى التوقف. هذه هي القاعدة الثالثة لنادي القتال: حين يصرخ أحدهم طالباً التوقف أو يعجز عن الدفاع عن نفسه — حتى لو كان يصطنع هذا — فالقتال ينتهي. كلما قابلت هذا الفتى لا تستطيع أن تهنئه بالقتال الرائع الذي خاضه. رجلان فقط لكل معركة. معركة واحدة في كل مرة .. يقاتلان من دون أحذية أو قمصان.. وتستمر المعارك طالما يجب أن تستمر. هذه قواعد نادي القتال . وكينونة هؤلاء القوم في العالم الحقيقي تختلف تماماً عن كينونتهم في نادي القتال. حتى لو أخبرت الفتى في مركز نسخ الأوراق أنه قاتل جيداً، فأنت لا تتكلم مع الرجل نفسه. في نادي القتال أكون شخصاً آخر لن يتعرفه رئيسي. بعد ليلة في نادي القتال تشعر أن هناك من خفض صوت العالم الحقيقي. لا يستطيع احد أن يضايقك.. كلماتك قانون، ولو خرق الآخرون هذا القانون فهذا لن يضايقك. في العالم الحقيقي أنا منسق حملات استرداد المنتجات ألبس قميصاً وربطة عنق.. أجلس في

الظلام بفم مليء بالدم، أبدل الشرائح بينما رئيسي يخبر (ميكروسوفت) كيف اختار اللون الأزرق العنبري الباهت كأيقونة.

كان اول نادي قتال يتكون مني و(تايلر) نتبادل اللكمات. كان يكفيني في السابق حين أعود لداري غاضباً شاعراً بالفشل أن انظف شقتي أو أعنى بسيارتي. يوماً ما سأموت دون ندبة لكن سأترك خلفي شقة جميلة وسيارة. إلى أن يأتي المالك الجديد.. لا شيء يبقى ثابتاً.. وحتى (الموناليزا) تتهاوى ...

منذ عرفت نادي القتال صار نصف عدد الأسنان في فمي قابلاً (للخلخلة)..

لم يعرف (تايلر) أباه قط . ربما كان التدمير الذاتي هو الإجابة. مازلت و(تايلر) نذهب إلى نادي القتال معاً.. إنه يقع في قبو بار .. وبعد ما يغلق البار في ليلة السبت، تذهب هناك لتجد أشخاصاً آخرين. يقف (تايلر) تحت الضوء الوحيد في وسط البدرون المبطن بخرسانة سوداء، ويرى الضوء يتوهج في مائة زوج من العيون في الظلام. أول ما يقوله (تايلر) هو:

—"القاعدة الأولى لنادي القتال هي : لا تتكلم عن نادي القتال.. القاعدة الثانية لنادي القتال " — يصرخ (تايلر) — " القاعدة الثانية لنادي القتال هي : لا تتكلم عن نادي القتال"..

أنا عرفت أبي ستة أعوام .. لكن لا أذكر أي شيء.. كان أبي يكون أسرة جديدة في مدينة جديدة كل ستة أعوام. بهذا الشكل لا تشعر بأنه يتعامل مع أسرة بل مع توكيل تجاري مميز. ما تراه في نادي القتال هو جيل من الرجال ربته النساء. (تايلر) يقف تحت الضوء الوحيد في ظلام ما بعد منتصف الليل في قبو مليء بالرجال، ويستعرض باقي القوانين: رجلان لكل معركة .. معركة واحدة في كل مرة .. لا أحذية ولا قمصان .. المعارك تستمر طالما يجب ان تستمر..

يقول (تايلر): "القاعدة السابعة هي: لو كانت هذه المعركة الأولى لك في نادي القتال، فعليك أن تقاتل."

نادي القتال ليس مباراة كرة قدم في التلفزيون. لا تشاهد رجالاً لا تعرفهم عبر العالم يضربون بعضهم على القمر الصناعي، مع تأخير دقيقتين في البث.. وإعلانات عن البيرة كل عشر دقائق.. ولحظة فاصل للتعريف بالقناة. بعد ما تنضم إلى نادي القتال تصير مشاهدة المباريات في التلفزيون كأنها مشاهدة أفلام جنسية بينما بوسعك الاستمتاع بجنس ممتاز. سيصير نادي القتال سبباً لذهابك لصالة التدريب وحلق شعرك وتقليم أظفارك.. إن صالات التدريب التي ستقصدها مليئة بأشخاص يحاولون أن يبدوا كرجال . كأنك كي تكون رجلاً يجب أن تبدو كما يريد النحات أو مدرس الفنون. وكما

يقول (تايلر) حتى صوت استنشاقك الهواء يصير متضخماً. لم يذهب أبي للكلية لذا كان من المهم له أن أذهب للكلية.. بعد الكلية اتصلت به وسألته: وماذا بعد؟.. لم يعرف .. وحين وجدت الوظيفة وبلغت الخامسة والعشرين اتصلت به، وسألته: وماذا بعد ؟.. فلم يعرف، لذا قال لي: تزوج. أنا الآن في الثلاثين وأتساءل عما إذا كانت امرأة اخرى هي الإجابة التي أبحث عنها.

ما يحدث في نادي القتال لا يمكن التعبير عنه بكلمات.. بعض الناس يريدون قتالاً كل أسبوع .. هذا الأسبوع قال (تايلر) إنه سيسمح بدخول أول خمسين شخصاً ولا مزيد .. الأسبوع الماضي كنت وشاب آخر على قائمة القتال. لابد أنه قضى أسبوعاً سيئاً لأنه وضع ذراعي خلف رأسي، وراح يضرب وجهي في الأرض الخرسانية حتى مزقت أسناني خدي من الداخل، وانتفخت عيناي ..حتى قلت: توقف، ونظرت لأسفل لأرى طبعة بالدم من وجهي على الأرض. وقف (تايلر) أمامي وكلانا ننظر إلى حرف O الكبير الذي صنعه فمي والدم يسيل منه، وشق عيني ينظر لي من على الأرض، فيقول (تايلر): "جميل"

أصافح الفتى وأقول: قتال جيد. يقول الفتى: "ماذا عن الأسبوع القادم ؟"

أحاول الابتسام برغم كل الانتفاخ في وجهي، وأقول: انظر لي ..

ماذا عن الشهر القادم ؟.. أنت لا تشعر بالحياة أبداً كما تشعر بهـا فـي نـادي القتال .. حين تقف أنت والآخر تحت ذلك الضوء الوحـيد وسـط المشـاهدين. نـادي القتال لا يهتم بربح أو خسارة المـباريات .. نادي القتال لا يهتم بالكلمات. ترى رجلاً يأتي لنادي القـتال للمـرة الأولى، ومؤخرته كأنها رغيف من الخبز الأبيض.. فلتر هذا الرجل نفسه بعد ستة اشهر.. سوف تراه كأنما هو منحوت من الخشب. إنه يثق بنفسه وقدرته على أن يتولى كل شيء .. هناك لهـاث وصـخب في نادي القتال كأنك في صالة تدريب، لكن نادي القـتال لا يعبأ بالمظهر الجميل. وحين تصحو ظهر الأحد تشعر بأن خلاصك قد تم.

بعـد ليلتي الأخيرة، مسح الرجل الذي كان يقاتلني الأرض، بيـنما طلبت أنا شركة التأمين لأطلب ذهابي لغرفة الطوارئ. في المستشـفى اخبرهم (تايلر) أنني سقطت على الأرض. أحياناً يتكلم (تايلر) عني .. وفي الخارج تشرق الشمس. أنت لا تتكلم عن نادي القـتال لأنـه لا وجـود له، ما عدا خمس ساعات من الثانية حتى السـابعة صباح الأحد. حين ابتكرنا نادي القتال لم أكن أو (تايلر) قد دخلنا أية معركة من قبل.. إن لم تر معركة من قبل فإنك تتساءل.. تتسـاءل عن الأذى .. عما تستطيع عمله إزاء رجل آخر. كنت أنا

أول مـن شـعر (تايلر) بالأمان وهو يسأله .. وكنا ثملين في البار حيث لا يعبأ أحد بما نقول ..

قال لي (تايلر):

ـ"أريد منك خدمة .."أريدك أن تضربني بأعنف ما تستطيع"

لـم أرد ذلك، لكن (تايلر) شرح لي كل شيء . الرغبة في ألا تموت من دون ندوب.. الملل من مشاهدة المصارعين المحترفين، والرغبة فـي أن تعـرف عـن نفسك أكثر. عن رغبة التدمير الذاتي. كانت حياتـي تبدو مكتملة ولربما كان علينا أن نحطم كل شيء لنصنع من انفسـنا شيئاً أفضل.. نظرت حولي وقلت: ليكن . ليكن .. لكن في الخارج في ساحة انتظار السيارات ..

لذا خرجنا وسألت (تايلر) إن كان يريد الضربة في الوجه أم المعدة .. فقال:

ـ"لتكن مفاجأة .."

قلـت له إننـي لم اضرب أحداً قط، فقال (تايلر): "إذن حان الوقت أيها المخبول"

قلت له أن يغمض عينيه، لكنه قال: "لا."

وككـل رجـل، في ليلته الأولى في نادي القتال أخذت شهيقاً عمـيقاً، وطوحت بقبضتي في فك (تايلر) ككل فيلم رعاة بقر رأيته في حياتي. لكن قبضتي ارتطمت بجانب عنق (تايلر).. اللعنة .. هذا

لا يصلح .. وأردت أن أجرب ثانية، لكن (تايلر) قال: "بل هي تصلح"

وضربني مباشرة .. كأنها تلك القفازات المتصلة بسوستة في أفلام الرسوم المتحركة التي كنا نراها صبيحة السبت.. مباشرة في منتصف صدري فسقطت للوراء فوق سيارة. ووقفنا هنالك .. (تايلر) يحك جانب عنقه وأنا أضع يدي على صدري، وكلانا نعرف أننا ذهبنا إلى مكان لم نذهب إليه قط .. مثل القط والفأر في أفلام الرسوم المتحركة ..مازلنا حيين ونرغب في أن نرى إلى أي مدى يمكننا التمادي ونظل حيين.

قال (تايلر): "جميل" .. وقلت أنا إنني أريده ان يضربني ثانية، فقال (تايلر): "لا .. أنت تضربني.."

لذا ضربته تحت أذنه بالضبط، فدفعني بعنف ودفن كعب حذائه في معدتي. ما حدث بعد هذا وبعده لا يوصف بكلمات.. لكن البار أغلق وخرج الناس يصرخون حولنا في ساحة الانتظار. وبدلاً من (تايلر) شعرت بأنني قادر على النيل من كل شيء سيئ في العالم .. المغسلة التي أعادت ثيابي وقد تهشمت بعض الأزرار .. المصرف الذي يقول إنني سحبت مئات الدولارات فوق رصيدي .. عملي حيث استعمل رئيسي الكمبيوتر الخاص بي، وعبث بملفات تنفيذ (الدوس).. و(مارلا سينجر) التي سرقت مجموعات المساندة

مني.. لم تحل أية مشكلة من مشاكلي لدى انتهاء القتال، لكن لا شيء يهم ..

كانت ليلة القتال الأولى ليلة أحد ولم يكن (تايلر) قد حلق ذقنه طيلة العطلة، لذا احترقت مفاصل أصابعي من ذقنه. وإذ رقدنا على ظهرينا في ساحة الانتظار ناظرين إلى نجم وجد طريقه عبر أضواء الشارع، سألت (تايلر) عما كان يقاتله. قال لي إنه كان يقاتل أباه.. ربما لم نكن بحاجة لأب كي نستكمل انفسنا.. لا يوجد شيء شخصي بصدد من تقاتله في نادي القتال. أنت تقاتل من أجل القتال. لا يفترض منك ان تتكلم عن نادي القتال ، لكننا تكلمنا عنه طيلة أسبوعين.. كان الناس يلتقون في ساحة الانتظار هذه بعد ما يغلق البار، وحين برد الجو تبرع بار آخر بمنحنا البدرون الذي نلتقي فيه الآن.

وحين يلتقي نادي القتال يعطي (تايلر) التعليمات التي اتفقنا عليها. يصرخ (تايلر) في قمع الضوء في مركز البدرون المليء بالرجال: "أكثركم هنا لأن شخصاً ما خرق القواعد ..لأن شخصاً ما أخبركم عن نادي القتال.. حسن .. يجب أن تتوقفوا عن الكلام أو تبدءوا نادي قتال خاصاً بكم، لأنكم اعتباراً من الأسبوع القادم ستدونون أسماءكم في قائمة، وأول خمسين اسماً هم المسموح لهم

بـــالدخول. لو دخلتم فلتبدءوا القتال حالاً.. لو لم تريدوا القتال فهناك من يريده . لذا من الأفضل أن تظلوا في بيوتكم .."

يصـــرخ (تايلر): "لو كانت هذه أول ليلة لكم في نادي القتال، فعليكم أن تقاتلوا"

إن اكـــثر الناس جاءوا لنادي القتال من اجل شيء يخافون أن يقـــاتلوه. بعد بضع معارك يقل خوفك كثيراً. بعض أفضل الأصدقاء يلـــتقون للمرة الأولى في نادي القتال. الآن أذهب للمؤتمرات فأرى وجوهـــاً على منضدة المؤتمر.. محاسبين وشباب المديرين ومحامين بـــأنوف مهشـــمة كأنها الباذنجان تحت الضمادات، أو أرى غرزتين تحـــت عين أو فكاً مثبتاً. هؤلاء هم الرجال الهادئون الذين يصغون حتى يأتي وقت اتخاذ القرار.. نهز رءوسنا لبعض .. بعدها يسألني المديـــر مـــن أين اعرف هؤلاء . طبقاً لكلام المدير صار البيزنس يضـــم عدداً أقل فأقل من السادة المهذبين وعدداً أكبر من البلطجية. ويســـتمر العرض التقديمي. وتلتقي عيناي بعيني (والتر) من شركة (ميكروســـوفت).. هو ذا رجل له أسنان سليمة وجلد أبيض، ووظيفة تستحق أن تكتب لمجلة الخريجين تسألهم عن كيفية الفوز بها. تعرف أنـــه أصغر من ان يكون قد قاتل في أية حرب.. ولو لم يكن أبواه مطلقيـــن فلابـــد أن أباه لم يأت للبيت قط.. والآن هو هنا ينظر لي ونصف وجهي حليق نظيف، بينما النصف الآخر كدمة ترمقه شذراً

فـــي الظـــلام.. الـــدم يلتمع على شفتي.. ربما هو يفكر في المآدب النباتية التي ذهب لها الأسبوع الماضي، أو ربما يفكر في الأوزون، أو يفكـــر في حاجة الأرض إلى وقف تجربة المنتجات القاسية على الحيوانات.. لكن ربما لا يفكر في هذا ..

الفصل السادس

ذات صباح أجد الواقي الذكري الذي يبدو كقنديل بحر، وهو يطفو فوق مياه المرحاض. هكذا يقابل (تايلر) (مارلا).. أنهض لأتبول فأرى هذا الشيء وسط قذارة المرحاض التي تذكرك بالرسوم على جدران كهف. لا تتمالك إلا أن تفكر .. فيم تفكر الحيوانات المنوية ؟.. ربما تقول لنفسها: هل هذا هو المهبل ؟.. ماذا يجري هنا ؟.. طيلة الليل أحلم بأن (مارلا) تمتطيني .. (مارلا) تدخن لفافة تبغها .. (مارلا) تقلب عينيها.. أصحو في فراشي، والباب إلى غرفة (تايلر) موصد الآن. كان الباب إلى غرفته لا يغلق أبداً..

انهمرت الأمطار طيلة الليل، والقوباء في سطح الغرفة تتشقق .. تتجعد .. ويتخللها المطر، ويتجمع فوق قمة جصّ الحائط، ثم يهبط عبر أسلاك الكهرباء. حينما تمطر السماء يجب أن تسحب القوابس.. فلن تجرؤ على فتح الأنوار. البيت الذي يستأجره (تايلر) مكون من ثلاثة طوابق وقبو. نحمل الشموع .. ثمة كرار وحشايا للنوم ونوافذ ذات زجاج ملون تطل على الدرج. هناك نوافذ بارزة للخارج في الردهة.. أما ألواح القاعدة فهي منحوتة وارتفاعها نحو ثمانية عشر قدماً. يهطل المطر فوق المنزل فينتفخ كل ما هو خشبي

ثم ينكمش، وتبرز المسامير وتصدأ. في كل صوب هناك مسامير صدئة تدوس عليها أو تصدمها بكوعك، وهناك حمام واحد فقط لسبع الغرف. والآن صار هناك واق ذكري مستعمل. هذا البيت ينتظر شيئاً ما .. تغييراً في التقسيم أو وصية ما .. من ثم يتم هدمه.

سألت (تايلر) عن الفترة التي قضاها هنا، فقال إنها ستة أسابيع. منذ بدء الخليقة كان هناك مالك يملك اشتراكاً لمدى الحياة في مجلتي (ريدرز دايجست) و(ناشونال جيوجرافيكس). أكوام عالية من المجلات تزداد ارتفاعاً كلما هطلت الأمطار. يقول (تايلر) إن الساكن الأخير كان يطوي أوراق المجلات البراقة لتكون مظاريف تصلح للكوكايين. لا أقفال على الباب منذ اقتحم رجال الشرطة أو شخص ما الباب. هناك تسع طبقات من ورق الحائط منتفخة على جدران حجرة الطعام. زهور تحت شرائط تحت زهور تحت طيور تحت نباتات. جيراننا الوحيدون هما ورشتان مغلقتان، وداخل المنزل توجد خزانة بها أداة للف أغطية المائدة بحيث لا تتجعد. وهناك خزانة فراء. البلاط في الحمام منقوش بزهور دقيقة أجمل من النقوش على الصيني، لكن هناك واقياً ذكرياً مستعملاً في المرحاض.

عشت مع (تايلر) شهراً.. أنا (جو ذو السلاميات البيضاء).. كيف لا يحب (تايلر) لقباً كهذا ؟.. منذ ليلتين جلس (تايلر) وحده

يرســم لــ (سنو وايت) أعضاء جنسية. فكيف أنال اهتمامه ؟.. أنا (جــو الــذي يؤلمــه ويحنقه شعوره بالاضطهاد).. والأسوأ أن هذا خطئــي. بعــد ما نمت ليلة أمس عاد (تايلر) من ورديته كساق في مطعم، واتصلت (مارلا) ثانية من فندق (ريجنت). هذا هو كل شيء كمــا قالــت (مارلا). النفق والضوء الذي يقودك في نهاية النفق .. خــبرة المــوت كانت عذبة جداً، وقد أرادت (مارلا) أن أصغي لها وهي تصف كيف ارتفع جسدها وطفا في الهواء. لم تكن تعرف هل تســتطيع الروح استعمال الهاتف، لكنها على الأقل أرادت من يسمع آخــر نفــس لهــا. لا .. لا . (تايلر) يرد على الهاتف ويسيء فهم الموقــف كله. لم يلتقيا قط لذا يفترض (تايلر) أن احتضار (مارلا) أمــر شنيع .. لا شيء من هذا القبيل. ليس هذا من شأن (تايلر) لكن (تايلر) يطلب الشرطة، و(تايلر) يركض إلى فندق (ريجنت). والآن ــ طــبقاً للعــادة الصينية القديمة التي تعلمناها كلنا من التلفزيون ــ صــار (تايلــر) مســئولاً عن (مارلا) للأبد، لأن (تايلر) أنقذ حياة (مــارلا). لو كنت قد ضحيت بدقيقتين وذهبت لأرى (مارلا) وهي تموت لما حدث شيء من هذا كله.

يحكي لي (تايلر) كيف أن (مارلا) تعيش في الغرفة رقم 8G، فــي الطــابق العلــوي من فندق (ريجنت) عبر ممر صاخب يضج بأصــوات الضحك المعلب يأتي من أجهزة التلفزيون عبر الأبواب.. كــل ثانيتيــن تســمع ممــثلة تصرخ أو ممثلاً يموت وسط طلقات الرصــاص. يصل (تايلر) لنهاية الممر وقبل أن يقرع الباب، تنطلق من باب الغرفة 8G ذراع نحيلة نحيلة بيضاء كالزبد ، وتقبض على معصــمه وتجذبــه إلى الداخل. أدفن نفسي بين أعداد مجلة (ريدرز دايجست)، بينما (مارلا) تجذب (تايلر) إلى حجرتها، كان بوسعه أن يســمع عواء الفرامل والسرينات تتجمع امام فندق (ريجنت) .. على المزيــنة هــناك عضــو ذكري صناعي (ديلدو) مصنوع من نفس البلاســتيك الوردي الذي صنعت منه ملايين الدمى (باربي).. يمكنه أن يتخــيل ملايين الدمى الصغيرة ودمى (باربي) و(الديلدو) تخرج مــن نفس خط التجميع في (تايوان). (مارلا) تنظر لــ (تايلر) وهو يتأمل (الديلدو) الخاص بها .. وتقلب عينيها وتقول:

ــ"لا تخف ... ليس خطراً عليك"

تدفعــه إلى الممر ثانية وتقول له إنها آسفة، لكن ما كان عليه أن يطلــب الشــرطة . وعلى الأرجح الشرطة موجودة في الطابق الأسفل الآن. في الممر تغلق (مارلا) باب الغرفة 8G وتقتاد (تايلر) إلــى الدرج. وعلى الدرج يلصق (تايلر) و(مارلا) جسديهما بالجدار بينما يهجم رجال الشرطة والمسعفون حاملين الأكسجين باحثين عن الــباب 8G. تخــبرهم (مارلا) أن الباب في نهاية الممر. تخبرهم (مــارلا) إن الفــتاة التي تقطن الغرفة 8G كانت لطيفة، لكنها الآن

وحش فاجر. الفتاة ركام بشري ملوث .. وهي مرتبكة تخشى ان تختار الاختيار الخطأ.. لهذا لا تختار أي شيء.. وتصرخ (مارلا):

ـ"الفتاة في الغرفة 8G لا تؤمن بنفسها .. وهي قلقة من أن تشيخ فتتضاءل الخيارات أمامها ..حظاً سعيداً"

يقف رجال الشرطة خلف الباب، على حين يهرع (تايلر) و(مارلا) عبر المدخل.. خلفهما يصرخ رجل شرطة من خلال الباب:

ـ"دعينا نساعدك يا مس (سينجر) !.. لديك كل الأسباب لتعيشي .. دعينا ندخل يا (مارلا) ولسوف نساعدك على حل مشاكلك.. !"

اندفعت (مارلا) و(تايلر) إلى الشارع، وأدخلها (تايلر) إلى سيارة أجرة وفي الطابق الثامن كان بوسعه أن يرى الظلال تتحرك أماماً وخلفاً عبر نوافذ غرفة (مارلا). وهناك في الطريق، حيث كل الأضواء والسيارات الأخرى، وستة طوابير من السيارات تتسابق نحو نقطة الزوال، تخبر (مارلا) (تايلر) أن عليه إبقاءها متيقظة طيلة الليل. فلو نامت لماتت..

كثيرون يريدون أن تموت (مارلا).. هكذا قالت لـ (تايلر). هؤلاء الناس ماتوا فعلاً وهم في الجانب الآخر الآن، لكنهم يتصلون بها هاتفياً في الليل. كانت تذهب للبارات فتسمع الساقي ينادي

باسمها، وحين ترد على المكالمة لا تسمع صوتاً. لقد بقى (تايلر) و(مارلا) ساهرين أكثر الليل في الغرفة المواجهة لي.. وحين يصحو (تايلر) تكون (مارلا) قد رحلت عائدة إلى فندق (ريجنت). أخبر (تايلر) أن (مارلا) ليست بحاجة إلى عشيق .. تحتاج إلى أخصائي اجتماعي. يقول (تايلر): "لا تدع هذا حباً.."

قصة حب قصيرة طويلة .. الآن (مارلا) قد خرجت لتدمر جزءاً آخر من حياتي. منذ أيام الكلية اكون صداقات .. ثم يتزوجون . فأفقد الأصدقاء.. حسن .. يسألني (تايلر): هل هذه مشكلة بالنسبة لي ؟.. أنا (جو ذو القبضتين المطبقتين)، فأقول لا .. لا يضايقني هذا .. صوب مسدساً إلى رأسي وادهن الحائط بمخي.. سيكون كل هذا جميلاً .. ممتازاً ..

يريدني رئيسي أن اعود للدار بسبب كل الدم المتجمد على سروالي، وأنا مسرور جداً لهذا. والفجوة التي تكونت في خدي تأبى أن تلتئم.. سأذهب للعمل لكن محجري عيني المنتفخين قطعتان من الزلابية المحروقة، وفي وسطهما ثقبان أبقيتهما كي أرى عبرهما. حتى اليوم ضايقني أن أحداً لم يلحظ ما طرأ علي من تحولات جديرة بفلسفة (زن)..لكني ما زلت أؤدي عملي الصغير على الفاكس.. أكتب تلك الأشعار اليابانية المقفاة (الهايكو) وأرسلها بالفاكس للجميع. وحين ألقى أحدهم في الردهة أقابل وجهه المعادي

بأسلوب (زن) . يمكن للنحلات العاملة أن ترحل يمكن لذكور النحل أن تحلق مبتعدة فالملكة عبدتهم تخل عن كل ممتلكاتك الدنيوية وسيارتك واذهب لتعيش في منزل مستأجر في الركن العفن من المدينة حيث في الليل تسمع (مارلا) و(تايلر) في غرفته(*). هذا يجعلني أنا مركز الكون الهادئ.. أنا بعيني المنتفختين والدم الجاف في لطخ سوداء على سروالي. أقول مرحباً لكل شخص في العمل. مرحباً !.. انظروا لي !.. أنا قد صرت (زن) للغاية!.. هذا دم .. هذا لا شيء .. مرحباً.. كل شيء هو لا شيء ومن الجميل أن يستنير المرء بالحقيقة . مثلي .. انظروا لخارج النافذة .. طائر ..

سألني الرئيس إن كان الدم دمي.. يحلق الطائر في اتجاه الريح. أكتب (الهايكو) في رأسي .. حتى بدون عش يعتبر الطائر العالم بيته.. الحياة مهنتك .. أعد على أصابعي .. خمسة .. سبعة .. خمسة .. الدم هل هو لي ؟.. نعم .. بعضه .. تلك إجابة خاطئة وكأن الأمر مهم .. لدي سروالان أسودان .. ستة قمصان بيضاء ... ستة ازواج من الثياب الداخلية .. الحد الأدنى ..أذهب لنادي

(*) لا توجد علامات ترقيم في هذه الجملة الطويلة، وواضح أنه يقلد شعر (الهايكو) الياباني..

القتال .. فتحدث هذه الأشياء .. يقول رئيسي: "عد للبيت ..واستبدل ثيابك"

بدأت أتساءل إن كان (تايلر) و(مارلا) الشخص ذاته ..ففيما عدا مضاجعتهما كل ليلة في غرفة (مارلا).. يمارسان .. يمارسان .. فإنهما ليسا في ذات الغرفة أبداً.. لا أراهما معاً أبداً.. لكنك كذلك لا تراني مع الممثلة (زازا جابور) وهذا لا يدل على اننا نفس الشخص... يمكنني ان اغسل سروالي.. يجب على (تايلر) أن يعلمني طريقة صنع الصابون .. (تايلر) في الطابق العلوي والمطبخ مليء برائحة الثوم والشعر المحروق. (مارلا) تجلس في المطبخ تحرق باطن ذراعها بلفافة تبغ وتطلق على نفسها النجاسة البشرية. "إنني أعتنق فسادي المريض المتقيح".

هذا ما تخبر به نهاية لفافة التبغ المشتعلة. (مارلا) تضغط اللفافة على بطن ذراعها البيضاء الناعمة. "احترقي .. احترقي .. احترقي.."

(تايلر) في الطابق العلوي في غرفة نومي، يتأمل أسنانه في المرآة، ويخبرني انه وجد لي وظيفة كساق بعض الوقت في مطعم. "في فندق (برسمان) لو كان بإمكانك العمل ليلاً.. إن هذا العمل سيشعل حقدك الطبقي .. ". فأقول له إنني موافق. يقول (تايلر): "

سيجعلونك تضع ربطة عنق معقودة .. كل ما تحتاج إليه لتعمل هناك هو قميص أبيض وسروال اسود."..

أقول له إننا نريد صابوناً يا (تايلر).. نريد أن نصنع صابوناً.. أريد أن أغسل سروالي.. أمسك بقدميه بينما هو يقوم بتمرين الجلوس مائتي مرة. "لنصنع الصابون يجب أن نذيب الدهن" .. (تايلر) يملك الكثير من المعلومات القيمة. وبرغم مضاجعتهما فإن (تايلر) و(مارلا) لا يتواجدان أبداً في الغرفة ذاتها .. لو كان (تايلر) موجوداً تتجاهله (مارلا)، وهذا هو أسلوب ملجأ الكلاب.. حيث مازال من يحبك لدرجة أنه ينقذ حياتك قادراً على أن يخصيك. (مارلا) تنظر لي كأنما أنا من يمتطيها وتقول: "لا أستطيع أن أربح معك .. أليس كذلك ؟".

(مارلا) تقصد الباب الخلفي مغنية أغنية (وادي الدمى) المخيفة . أنظر لها وهي ترحل.. هناك لحظة . لحظتان .. ثلاث لحظات من الصمت حتى تتوارى من الغرفة. أستدير للوراء فأرى (تايلر). يقول (تايلر): "هل تخلصت منها ؟"

بلا صوت .. بلا رائحة .. يظهر (تايلر). يقول (تايلر) وهو يثب من باب المطبخ إلى فريزر الثلاجة: "أولاً.. نحتاج إلى ان نذيب بعض الدهن".. يقول لي (تايلر) إنه لو كنت غاضباً بصدد رئيسي فعلي أن أقصد مكتب البريد، وأملأ استمارة (تغيير عنوان) له،

بحيث يرسل كل البريد الموجه له إلى (راجبي) في داكوتا الشمالية. ويجذب (تايلر) من الفريزر أكياساً مليئة بالمادة البيضاء المتجمدة ويلقيها في الحوض. أما انا فعلي ان اضع كسرولة كبيرة على الموقد وأملأها تقريباً بالماء. لو قل الماء لأسود لون الدهن إذ يتحول إلى شحم..

يقول (تايلر): "هذا الدهن يحوي الكثير من الملح .. لذا كلما زاد الماء كان هذا أفضل"

ضع الدهن في الماء، واجعله يغلي. (تايلر) يعصر الخليط الأبيض من كل كيس في الماء، ثم يدفن الأكياس في قاع القمامة..

يقول (تايلر): "استعمل خيالك قليلاً.. تذكر كل هراء الابتكار الذي علموه لك في الكشافة .تذكر كيمياء المدرسة الثانوية .. "

عسير علي أن اتخيل (تايلر) في الكشافة .. يخبرني (تايلر) أن بوسعي كذلك أن اقود السيارة لبيت المدير ذات ليلة، وأثبت خرطوماً إلى ماسورة بالخارج.. أثبت الخرطوم إلى مضخة يدوية ثم أملأ مواسير المياه في البيت بالصبغة. أحمر أو أزرق أو أخضر .. وانتظر لترى كيف يبدو المدير في اليوم التالي. أو يمكنني ان اجلس وأضخ حتى يرتفع الضغط في المواسير كلها فوق ١١٠ رطلاً لكل بوصة مربعة، وبهذه الطريقة لو ضغط احدهم السيفون لانفجر خزان المرحاض. عند ضغط ١٥٠ لو فتح أحدهم الدش لأطار ضغط الماء

قمة الدش ولتحول إلى قذيفة مورتار. (تايلر) يقول هذا ليجعلني في حالة معنوية أفضل. الحقيقة هي أنني أحب رئيسي .. بالإضافة إلى أنني مستتير الآن .. أنت تعرف هذا السلوك البوذي .. زهور (الكريمانثيموم) العنكبوتية .. دروس بوذا (السوترا).. هاري راما .. كما تعرف .. كريشنا كريشنا .. مستتير ..

يقول (تايلر): "أن تلصق ريشاً في مؤخرتك لا يعني أنك صرت دجاجة.. "

إذ يذوب الدهن يصعد الشحم على سطح الماء المغلي.. أقول: إذن أنا الصق ريشاً بمؤخرتي ..مستر ومسز (نجاسة بشرية). قلل الحرارة تحت الكسرولة.. حرك الماء المغلي.. مزيد من الشحم ينفصل حتى يتغطى الماء بطبقة من اللؤلؤ لها لون قوس القزح. استعمل ملعقة كبيرة لتزيح هذه الطبقة جانباً وأبقها. أسأله: كيف حال (مارلا) ؟..

يقول (تايلر): " على الأقل (مارلا) تحاول أن تصل للحضيض"

أحرك الماء المغلي .. استمر في إزاحة الشحم حتى لا يعود مزيد منه. هذا هو شحم التنظيف الذي نزعناه من الماء. يقول (تايلر) إنني ما زلت بعيداً عن الحضيض. ما لم أسقط للقاع فخلاصي غير ممكن. المسيح فعل هذا بالصلب.. لا يجب فقط أن اهجر المال والملكية والمعرفة .. ليس الأمر رحلة استجمام في نهاية

الأسبوع. يجب أن أنأى بنفسي عن التحسن .. يجب أن اركض نحو الكارثة. لن ألعب لعبة السلامة أولاً مرة أخرى.. هذه ليست حلقة دراسية.

يقول (تايلر): "لو فقدت أعصابك قبل ان تبلغ الحضيض، فلن تنجح أبداً.. " .. فقط بعد الكارثة يمكن أن نبعث .."فقط بعد ما تفقد كل شيء .. تصير حراً كي تعمل أي شيء.. "

ما أشعر به هو تنوير قبل الأوان .. يقول (تايلر): "واستمر في التقليب.. " .. حين يغلي الدهن بما يكفي بحيث لايبقى شحم، تخلص من الماء. أغسل الكسرولة واملأها بماء نقي. أسأله هل أنا بأي شكل قريب من القاع ؟.. يقول (تايلر): "من مكانك الآن لا يمكنك مجرد تخيل شكل القاع.."

كرر العملية مع الشحم الذي فصلته .. إغل الماء بالشحم .. واكشط واستمر في الكشط.

يقول (تايلر): "الدهن الذي نستعمله مليء بالملح .. ملح كثير جداً فلن يتماسك الصابون".. إغل واكشط .. (مارلا) قد عادت.. في الثانية الثانية (مارلا) تفتح الباب .. لقد رحل (تايلر).. تلاشى .. جرى من الغرفة .. اختفى. (تايلر) صعد للطابق الأعلى أو (تايلر) نزل للبدرون.

(مـــارلا) تدخل من الباب حاملة علبة رقائق الصودا الكاوية، مارلا تقول: "في المتجر لديهم ورق تواليت تم تدويره ١٠٠%.. لابد أن أسوأ مهنة في العالم هي إعادة تدوير ورق التواليت".

آخـــذ علبة الصودا وأضعها على المنضدة. ولا أقول شيئاً.. تقول (مارلا): "هل بوسعي قضاء الليلة هنا ؟". فلا أجيب.. أعد في رأســي خمســة مقــاطع لفظية .. سبعة .. خمسة .. النمر يستطيع الابتســام الثعبان سيقول إنه يحبك الأكاذيب تجعلنا اشراراً. (مارلا) تقول: "ماذا تطهو ؟".. أنا (جو نقطة الغليان).. أقول لها انصرفي .. فقــط انصـــرفي .. أخرجي .. ألم تظفري بقضمة كبيرة من حياتي بعـــد؟.. (مـــارلا) تمسك بكمي ريثما تقبل خدي. تقول: "أرجوك أن تطلبني .. أرجوك .. يجب أن نتكلم .. ". أقول نعم .. نعم .. نعم ..

وحيـــن تخـــرج (مارلا) من الباب يظهر (تايلر) في مؤخرة الغرفة.. كأنها حيلة سحرية .. أبواي ظلا يمارسان هذه الحيلة خمس ســنوات . أواصــل الغلـــي والكشط، بينما يفرغ (تايلر) جزءاً من الـــثلاجة. الـــبخار يـــتكاثف فـــي الهواء ويتساقط الماء من سقف المطبخ.. الضوء الخافت من المصباح ذي الأربعين وات في مؤخرة الـــثلاجة.. لا اراه خلـــف زجاجـــات الكتشاب الفارغة ومرطبانات المايونـــيز والمخلـــل. بروفيل (تايلر) يلتمع.. إغل واكشط .. ضع الشحم المكشوط في علب اللبن الكرتونية التي انتزع أعلاها.. ومن

فوق مقعد وضع أمام الفريزر يقف (تايلر) ليرقب الشحم يبرد.. في حرارة المطبخ يتكاثف الضباب الأبيض من قاع الثلاجة ويتجمع عند قدمـــي (تايلـــر). إذ أمـــلأ علـــب اللبن بالشحم، يضعها (تايلر) في الثلاجة. أركع جوار (تايلر) أمام الثلاجة فيمسك بيدي ويريني إياها. خـــط الحياة.. جبال كوكبي الزهرة و المريخ. يتجمع الضباب البارد حولنا ويضيء النور المعتم على وجوهنا. يقول (تايلر): " أحتاج إلى أن تقدم لي معروفاً آخر". هذا يتعلق بـــ (مارلا).. أليس كذلك ؟

ـــ"لا تكلمها عني أبداً.. لا تتكلم عني من وراء ظهري... هل تعـــد ؟" . فأعد .. يقول (تايلر): "لو ذكرتني أمامها فلن تراني ابداً.. ".. هكـــذا أعد .. "تعد ؟" .. فأعد. يقول (تايلر): "تذكر أنك وعدت ثلاث مرات.."

شـــيء صاف سميك يتجمع فوق الشحم في الثلاجة. أقول إن الشـــحم ينفصـــل. يقـــول (تايلـــر): " لا تقلق ..الطبقة الصافية هي الجلسرين.. يمكنك إعادة خلطه لو صنعت الصابون أو يمكنك كشطه للتخلص منه"

(تايلر) يلعق شفتيه ويقلب كف يدي لأسفل، ثم يلثم ظهر يدي ويقول:

ـــ"يمكـــنك أن تخلط الجلسرين بحمض النتريك لتحصل على النيتروجلســـرين.. ". أشهق من فمي وأقول نيتروجلسرين. (تايلر) يـــبلل شـــفتيه جيداً ثم يلثم يدي ويقول: "يمكنك خلط النيتروجلسرين

بالصـــوديوم والنشـــارة لتصنع الديناميت". أقول ديناميت .. وأجلس على كعبي.. (تايلر) ينزع الغطاء عن علبة صودا الغسيل.. (تايلر) يقول:

ـــ"يمكـــنك تفجير الجسور .. يمكنك خلط النيتروجلسرين مع حمض النتريك والبارافين لتصنع متفجرات جيلاتينية.. يمكنك تفجير بناية .. سهل .. "

(تايلـــر) يقلـــب علبة صودا الغسيل فوق ظهر يدي ببوصة..
(تايلـــر) يقـــول: "هذا حرق كيميائي.. ولسوف يؤلمك أسوأ مما لو احترقت بالنار .. أسوأ من مائة لفافة تبغ.. "

يلتمع اثر شفتيه على ظهر يدي .. يقول (تايلر): "سوف تكون عندك ندبة .. يمكنك أن تنسف العالم كله لو كان عندك قدر كاف من الصابون ..الآن تذكر وعدك"

ثم يصب (تايلر) صودا الغسيل..

الفصل السابع

أدى لعـــاب (تايلـــر) وظيفتين .. إن القبلة الرطبة على ظهر يدي أبقت رقائق الصودا في مكانها وهي تحترق.. هذه هي الوظيفة الأولـــى .. الوظيفة الثانية هي أن الصودا لا تحرق إلا حين تختلط بالماء. أو اللعاب .. "هذا حرق كيميائي.. ولسوف يؤلمك أسوأ من أي حرق سابق ".

يمكـــنك استخدام الصودا الكاوية لفتح البالوعات المسدودة .. أغمـــض عينيك .. عجينة من الصودا والماء يمكن أن تخترق مقلاة مـــن الألومنـــيوم. محلـــول من الصودا الكاوية والماء يذيب ملعقة خشـــبية. الصـــودا تسخن لأكثر من مائتي درجة، وإذ تسخن تحرق ظهـــر يدي و(تايلر) يضع أصابع يده فوق أصابعي، وفوق سروالي المتسخ بالدم. ويطلب مني (تايلر) أن انتبه لأن هذه أعظم لحظة في حياتي.

يقول (تايلر): "لأن كل شيء قبل هذه اللحظة قصة .. وكل ما بعـــد هـــذه اللحظـــة قصة ..". هذه أعظم لحظات حياتنا. الصودا المتمســـكة بلعاب (تايلر) قد صارت كنار المعسكر أو وسم بالنار أو كومـــة ذريـــة تشتعل على ظهر يدي في نهاية طريق طويل طويل

يبعد عني أميالاً. يطلب مني (تايلر) أن أعود معه. يدي تفارقني .. صغيرة في الأفق في نهاية الطريق .. تتصور أن النار ما زالت تحترق فيما عدا أنها الآن خلف خط الأفق. غروب ..

تايلر يقول: "عد إلى الألم.. ".. هذا هو نوع التأمل الموجه الذي يمارسونه في مجموعات المساعدة. للمرضى. لا تفكر مجرد التفكير في لفظة ألم. التأمل الموجه يؤدي عمله مع السرطان ويمكن أن يعمل مع هذا.. يقول (تايلر): "لا تنظر ليدك .. لا تفكر في كلمات الاحتراق أو اللحم أو الأنسجة أو التفحم .. لا تصغ لصراخك .. أنت في أيرلندا.. أغمض عينيك .. أنت في أيرلندا ذلك الصيف الذي انهيت فيه الكلية.، وأنت تحتسي الشراب في حانة قرب القلعة التي يتردد عليها السياح البريطانيون والأمريكان كل يوم، كي يلثموا حجر (بلارني). يقول (تايلر): "لا تحجب هذا المشهد.. الصابون والتضحية البشرية متلازمان". "أنت تغادر الحانة وسط حشد من الناس وتمشي وسط صمت الشوارع الرطب لأن المطر انهمر من قليل. إنه الليل .. حتى تصل إلى قلعة حجر (بلارني).. الأرضيات متحللة لهذا تتسلق الدرجات الحجرية، بينما السواد يزداد ويزداد على الناحيتين وأنت تتسلق. الكل هادئ أثناء التسلق، فقد اعتاد الجميع هذا التمرد الصغير .. ".

يقول (تايلر): "أصغ لي.. افتح عينيك .. "..(تايلر) يقول: "في الماضي كانت التضحيات البشرية تتم فوق هضبة على النهر .. آلاف الناس .. اصغ إلي .. كانت التضحيات تتم والأجساد تتفحم على محرقة.. يمكنك أن تصرخ... (تايلر) يقول: "يمكنك الذهاب إلى المغطس وترك الماء يسيل فوق يدك .. لكن عليك أولاً أن تعرف أنك غبي وسوف تموت .. انظر لي ... يقول (تايلر): "يوماً ما ستموت .. لكن حتى تتبين هذه الحقيقة أنت عديم النفع بالنسبة لي..أنت في أيرلندا .. يمكنك أن تبكي .. لكن كل دمعة تهبط فوق الصودا الكاوية على جلدك ستترك ندبة كأنها حرق سيجارة. ".. تأمل موجه .. "أنت في أيرلندا ذلك الصيف الذي تركت فيه الكلية" .. ربما كانت هذه أول مرة أردت فيها ممارسة الفوضوية .. قبل ان تلتقى (تايلر دوردن) بأعوام .. قبل أن تفسد براءتك الأولى .. تعلمت بعض أعمال التمرد البسيطة .. في أيرلندا أنت .. تقف على رصيف في قمة الدرجات في قلعة..يقول (تايلر): "يمكننا استعمال الخل .. كي نعادل الحرق .. لكن عليك أن تستسلم أولاً.."

يقول (تايلر):"بعد ما تمت التضحية بمئات البشر، وأحرقوا .. خرج إفراز أبيض سميك من المذبح ليهبط إلى النهر .. عليك أولاً أن تصل إلى الحضيض .. أنت تقف على منصة في قلعة في أيرلندا وظلام بلا قاع حول الحافة .. وأمامك على بعد ذراع من الظلمة

يوجد جدار صخري .. يقول (تايلر): "المطر ينهمر فوق المحرقة عاماً تلو عام .. وعاماً تلو عام يحرق الناس، والمطر يسيل عبر الرماد المحترق ليصير محلول صودا كاوية، ويختلط هذا بالدهن الذائب للضحايا ..فيتكون إفراز سميك من الصابون يزحف من قاعدة المذبح، ويهبط إلى السفح نحو النهر. " والأيرلنديون من حولك، وهم يمارسون أعمال التمرد البسيطة. يمشون نحو الحافة ويقفون مطلين على الظلمة اللا متناهية تحتهم ويتبولون. ويقولون لك هلم .. تبول بولك الأمريكي الثري الأصفر بفعل الفيتامينات.. غال وثري ويتم التخلص منه .. يقول (تايلر): "هذه أروع لحظة في حياتك ..لكنك في مكان ما فلا تلحق بها..". "أنت في أيرلندا تقوم بذلك العمل .. أوه .. نعم .. يمكنك أن تشم الأمونيا وجرعتك اليومية من الفيتامينات .. وحين يسقط الصابون في النهر بعد ألف عام من قتل الناس والمطر، وجد القدامى أن ثيابهم تصير أنظف لو غسلوها هنا . أنا اتبول على حجر (بلارني).. أنا اتبول في سروالي الأسود ببقع الدم الجافة عليه التي لا يطيقها رئيسي. أنت في بيت مستأجر في (بيبر ستريت)..

يقول (تايلر)": هذا له معنى ما ..". يقول (تايلر): " هذه علامة .. ".. (تايلر) يملك معلومات مهمة .. الثقافات التي لم تعرف الصابون كانت تستعمل بولها وبول الكلاب لغسيل الثياب والشعر؛

لأن حمض البوليك يحوي الكثير من الأمونيا .. رائحة الخل والنار على ظهر يدك في نهاية طريق طويل تتلاشى. رائحة صودا الغسيل تحرق المسارات المتشعبة لجيوبك الأنفية.. يقول (تايلر): "كان قتل كل هؤلاء الناس عملاً صائباً.. ".. ظهر يدك أحمر منتفخ لامع بنفس شكل قبلة (تايلر).. حول الشفتين تتناثر حروق سيجارة جاءت من شخص يبكي.

يقول (تايلر): "افتح عينيك .. " ووجهه يلتمع بالدموع .."أهنئك .. لقد صنع أول صابون من الأبطال .. فكر في الحيوانات التي يستعملونها في تجربة المنتجات . فكر في القردة التي يقذفونها إلى الفضاء ". يقول (تايلر): "من دون موتها .. من دون عذابها .. من دون تضحيتها لما امتلكنا شيئاً.. "

أوقف المصعد بين الطوابق، بينما يفك (تايلر) حزامه. حين يتوقف المصعد تتوقف سلطانيات الحساء الموضوعة على عربة البوفيه عن الاهتزاز. ويتصاعد بخار عش الغراب إلى سقف المصعد، بينما ينزع (تايلر) الغطاء عن سلطانية الحساء. (تايلر) يقول :" لا تنظر لي .. وإلا فلن استطيع الاستمرار". الحساء ثخين من الطماطم وعشب (السيلانترو) والمحار.. بين رائحة الاثنين لا يمكن لأحد أن يشم أي شيء نضعه فيه..

أقول له أن يسرع وأنا أنظر من فوق كتفي إلى (تايلر) وهو ينتهي من عمله .. يبدو لي الأمر مضحكاً كأنما هو فيل طويل يلبس قميص ساق وربطة عنق، وهو يشرب الحساء بخرطومه الصغير.

يقول (تايلر): "لا تنظر لي".. للمصعد أمامي نافذة صغيرة تسمح لي برؤية ردهة خدم المطعم. لكن وقد توقف المصعد بين طابقين فأنا أرى صرصوراً فوق مشمع الأرضية الأخضر. ومن هناك يمتد الممر لنقطة الزوال، وأبواب نصف مفتوحة حيث الجبابرة وزوجاتهم من العمالقة يحتسون براميل الشامبانيا ، ويجأرون في بعضهم البعض مرتدين لآلئ أكبر مما أتصور.. أخبر (تايلر) أنه في الأسبوع الماضي حين كان محاميو (إمباير ستيت) هنا لاحتفال الكريسماس، قمت بالإيلاج في حلوى البرتقال بالكريم الخاصة بهم. يخبرني (تايلر) أنه في الأسبوع الماضي أوقف المصعد وأخرج غازات بطنه في الحلوى المخصصة لحفل شاي (رابطة الشباب). لأن (تايلر) يعرف ان حلوى (الميرنج) تمتص الرائحة. على مستوى الصرصور نسمع عازفي (الهارب) الأسرى يعزفون، بينما يرفع الجبابرة شوكاتهم المحملة بلحم الحملان، وكل قضمة بحجم خنزير كامل، وكل فم كأنه مجموعة أحجار قاطعة عاجية من (ستونهنج).. أقول هيا .. يقول (تايلر): "لا أستطيع .. "

لو برد الحساء لأعادوه .. العمالقة سيعيدون شيئاً ما للمطبخ بلا سبب ..فقط يريدون أن يروك تجري من أجل مالهم . في عشاء كهذا هم يعرفون أن البقشيش ضمن الفاتورة لذا يعاملونك كأنك قذارة.. في الحقيقة نحن لا نعيد شيئاً للمطبخ . غير وضع البطاطس الباريسية والأسبيرجيس الهولندي في الطبق قليلاً، وقدمه لشخص آخر.. وفجأة سوف يصير ممتازاً. أقول شلالات نياجرا .. نهر النيل..

في أيام المدرسة كنا نعتقد أنه لو وضعت يد شخص ما في سلطانية من الماء الدافئ وهو نائم، فإنه يبلل فراشه. يقول (تايلر) من خلفي: "أوه .. نعم .. لقد نجحت .. نعم ..نعم .."

خلف الأبواب نصف المفتوحة في قاعات الرقص، والتنورات الذهبية والحمراء والسوداء الطويلة كستائر مسارح (برودواي) القديمة.. من حين لآخر تصل أزواج من سيارات (الكاديلاك) بجلد أسود حيث كان يجب أن يوجد الزجاج. فوق السيارات مدينة من الأبراج في حزام أحمر.. (تايلر) وأنا صرنا رجلي حرب عصابات ضد مهنة التخديم.. مخربين لحفلات العشاء .. إن الفندق يستضيف حفلات العشاء، وحين يطلب أحدهم الطعام، فإنه يظفر بالطعام والشراب والصيني والزجاج والساقي.. ويأخذون كل هذا في فاتورة

واحدة.. ولأنهم يعرفون انهم لا يستطيعون تهديدك، فأنت بالنسبة لهم مجرد صرصور.

ذات مـرة أشرف (تايلر) على حفل عشاء، كان هذا قبل أن يـتحول إلى ساق خائن.. في هذا الحفل كان يقدم طبق الأسماك في ذلك البيت الأبيض الزجاجي، الذي يطفو فوق المدينة على أرجل من صـلب مثبـتة إلـى جوانـب التل. وأثناء المأدبة بينما كان يغسل الصلصـة مـن الأطـباق، جاءت صاحبة الدار إلى المطبخ حاملة قصاصة ورق ترفرف كأنها العلم، ويدها ترتجف بشدة. بين اسنانها المطـبقة كانـت المـدام تـريد معرفة ما إذا كان السقاة رأوا أحد الضـيوف يـتجه إلى الممر الذي يقود إلى غرف النوم ؟.. خاصة النساء من الضيوف .. أو صاحب الدعوة ؟..

في المطبخ يقف (تايلر) و(ألبرت) و(لين) و(جيري) يشطفون ويصـفون الأطـباق، وطباخة تدعى (ليزلي) تخلط زبد الثوم فوق رءوس الخرشوف المحشو بالجمبري والمحار. يقول (تايلر): " ليس مفترضـاً بـنا الذهـاب إلى هذا الجزء من البيت .. نحن ندخل من المـرآب .. كـل مـا هو مسموح لنا أن نراه هو المرآب والمطبخ وغرفة الطعام".

يأتـي المضـيف من خلف زوجته على باب المطبخ، ويأخذ قصاصـة الورق من يدها المرتجفة. ويقول: "كل شيء على ما يرام

..". تقول له: "كيف أواجه كل هؤلاء الناس قبل أن اعرف من فعل هذا..؟"

يضع المضيف يده مفتوحة على ظهر ثوبها الحريري الأبيض الذي يناسب لون بيتها، فتستقيم المدام في وقفتها وتهدأ فجأة .. يقول: "كلهم ضيوف.. وهذا الحفل مهم جداً.. "

يـبدو هـذا مضـحكاً كأنه متكلم من البطن يعيد الحياة إلى دميـته.. المـدام تنظر لزوجها ثم يأخذها الزوج عائدين إلى غرفة الطعام. تسقط الورقة على الأرض بينما الباب يصدر هسيساً ويقذف الورقة عند قدمي (تايلر). يقول (تايلر): "ماذا فيها ؟". يبدأ (لين) في تنظـيف أطباق السمك، وتعيد (ليزلي) صينية الخرشوف إلى الفرن وتقول: "ماذا فيها ؟"

ينظر (تايلر) إلى يمين (ليزلي) ويقول دون أن يلتقط المذكرة: "مكتوب: لقد تبولت في أكثر من قنينة من عطورك الفاخرة.". يبتسم (ألـبرت): "أنت تبولت في عطرها ؟". يقول (تايلر) لا .. فقط ترك المذكـرة بين الزجاجات.. عندها نحو مائة زجاجة فوق رف المرآة في حمامها . وتبتسم (ليزلي): "إذن أنت لم تفعل هذا حقاً ؟"

يقـول (تايلر) :" لا .. لكنها لا تعرف هذا ..". وطيلة ما بقى مـن اللـيل فـي حفل العشاء في ذلك البيت الأبيض والزجاجي في السـماء، ظـل (تايلر) ينظف الأطباق من الخرشوف البارد، ولحم

العجل البارد بالـ(بوم دوشيس) ثم الـ (شوفلير آ لا بولونيز) البارد .. ويملأ كأسها بالخمر اثنتي عشرة مرة. والمدام جالسة تراقب كل واحدة من ضيفاتها تلتهم الطعام، إلى أن جاءت لحظة ما بين إخلاء أطباق (الدندورمة) وتقديم جاتوه المشمش، خلا فيها مكان السيدة عند رأس المائدة.

كانوا يغسلون الأطباق بعد رحيل الضيوف، ويضعون الصيني في عربة الفان الخاصة بالفندق، حين جاء صاحب الدعوة إلى المطبخ، وطلب أن يسمح (ألبرت) بمساعدته في حمل شيء ثقيل. تقول (ليزلي) لربما تمادى (تايلر) أكثر من اللازم. بصوت عال يخبرها (تايلر) كيف انهم يقتلون الحيتان لصنع هذا العطر الذي يكلف أكثر من وزنه ذهباً لكل أوقية. أكثر الناس لم يروا حوتاً قط .. إن لـ (ليزلي) طفلين يعيشان في شقة قرب الطريق المجاني، والمدام صاحبة الدعوة لديها دولارات في زجاجات بالحمام تفوق ما يمكن أن نحققه كلنا في عام. يعود (ألبرت) حيث كان مع صاحب الدار ويطلب رقم النجدة ٩١١ على الهاتف. يضع يداً على فمه ويقول: ما كان على (تايلر) أن يترك تلك المذكرة.. يقول (تايلر): "إذن أخبر بهذا مديري في الفندق .. فلتفصلوني .. أنا لست متزوجاً من هذه المهنة الحقيرة".

ينظر الجميع إلى أقدامهم. فيقول (تايلر): "الفصل هو أفضل شيء يمكن أن يحدث لأي واحد منا .. بهذه الطريقة نكف عن الركض على الماء ونفعل شيئاً بحياتنا..". (ألبرت) يقول في الهاتف إننا بحاجة إلى سيارة إسعاف ويخبرهم بالعنوان. ومنتظراً جوار الهاتف يخبرنا أن صاحبة الدار في حال سيئة الآن .. كان على (ألبرت) أن يحملها حملاً من المرحاض. لم يستطع صاحب الدار حملها لأن المدام تتهمه بأنه هو من بال في زجاجات عطرها .وتقول إنه يحاول دفعها للجنون عن طريق إقامة علاقة مع واحدة من الضيفات الليلة، وهي قد تعبت .. تعبت من كل هؤلاء الذين يعتبرونهم أصدقاء لهم.. لم يستطع صاحب الدار أن يحملها لأن المدام سقطت خلف المرحاض في ثوبها الأبيض، وهي تلوح بزجاجة عطر نصف مهشمة. المدام تقول إنها ستذبحه لو حاول فقط أن يلمسها.

يقول (تايلر): "جميل". ورائحة (ألبرت) كريهة. تقول (ليزلي): "(ألبرت) يا حبيبي .. أنت كريه الرائحة" . يقول (ألبرت): ما من طريقة تخرج بها من ذلك الحمام من دون أن تكون رائحتك كريهة. كل زجاجات العطر مهشمة على الأرض والمرحاض مليء بباقي الزجاجات. تبدو كالثلج . كحفلات الفندق الباهظة التي نملأ فيها المبولات بالثلج المهشم. الحمام كريه الرائحة

والأرض خشـــنة مـــن رقـــائق الثلج الذي لا يذوب.. وحين ساعد (ألـــبرت) المدام على الوقوف كان ثوبها الأبيض مبللاً ببقع صفراء، وقـــد قذفت المدام بالزجاجة المهشمة على صاحب الدار. تتعثر في الـــزجاج والعطـــر فتسقط على راحتيها. إنها تبكي وتنزف وتتكوم جـــوار المرحاض. والألم يلسعها . تقول: "أه يا (والتر)... إنه يلسع .. يلســـع .". عطـــر كـــل الحيتان الميتة في الجروح بيديها .. وهو يلسعها. صاحب الدار يجذب المدام نحوه وهي تضم يديها كأنما هي تصـــلي لكـــن يديهـــا متباعدتان، والدم يجري على الراحتين وأسفل المعصم، فوق سوار ماسي، ثم إلى كوعيها.

ويقـــول صـــاحب الدار: " سيكون كل شيء على ما يرام يا (نينا).. ". تقول المدام: "يداي يا (والتر) .. من يفعل هذا بي ؟.. من يمكن أن يكرهني إلى هذا الحد ؟.. ". صاحب الدار يقول لألبرت: "هلا طلبت سيارة إسعاف ؟"

هـــذه كانـــت أولى مهام (تايلر) كإرهابي ضد مهنة التخديم. رجـــل حرب عصابات .. لقد ظل يمارس هذا أعواماً لكنه يقول إن الأمـــر سيصير أمتع لو تقاسمه اثنان. في نهاية قصة (ألبرت) يبتسم (تايلر) ويقول: "جميل".

ونعـــود إلـــى الفندق حيث المصعد الواقف بين طابقين، أخبر (تايلـــر) كـــيف عطست في صلصة السمك المنقط في مؤتمر أطباء

الأمـــراض الجلديـــة، وقد قال لي ثلاثة أشخاص إن الصلصة كانت مالحـــة جداً، وقال واحد إنها كانت طيبة المذاق. يهز (تايلر) ما بقي مـــنه فوق سلطانية الحساء. هذا أسهل مع الحساء البارد والبطاطس الممهوكة (فيشيسواز) أو (الجازباشو). لا يمكن عمل هذا مع حساء البصل الذي تكون على سطحه طبقة من الجبن الذائب. لو أكلت هنا في يوم من الأيام فلن أطلب إلا حساء البصل ..

كنا قد بدأنا نفلس من الأفكار، وصار ما نقوم به للطعام مملاً كأنـــه جزء من واجبات العمل. ثم سمعت أحد المحامين أو الأطباء ـــ لا يهـــم ـــ يقول إن جرثومة الالتهاب الكبدي تعيش على الفولاذ غير القابل للصدأ ستة اشهر. سألت الطبيب عن السبيل الذي نحصل منه على جرثومة الالتهاب الكبدي. كان ثملاً بما يكفي كي يضحك .. كـــل شيء يذهب إلى مستودع النفايات الطبية ..هذا ما يقول. ثم يضحك. كل شيء ..

أضـــع يـــدي علـــى مفـــتاح المصعد، وأسأل (تايلر) إن كان مســـتعداً، إن الـــندبة علـــى ظهر يدي منتفخة حمراء لامعة كشفتين تحملان ذات شكل قبلة (تايلر). يقول (تايلر): "ثانية واحدة.."

لابـــد أن صلصة الطماطم ما زالت ساخنة لأن الشيء الذي يعيده (تايلر) لسرواله الآن أحمر تماماً كأنه جمبري عملاق.

الفصل الثامن

فـــي أمـــريكا الجنوبـــية ــ أرض السحر ــ كان بوسعنا أن نخـــوض النهر حيث يسبح السمك الصغير في إحليل (تايلر). للسمك أشواك تخرج وتدخل في جسده، ويتأهب لوضع البيض.. وفي جميع الأحوال فإن طريقتنا في قضاء ليلة السبت يمكن أن تكون أسوأ.

يقول (تايلر): "كان يمكن أن يكون أسوأ .. هذا الذي فعلناه بأم (مـــارلا)". أقول له أن يخرس. يقول (تايلر): " كان بوسع الحكومة الفرنســية أن تأخذنـــا إلـــى مجموعـــة مـــبان تحت الأرض خارج (بـــاريس)، حيث يقتلع عيوننا لا الجراحون بل مجموعة من الفنيين متوســـطي المهـــارة، وذلك بغرض قياس سمية دهان بالرش. يقول (تايلر): "هذه الأمور تحدث .. فقط إقرأ الصحف .."

أما ما هو أسوأ فهو انني أعرف ما فعله (تايلر) بأم (مارلا). للمـــرة الأولى منذ قابلته كان (تايلر) قد ربح بعض المال في اللعب. (تايلـــر) يمتلك بعض الدولارات الحقيقية.. لقد اتصل (نوردستروم) وترك طلباً بمائتي قطعة من صابون الوجه البني الخاص بـــ (تايلر) قـــبل الكريسماس. لو حسبنا قطعة الصابون بعشرين دولاراً ـــ وهو ســـعر الجملة المقترح ـــ لكان لدينا مال يكفي للخروج ليلة السبت.

مـــال يكفـــي لإصـــلاح التسرب في أنبوب الغاز.. يكفي لأن نذهب للـــرقص .. لو كففت عن القلق بصدد المال لكان بوسعي أن أستقيل من عملي. (تايلر) يدعو نفسه (شركة صابون بيير ستريت).. الناس يقولون إن هذا أفضل صابون في العالم. يقول (تايلر): "كان الأسوأ ليقع لو أنك أكلت أم (مارلا) بطريق الخطأ".

أقـــول له أن يخرس بحق الجحيم، وفمي مليء بدجاج (كونج بـــاو). المكـــان الذي نحن فيه مساء السبت هذا هو مقعد أمامي في سيارة (إمبالا) موديل ١٩٦٨، تقف على إطارين فارغين في الصف الأمامـــي مـــن معـــرض سيارات مستعملة. أنا و(تايلر) نتحدث .. نحتســـي الجعـــة من العلب .. وهذا المقعد الأمامي أكبر من أرائك معظم الناس. في مهنة بيع السيارات يطلقون على هذه الساحات اسم (ســـاحات قـــدور المال)، حيث تقدر تكلفة كل سيارة بحوالي مائتي دولار. وفـــي النهار يقف الغجر الذين يديرون هذه الساحات خارج مكاتـــبهم الخشبية، ويدخنون لفافات تبغ طويلة رفيعة. هذه السيارات هـــي تلـــك الســـيارات المنقضة التي تكون أول ما يقوده الطلبة في المدرســـة الـــثانوية: جرملينز .. بيسرز .. ميفريكز .. هونيتس .. بنتو .. كامارو .. دستر .. إمبالا.. سيارات أحبها الناس ثم تخلصوا

منها .. حيوانات في الحظيرة .. ثياب عرس في (جودويل)..خشب من اللدائن .. وجلد من اللدائن .. ودواخل كروم من اللدائن..

في الليل لا يغلق الغجر أبواب السيارات. الأضواء في الجادة تلتمع على السعر المكتوب على زجاج السيارة الأمامي العريض. شاهد الولايات المتحدة .. السعر ٨٩ دولاراً.. من الداخل يبدو الرقم كأنه ٨٩ بنساً. صفر .. صفر .. علامة عشرية .. ثمانية .. تسعة .. أمريكا تطالبك بالاتصال .. أكثر السيارات هنا سعرها في حدود ١٠٠ دولار، وكل السيارات عليها اتفاقية البيع (بحالتها) على الزجاج أمام السائق.

نحب (الإمبالا) لأنه لو أردنا النوم في سيارة ليلة السبت فإن هذه السيارة بها المقاعد الأكبر. نأكل طعاماً صينياً لأنه ليس بوسعنا الذهاب للبيت. إما ان ننام هنا أو نظل ساهرين طيلة الليل في ناد للرقص. لكننا لا نذهب لأندية الرقص .. (تايلر) يقول إن الموسيقا هناك صاخبة جداً، خاصة جيتار (الباص). إنه ينسف إيقاعك الحيوي. آخر مرة خرجنا فيها قال (تايلر) إن الموسيقا العالية تصيبه بالإمساك. وبعد كأسين من الشراب يشعر كل واحد بأنه مركز الاهتمام، لكنه منفصل تماماً عن المشاركة مع أي واحد آخر. أنت الجثة في قصة بوليسية بريطانية..

ننام في السيارة لأن (مارلا) جاءت للبيت وهددت باستدعاء الشرطة واعتقالي لأنني طهوت أمها.. ثم خرجت من البيت وراحت تصرخ أنني غول وآكل لحوم بشر، وراحت تركل أعداد الريدرز دايجست وناشونال جيوجرافيكس، فتركتها هناك. باختصار.. بعد محاولتها المزيفة للانتحار بالزاناكس في فندق (ريجنت)، ليس بوسعي أن أتصورها تطلب الشرطة، لكن (تايلر) رأى من الحكمة أن ننام في الخارج هذه الليلة. على سبيل الاحتياط .. احتياطاً لأن تحرق (مارلا) البيت .. احتياطاً لأن تجد (مارلا) سلاحاً .. احتياطاً لأن تكون (مارلا) ما زالت في البيت ..

أراقب وجه القمر الأبيض .. النجوم لا تغضب .. الخ .. الخ .. الخ .. وينتهي الأمر هنا بعلبة بيرة في يدي، داخل السيارة الإمبالا بعجلة قيادتها الباردة الصلبة المصنوعة من (البكليت)، والتي يصل قطرها لثلاثة أقدام. والمقعد المصنوع من الفينيل يلدغ مؤخرتي عبر سروال الجينز. يقول (تايلر): "مرة اخرى قل لي ما حدث بالضبط"

لعدة أسابيع تجاهلت ما كان يزمعه (تايلر). ذات مرة ذهب لمكتب البريد وراقبته وهو يرسل برقية لأم (مارلا): " أنا مجعدة بشكل فظيع (قف).. أرجوك ساعديني (قف)". وأخرج للموظف بطاقة مكتبة (مارلا) ووقع باسمها على البرقية. وصاح أن نعم .

يمكــن أن يكون اسم (مارلا) لرجل. لهذا لم يستطع الموظف إلا أن يهــتم بشئونه الخاصة. وإذ غادرنا مكتب البريد قال (تايلر) إن علي أن أثــق به إذا كنت احبه. لم أكن بحاجة لمعرفة هذا .. ثم أخذني (تايلــر) إلى مطعم (جاربونزو) لالتهام الحمص. ما أثار رعبي ليس البرقــية بل أن (تايلر) لم يعد يسيطر على نفسه .. لم أر (تايلر) قط يدفع المال نقداً لأي شيء ..(ولا الثياب .. إن (تايلر) يذهب للأندية والفــنادق ويزعم أنه يجمع الثياب لجمعيات البحث عن المفقودين .. هــذا أفضل من (مارلا) التي تقصد المغاسل العامة لتسرق سراويل الجيــنز مــن المجففات، وتبيعها مقابل ١٢ دولاراً في الأماكن التي تبــتاع الجيــنز المســتعمل). . (تايلــر) لا يأكل في المطاعم أبداً.. و(مارلا) لم تصب بالتجاعيد ..

بلا سبب واضح أرسل (تايلر) لأم (مارلا) صندوق شيكولاته يــزن خمسين رطلاً. يقول لي (تايلر) حيث جلسنا في (الإمبالا): " كان يمكن لهذه العطلة أن تكون أسوأ بسبب العنكبوت الناسك البني". حيــنما يعضــك لا يحقــنك بالســم فحسب، بل بإنزيم هاضم يذيب الأنسجة حول العضة.. أي أنه يذيب ذراعك أو وجهك حرفياً.

كــان (تايلــر) يتوارى هذه الليلة حين حدث كل هذا. ظهرت (مــارلا) فــي البيــت دون أن تدق الباب، وتنحني صائحة : "توك تــوك!". أنا أقرأ (ريدرز دايجست) في المطبخ. شارداً بالكامل ..

تقول (مارلا): " (تايلر).. هل لي أن ادخل ؟.. هل أنت في الدار ؟" .. أصــيح فــيها أن (تايلــر) لــيس بالدار. تقول (مارلا): "لا تكن سافلاً.."

الآن أنــا عند الباب الأمامي .. (مارلا) تقف في البهو ومعها طرد يحمل شعار (فيدرال إكسبريس) وتقول: "أردت وضع شيء في الفريــزر عندكم". أتبعها إلى المطبخ وأنا أردد لا .. لا .. لا .. لن تــبدأ في تخزين مهملاتها في هذا البيت. (مارلا) تقول: "ليس لدي فريــزر في الفندق، وأنت تقول إن هذا بوسعي". لا .. لم أقل.. آخر مــا أريــده هو أن تحضر (مارلا) جزءاً من مخلفاتها في كل مرة. (مــارلا) قــد فتحت طرد (فيدرال إكسبريس) على منضدة المطبخ، وأخرجــت شــيئاً مــن تغليف الــ (ستيروفوم) وهزت هذا الشيء الأبيض في وجهي.

ــ"هــذه ليســت مهملات .. هذه أمي التي تتكلم عنها .. لذا اغرب عن وجهي".

مــا تخــرجه (مارلا) من الطرد هو واحد من الأكياس ذات المحــتوى الأبيض التي استخرج منها (تايلر) الشحم. يقول (تايلر): "كــان يمكن للأمور أن تسوء أكثر لو أنك بالصدفة اكلت محتويات هــذه الأكياس.. لو نهضت في منتصف الليل، وعصرت إفراز أحد

هذه الأكياس وأضفت له خليط حساء بصل (كاليفورنيا) ثم التهمته مع رقائق البطاطس أو البروكولي.. ".

كان أكثر شيء أريده في العالم هو ألا تفتح (مارلا) الفريزر . سألتها عما ستفعله بالمادة البيضاء، فقالت : "شفاه باريسية .. كلما تقدمت في العمر انسحبت شفتاك إلى داخل فمك .. لهذا أدخر لجراحة حقن للشفتين بالكولاجين. لدي حوالي ثلاثين رطلاً من الكولاجين في الفريزر. "

سألتها عن الحجم الذي تريد أن تنفخ شفتيها إليه، تقول (مارلا) إن الجراحة نفسها هي ما يثير قلقها. أخبر (تايلر) أن المادة في طرد (فيدرال إكسبريس) هي ذات المادة التي صنعنا منها الصابون. منذ اتضح أن السيليكون خطر، صار الكولاجين هو المادة الأهم لإزالة التجاعيد ولنفخ الشفاه. شرحت لي (مارلا) أنك تحصل على الكولاجين رخيصاً من دهن الأبقار الذي تم تعقيمه وتعبئته. لكن هذا الكولاجين الرخيص لا يبقى طويلاً في جسدك. لو حقنت به يطرده الجسد وبعد ستة اشهر تعود شفتاك نحيلتين. أفضل الكولاجين هو دهنك الخاص يتم امتصاصه من فخذيك ويعقم ثم يحقن في شفتيك أو حيث تريد. هذا النوع من الكولاجين يدوم. الشيء الموجود في الفريزر هو رصيد (مارلا) المدخر من الكولاجين. فكلما ازدادت أمها سمنة، أجرت جراحة شفط وتعبئ هذا الدهن.

وتقول (مارلا) إن العملية تدعى (التلقيط).. لو لم تحتج ام (مارلا) للكولاجين ترسل بالطرود إلى (مارلا). ليس لدى (مارلا) دهن خاص بها، وأمها تعتقد أن كولاجين الأسرة سيكون أفضل لـ (مارلا) من دهن البقر الرخيص.

أضواء الشارع عبر الجادة تدخل إلى النافذة فتطبع على خد (تايلر) كلمة (بحالتها). يقول (تايلر): "العناكب تستطيع ان تبيض، واليرقة تخترق الطريق تحت جلدك.. هذا هو اسوأ ما يمكن ان تصير إليه حياتك"، اشعر في هذه اللحظة أن شطيرة الدجاج باللوز التي آكلها، بصلصتها الدافئة لها مذاق الدهن الذي تم شفطه من فخذي أم (مارلا).

كان وانا أقف في المطبخ مع (مارلا) أنني فهمت ما فعله (تايلر). (مجعدة بشكل فظيع).. وعرفت لماذا ارسل الحلوى لأم (مارلا).. (أرجوك ساعديني).. أقول لـ (مارلا) ليس من مصلحتك أن تنظري في الفريزر. (مارلا) تقول: "أفعل ماذا ؟". يخبرني (تايلر) في الإمبالا: "نحن لا نأكل اللحم الأحمر أبداً.." وليس بوسعه استعمال دهن الدجاج لأن الصابون لن يتجمد في شكل قطع. أقول إنه كان عليه ان يخبر (مارلا).. الآن تعتقد أنني من فعل هذا..

يقول (تايلر): "التصبن .. هو التفاعل الكيماوي الذي تحتاج إليه لتصنع صابوناً جيداً.. لن يصلح دهن الدجاج أو أي دهن به ملح

أكــثر من اللازم". يقول (تايلر): "اسمع .. إن لدينا طلبية كبرى .. كـل مـا علينا هو أن نرسل لأم (مارلا) بعض الشيكولاته.. وربما بعــض كعـك الفاكهــة".. لا أعتقد هذا يصلح .. لنختصر القصة، نظــرت (مارلا) إلى داخل الفريزر. في البداية كانت هناك مشاجرة صــغيرة .. أحاول أن توقفها، فتسقط حقيبتها فوق مشمع الأرضية، فننزلق معاً فوق القذارة البيضاء المشحمة. أمسك بــخصر (مارلا) من الخلف .. شعرها الأسود يضرب وجهي. ذراعاها إلى جانبيها .. أقــول لهــا مراراً ومراراً إنني لست من فعل هذا .. "أمي !. أنت تسكبها في كل مكان !!"

أخــبرها إنــنا كنا بحاجة لعمل صابون.. كان علي أن أغسل ســروالي .. أن ندفع الإيجار .. أن نصلح الثقب في خط الغاز.. لم يكن أنا .. (تايلر) هو الفاعل.. تقول (مارلا): "إلام تنظر ؟". وتجمع تنورتها.

أحــاول النهوض من الأرض الزلقة ممسكاً ملء ذراعي من تنورتها القطنية، و(مارلا) _ التي صارت بسروالها الداخلي وحذائها ذي الكعــب العالــي وبلوزتها – تفتح الفريزر. وبالداخل لا يوجد رصيد من الكولاجين. هناك بطاريتان ولا شيء غير هذا .."أين هي ؟" .. أنــا ازحــف للــوراء ويداي وحذاءاي ينزلقان فوق المشمع. مؤخرتــي تمســح مســاراً نظــيفاً في المستنقع بعيداً عن (مارلا)

والــثلاجة. أرفــع التــنورة لوجهــي كي لا أرى وجه (مارلا) وأنا اخــبرها. الحقــيقة .. لقــد صــنعنا مــنه صابوناً.. منها .. من أم (مارلا).. صابون ؟

".. صابون .. تغلي الدهن وتخلطه بصودا الغسيل .. تحصل علــى الصــابون". حيــن بدأت (مارلا) تصرخ رميت بالتنورة في وجههــا وجريــت. (مارلا) تركض ورائي .. تتدحرج في الأركان .تــنزلق .. تترك بصمات يد قذرة من الشحم وقذارة الأرضية على ورق الحائط ..تطلب المدد .. تجري .. (مارلا) تصرخ: "أنت غليت أمي !!". (تايلر) غلى أمها . الباب الأمامي كان مازال مفتوحاً، لهذا فــررت مــنه بينما (مارلا) تصرخ في فتحته من خلفي. لم تنزلق قدماي على خرسانة الممشى وواصلت الجري. حتى وجدت (تايلر) أو وجدني (تايلر). وحكيت له ما حدث.

أمســك كــل مــنا علــبة بيرة وتمدد على المقعد الأمامي أو الخلفــي. حــتى هــذه اللحظــة لابــد أن (مارلا) في البيت، ترمي بــالمجلات في الجدار وتصرخ كيف أنني حقير، ووحش ورأسمالي ذو وجهيــن، ووغــد مــنحرف. الأميال بين (مارلا) وبيني تمتلئ بالحشرات وسرطان الجلد والفيروسات آكلة اللحم. أنا الآن في مكان ليس بهذا السوء.

يقـول (تايلـر) :" حيـن يضرب البرق إنساناً يحترق رأسه ليصير كرة (بيزبول) متفحمة .. ويغلق زمامه نفسه".. أسأله إن كنا وصـلنا الحضـيض اللـيلة ؟.. فيضطجع (تايلر) ويقول: "لو كانت (مارلين مونرو) حية هنا الآن، فماذا كانت ستفعله؟". أقول له مساء الخير. يقول (تايلر): "كانت ستغرس مخالبها في غطاء تابوتها .."

الفصل التاسع

يقف رئيسي جوار مكتبي بابتسامته الخفيفة وشفتاه ملتصقتان مشـدودتان، وسوأته تلامس كوعي. أكون منهمكاً في كتابة خطاب تغطية لحملة استرداد منتج. وهذه الخطابات تبدأ دوماً بذات الطريقة: "هـذه الملحوظـة ترسـل لـك بالاتفاق مع متطلبات قانون سلامة المركبات القومي. لقد قررنا أن هناك خللاً موجوداً ..."

هذا الأسبوع كنت أستخدم صيغة المسئولية عن الخسائر، لأن A X B X C كانـت تسـاوي أكـثر مـن تكاليف الاسترداد. هذا الأسـبوع كانت المشكلة هي المشبك البلاستيكي الصغير الذي يمسك بالمطاط في مساحات الزجاج. قطعة تافهة .. هناك مائتا مركبة فقط تأثـرت بالموضـوع. وهـذا لا يقـارن بتكاليف العمل .. الأسبوع الماضي كان الوضع اكثر نموذجية. كان يتعلق ببعض الجلد الذي تم دبغه بمادة كيميائية تسبب تشوهات الحمل، مثل (النيريت) الصناعي أو شـيء يشـبهه لكنه مازال يستعمل في الدباغة في العالم الثالث. شيء قوي لدرجة أنه قد يسبب تشوهات الجنين لدى أي امرأة حامل تـتعامل معه. الأسبوع الماضي لم يتصل أحد بإدارة المركبات، ولم يطالب أحد باسترداد المنتج.. ثمن الجلد الجديد مضروباً في تكاليف

العمل مضروباً في تكاليف الإدارة يساوي أكثر من ربع أرباحنا. لو اكتشف أحدهم خطأنا فما زال بوسعنا تعويض عائلات حزينة كثيرة قبل أن نقترب من تكلفة تغيير ٦٥٠٠٠ بطانة جلدية. إلا أننا في هذا الأسبوع نقوم بحملة استرداد منتج وقد عاد لي الأرق. الأرق .. الآن يبدو كأن العالم كله قد قرر أن يقف ويلقي مخلفاته فوق قبري.

رئيسي يلبس ربطة عنقه الرمادية فلابد أن اليوم هو الثلاثاء. يحضر لفافة ورق لمكتبي ويسألني عما إذا كنت أبحث عن شيء ما. هذه الأوراق نسيها أحدهم في آلة النسخ ويقرأ:

ـ" أول قاعدة لنادي القتال هي أنك لا تتكلم عن نادي القتال" وتدور عيناه من جانب لآخر في الورقة ويضحك "ثاني قاعدة لنادي القتال هي أنك لا تتكلم عن نادي القتال".. أسمع كلمات (تايلر) تخرج من رئيسي .. السيد المدير الذي يضع صورة أسرته على مكتبه، وأحلامه عن التقاعد المبكر، وقضاء الشتاء في معسكر في صحراء (أريزونا). . السيد المدير بقمصانه المنشاة اكثر من اللازم وموعد حلاقة الشعر كل ثلاثاء بعد الغداء. ينظر لي ويقول: " آمل ألا تكون هذه تخصك".

أنا (جو الغاضب).. طلب مني (تايلر) أن أطبع قواعد نادي القتال وأنسخها عشر مرات. ليست تسعاً ولا أحد عشر .. يقول

(تايلر): عشر.. لكن ما زلت أعاني الأرق ولا أذكر أنني نمت منذ ثلاثة ليال. لابد أن هذا هو الأصل الذي كتبته ..صنعت عشر نسخ ونسيت الأصل.. ضوء آلة النسخ في وجهي .. ابتعاد كل شيء عنك الذي يسببه الأرق.. نسخة من نسخة من نسخة.. لا تستطيع لمس شيء ولا يستطيع شيء لمسك ..

ويواصل رئيسي القراءة: " رجلان فقط لكل معركة".. لا يرمش أحدنا بعينه. يواصل رئيسي القراءة: "معركة واحدة في كل مرة". لم انم منذ ثلاثة أيام ما لم أكن نائماً الآن. رئيسي يهز الورقة تحت أنفي .. ويقول ما هذا ؟.. هل هي لعبة ألعبها على حساب وقت الشركة ؟.. إنني أتقاضى راتبي كي أكون منتبهاً لا لألعب لعبة حرب سخيفة .. لا أتقاضى راتبي كي أسيء استعمال آلات النسخ. ما رأيك ؟

ويهز الورقة تحت أنفي. ما رأيي ؟.. ماذا يجب عمله مع مستخدم يضيع وقت الشركة في عالم خيالي صغير؟. لو كنت في مكانه فماذا كنت أفعله ؟.. الفجوة في خدي والانتفاخ الأزرق حول عيني وندبة قبلة (تايلر) الحمراء على ظهر يدي ..نسخة من نسخة من نسخة ..تخمينات .. بحق الأبقار الهندوسية لماذا يريد (تايلر) عشر نسخ من قواعد نادي القتال ؟.

أقول لرئيسي: ما أفعله هو أن آخذ حذري ممن اتكلم معه.. يبدو لي أن قاتلاً مختلاً نفسياً كتب هذا الكلام، وهذا المخبول قد يفقد صوابه في أية لحظة أثناء العمل، ويهاجم المكاتب بسلاح شبه أوتوماتيكي من طراز (أرماليت أر-١٨٠). يكتفي المدير بالنظر لي .. أقول إنني أعتقد أن ذلك الشخص يعود للبيت كل ليلة، ومعه مبرد مدبب، ويبرد صليباً على كل واحدة من طلقاته.. بهذه الطريقة حين يظهر في العمل ذات صباح، ويفرغ طلقة في رئيسه اللحوح المزعج عديم النفع القذر، فإن الطلقة ستنفجر عبر الأخاديد التي بردها، مثلما يحدث للرصاص الـ (دم دم) الذي ينفجر داخلك، فيبعثر أحشاءك القذرة عبر ثقوب عمودك الفقري. تخيل أحشاءك تنفتح بالحركة البطيئة مع انفجار غشاء السجق الذي يغلف أمعاءك الدقيقة. يأخذ رئيسي الورقة من تحت أنفي، فأقول: هلم اقرأ المزيد.. يبدو الأمر ساحراً.. عمل عقل مريض تماماً.. وأضحك ... إن حواف الفجوة في خدي لها نفس اللون الأزرق المسود الذي تراه في لثة الكلب. والجلد المشدود حول عيني يبدو كأنما هو مدهون بالورنيش. فقط ينظر لي الرئيس.. أقول: دعني أساعدك .. القاعدة الرابعة لنادي القتال هي معركة واحدة في كل مرة .. ينظر رئيسي للقواعد ثم لوجهي .. أقول: القاعدة الخامسة لنادي القتال هي لا أحذية . لا قمصان .. ينظر رئيسي للقواعد ثم لوجهي ..

أقول له إن ذلك المخبول ربما يستعمل بندقية (إيجل أباشي) لأن مخزن (الأباشي) يستوعب ثلاثين طلقة ويزن فقط تسعة أرطال .. بينما (الأرماليت) تستوعب فقط خمس طلقات.. بثلاثين طلقة يستطيع بطلنا المخبول تماماً أن يقضي على كل نائب مدير، وتبقى معه طلقات تكفي لكل مدير.

إنها كلمات (تايلر) تخرج من فمي. أنا الذي كنت دوماً إنساناً لطيف المعشر.. أنظر لرئيسي .. إن له عينين زرقاوين .. باهتتين . زرقاوين .. إن البندقية (جى آر ٦٨) بدورها تستوعب كذلك ثلاثين طلقة، وتزن سبعة ارطال. فقط ينظر لي الرئيس.. أقول: هذا مخيف .. لابد أنه عرف ذلك الشخص عدة أعوام .. ربما يعرف هذا الشخص كل شيء عنه..

يعرف أين يعيش وأين تعمل زوجته وأية مدرسة فيها أطفاله .

هذا مرهق .. بل هو ممل في لحظة ما .. ولماذا يحتاج (تايلر) إلى عشر نسخ من قواعد نادي القتال ؟. ما لا يجب أن أقوله هو علمي ببطانة المقاعد الجلدية التي تؤدي لتشوهات الأجنة . أعرف موضوع بطانة الفرامل المزيفة التي تبدو سليمة حتى تخدع وكلاء المشتريات، لكنها تتلف بعد ألفي ميل. أعرف عن ريوستات جهاز التكييف الذي يسخن حتى يحرق الخرائط التي تحتفظ بها في

الـتابلوه. أعـرف الآلاف الذين يحترقون أحياء بسبب شرارة حاقن الوقـود. رأيـت أرجـل الناس مبتورة عند الركبة، لأن شاحنات (التـيربو) تـنفجر وترسـل ريشها عبر جدار النار الواقي لتضرب الراكب. كنت في الحقل ورأيت السيارات المتفحمة وقرأت التقارير التي تصف أسباب الحادث بأنها (غير معروفة).

لا.. أقـول إن الأوراق لا تخصني.. آخذ الورقة من بين أصابعه.. لابد أن الحافة جرحت إبهامه لأن يده ارتفعت لفمه.. وهو يمـتص بقـوة وقـد اتسعت عيناه. أكور الورقة وألقي بها في سلة المهمـلات. أقـول: ربمـا ليس من واجبك أن تجلب لي كل قطعة مهملات تجدها ..

لـيلة الأحـد .. أقصـد (الرجال الباقون معاً) وقبو (الثالوث المقـدس الأسقفية) خال تماماً. (بوب) الكبير فقط وأنا .. أتجه نحوه وكل عضلة تؤلمني، لكن قلبي مازال يركض، وأفكاري إعصار في رأسـي.. هـذا هو الأرق .. طيلة الليل أفكارك في الهواء .. طيلة اللـيل تفكر: هل أنا نائم ؟.. هل نمت ؟.. تخرج ذراعا (بوب) من كمـي (التـي شيرت) مليئتين بالعضلات، ولشد ما تلمعان.. (بوب) الكبـير يبتسم .. إنه سعيد لأنه رآني .. حسبني ميتاً.. أقول له: وأنا كذلك ..

يقـول (بـوب): "حســن .. لدي أخبار طيبة .. ". لكن أين الجمـيع؟ . "هذه هي الأخبار الطيبة .. لقد تشتتت المجموعة .. أنا فقط آتي هنا لأخبر أي شخص أجده بهذا..". ألقي بنفسي على إحدى الأرائك مغمض العينين. يقول (بوب): "الأخبار الطيبة هي أن هناك مجموعـة جديدة . لكن أول قاعدة لهذه المجموعة هي أن عليك ألا تـتكلم عـنها .. والقاعدة الثانية هي أن عليك ألا تتكلم عنها ".. يا للعـنة!.. أفتح عيني .. يقول (بوب): "المجموعة اسمها نادي القتال .. وتلتقـي مسـاء كـل جمعة في مرآب مغلق عبر المدينة... وفي ليالـي الخمـيس هناك نادي قتال آخر يلتقي في مرآب قريب". لا أعرف شيئاً عن هذه الأماكن .

يقول (بوب): " القاعدة الأولى لنادي القتال هي ألا تتكلم عن نـادي القتال".. ليلة السبت يذهب (تايلر) معي إلى نادي القتال. "فقط رجلين لكل معركة". صباح الأحد نعود للبيت مضروبين وننام حتى الظهـر. يقـول (بـوب): "معـركة واحدة في كل مرة". يوم الأحد والإثنيـن يقـوم (تايلر) بالخدمة على الموائد "تقاتل بلا قميص ولا حـذاء..". لـيلة الثلاثاء.. يصنع (تايلر) الصابون ويلفه في مناديل ورقـية ويشـحنه. شـركة صابون (بيير ستريت).. يقول (بوب): "المعـارك تسـتمر مادامت يجب أن تستمر.. هذه هي القواعد التي

اخــترعها واحــد هو الذي اخترع نادي القتال". يسأل (بوب): "هل تعــرفه؟"... لــم أره قــط .. يقول (بوب) الكبير:" اسمه هو (تايلر دوردن).. "..شركة صابون (بيير ستريت).. هل أعرفه ؟.. أقول: لا أدري .. ربما .....

الفصل العاشر

حين أتوجه إلى فندق (ريجنت) أجد (مارلا) في الردهة تلبس روبــاً. لقــد اتصلت بي (مارلا) في العمل وسألتني أن أفوت موعد الجمنزيوم أو المغسلة أو المكتبة أو الشيء الذي انتويت القيام به بعد العمــل، وأن أذهب لأراها. لهذا اتصلت (مارلا).. لأنها تكرهني .. لا تتكلم عن رصيدها من الكولاجين .. ما تقوله هو: هل بوسعي أن أقــدم لها خدمة ؟.. كانت ترقد في الفراش هذا الصباح، وهي تعيش علــى الوجــبات التي تجلبها هيئة (وجبات على عجلات) لجيرانها الموتى. تتسلم (مارلا) الوجبات وتزعم أن جيرانها نيام..

للاختصــار، كانــت (مــارلا) راقدة في الفراش هذا الصباح تنــتظر قدوم (وجبات على عجلات) بين الظهيرة والثانية مساء. لم يكــن لــ (مارلا) تأمين صحي طيلة العامين الماضيين لذا كفت عن البحــث في نفسها، إلا أنها وجدت هذا الصباح نتوءاً وعقداً لمفاوية تحت إبطها.. وهذه العقد كانت صلبة وحساسة للألم في الوقت ذاته، ولم تستطع أن تخبر بهذا أحداً ممن تحب كي لا تفزعهم، وليس معها المــال الكافــي لطلــب رأي طبيب. لكنها بحاجة إلى أن تتكلم مع أحدهــم، وتطلــب منه أن يرى .. لون عيني (مارلا) البنيتين كلون

حيوان تم تسخينه في فرن ثم ألقي في الماء البارد. تقول (مارلا) إنها ستسامحني على موضوع الكولاجين لو ساعدتها بإلقاء نظرة. أعتقد أنها لم تطلب (تايلر) لأنها لا تريد أن تثير رعبه. أنا متعادل بالنسبة لها وأدين لها بهذا.

نصعد لأعلى لغرفتها، وتخبرني (مارلا) كيف أنك في البرية لا ترى الحيوانات المسنة، لأنها بمجرد أن تشيخ تموت. لو مرضت أو أبطأت يقتلها شيء أقوى. الحيوانات لم تخلق لتتقدم في العمر. ترقد (مارلا) على الفراش وتفك ربطة الروب وتقول إن ثقافتنا قد جعلت الموت شيئاً معيباً. لابد أن الحيوانات المسنة استثناء خارق للطبيعة. شواذ.. (مارلا) باردة تعرق بينما أخبرها كيف كانت عندي ثألولة أيام الكلية .. وكانت على عضوي الذكري .. ذهبت للمدرسة الطبية كي أزيلها، وبعد هذا أخبرت أبي .. كان هذا بعد أعوام فضحك أبي وقال إنني أحمق.. لأن الثآليل هي نوع من وسائل الاستثارة في الطبيعة كأنها جهاز دغدغة. النساء يحببنها .. أركع جوار فراش (مارلا) ويداي باردتان بسبب الجو في الخارج.. أتحسس جلدها البارد ببطء .. وأفرك جزءاً صغيراً من (مارلا) بين أصابعي مع كل بوصة. تقول (مارلا) إن وسائل الاستثارة هذه _ الثآليل _ تسبب سرطان عنق الرحم للنساء.

هكذا كنت جالساً على الحزام الورقي في غرفة الفحص، بينما طالب طب يرش النتروجين السائل من علبة على عضوي، وثمانية طلاب طب يراقبون. هكذا ينتهي بك الأمر لو لم يكن عندك تأمين صحي. لو لم يطلقوا عليه اسم (عضو) فإنهم يطلقون عليه اسم (أير)، ومهما كان اسمه فإنهم يرشونه بالنتروجين السائل فيبدو الأمر كأنما هم رشوه بصودا الغسيل.. ألم يفوق الوصف..

تضحك (مارلا) لهذا .. حتى تجد أن اصابعي توقفت .. كأنني وجدت شيئاً .. تكف (مارلا) عن التنفس، وكأن قلبها قبضة تضرب بعنف عبر غشاء طبل مشدود. لكنني توقفت لأنني أتكلم، ولأننا للحظة لم نعد في غرفة نوم (مارلا). كنا في مدرسة الطب منذ أعوام جالسين على الورق اللزج، وعضوي الذكري يحترق بالنار من النتروجين السائل، وأحد طلبة الطب رأى قدمي العارية فغادر الغرفة سريعاً بخطوتين واسعتين. ثم عاد وخلفه ثلاثة أطباء حقيقيين .. وأزاحوا الرجل الذي يحمل العلبة جانباً. طبيب حقيقي قبض على قدمي الحافية وطوحها في وجه الطبيبين الحقيقيين الآخرين. وقلبها الثلاثة والتقطوا لها صور (بولارويد) فورية، وكأنما باقي الرجل نصف العاري نصف المكتسي لم يكن له وجود. فقط القدم .. وتزاحم باقي طلبة الطب ليروا. وسألني طبيب: "منذ متى تلك البقعة الحمراء على قدمك ؟". كان يتحدث عن وحمة .. على قدمي اليمنى

وحمـة كان أبي يتندر ويقول إنها تبدو كأستراليا حمراء داكنة، مع (نيوزيلـندا) صـغيرة جوارها. هذا ما حكيته لهم ففرغ الهواء من رئاتهم جميعاً من فرط الضحك. كان عضوي الآن قد بدأ يذوب من الـثلج. تركنـي الجميع ما عدا طالب الطب الذي يحمل النتروجين، وبـدا أنه كان ليتمنى الانصراف هو الآخر. كان يشعر بخيبة أمل حـتى أنـه لم ينظر لعيني، وهو يتناول العضو ويشده. ومن العلبة خرج رذاذ خفيف على ما تبقى من الثألولة. يمكنك أن تغمض عينيك وتتخيل أن عضوك طوله مئات الأميال، لكنه مازال يؤلم. (مارلا) تنظر للندبة في موضع قبلة (تايلر). قلت لطالب الطب: لابد أنكم لا تـرون وحمـات كثيرة هنا. ليس الأمر كذلك .. هذا ما قاله .. لقد اعتقد الجميع أن الوحمة سرطان. ذلك النوع الجديد من السرطان الـذي يصيب الشباب. يصحون من النوم ليجدوا تلك البقعة الحمراء على أرجلهم أو كاحلهم. هذه البقع لا تزول .. بل تنتشر حتى تغطيك وتموت ..

قال طالب الطب إن الجميع تحمسوا لأنهم حسبوك مصاباً بهذا السـرطان الجديـد، فقد أصيب به قليلون لكنه ينتشر. كان هذا منذ أعـوام وأعوام. أقول لـ (مارلا) إن السرطان سيكون كهذا .. ربما وقعـت أخطـاء ومـن المهم ألا تنسي بقية جسدك لمجرد أن جزءاً صغيراً مرض.. تقول (مارلا): "ربما".

لقـد أنهـى الطالب ذو النتروجين عمله وأخبرني أن الثألولة ستسقط خلال أيام قليلة. على الورق الذي أجلس عليه صورة فورية لقدمـي لم يعد أحد يريدها.. سألته إن كان بوسعي أخذ الصورة ؟.. ومازالت في غرفتي محشورة في إطار المرآة .. أسرح شعري أمام المرآة قبل ذهابي للعمل كل يوم، وأفكر كيف أنه كان عندي سرطان لمـدة عشـر دقائق .. أسوأ من السرطان .. أخبر (مارلا) كيف أن عـيد الشـكر هـذا العام كان أول عيد شكر لم أذهب فيه مع جدي للتزلج، برغم أن سمك الجليد بلغ ستة أقدام. كانت جدتي تضع دائماً تلك الضمادات على جبهتها وذراعيها حيث تلك الشامات التي لديها، لـم تكـن علـى ما يرام. إنها تنتشر ثم يتحول لونها من البني إلى الأسود أو الأزرق. حين خرجت من المستشفى آخر مرة كان جدي يحمل حقيبتها، وكانت ثقيلة لدرجة إنه شعر بأنه غير متوازن. كانت جدتـي ذات الأصل الكندي الفرنسي خجولاً، حتى أنها لم ترتد ثوب اسـتحمام أمام الناس قط، وكانت تفتح الماء في المغطس لتغطي أي صـوت يخـرج منها في الحمام. خارجة من مستشفى (لادي أوف لـوردز) بعد استئصال جزئي لثديها. تقول: "هل تشعر بالدوار ؟". بالنسـبة لجـدي هـذا يلخـص كل شيء .. جدتي .. السرطان .. زواجهما .. حياتهما .. وهو يضحك كلما حكى تلك القصة. (مارلا) لا تضـحك .. أريد أن أجعلها تضحك .. أن امنحها الدفء .. أنها

أجعلها تسامحني على موضوع الكولاجين .. أريد أن أخبرها أنني لا أجـد شـيئاً.. لو وجدت هي شيئاً هذا الصباح فهو خطأ.. وحمة .. (مارلا) تحمل ندبة قبلة (تايلر) على ظهر يدها.. أريدها أن تضحك لـذا لا أخـبرها عن آخر مرة احتضنت فيها (تشول).. (تشول) بلا شـعر ... هـيكل عظمـي مغمـوس في الشمع الأصفر، بإيشارب حريـري حول رأسها الأصلع. احتضنت (تشول) مرة اخيرة قبل أن تختفي للأبد. أخبرتها أنها تبدو كالقراصنة .. فضحكت..

حين اذهب للشاطئ أجلس وقدمي اليمنى تحتي ... (أستراليا) و(نيوزيلـندا) .. أو أدفـنها في الرمل .. أخشى أن يرى الناس هذه الوحمة فأموت في أذهانهم .. السرطان الذي ليس عندي موجود في كل مكان الآن .. لا اخبر (مارلا) بهذا .. هناك أشياء كثيرة لا يفيدنا أن نعـرفها عـن الناس الذين نحبهم ..لأضحكها أخبر (مارلا) عن المرأة في برنامج (عزيزتي آبي) التي تزوجت متعهد جنازات ناجحاً وسـيماً، وفـي ليلة الدخلة أغرقها في حوض من الماء المثلج حتى صـار جلدها غير قابل للمس، ثم جعلها تنام في الفراش ساكنة تماماً كلمـا ضـاجعها ..المضحك أن المرأة اعتبرت هذه من طقوس ليلة الـزفاف، وقضت عشر سنوات تمارس هذه الطريقة، إلى أن كتبت إلى (عزيزتي آبي) تسأل إن كانت (آبي) تعتقد أن لهذا معنى ما .

الفصل الحادي عشر

لهـذا أحببت مجموعات مساندة المرضى للغاية..إن الناس إذا اعـتقدوا أنك تحتضر، يعطونك كامل اهتمامهم.. إذا كانت هذه هي آخر مرة يرونك فيها فإنهم يرونك حقاً.. وينسون كل شيء آخر عن دفاتر شيكاتهم وأغاني الراديو والعناية بشعرهم. إنك تظفر باهتمامهم الكامل.. الناس هنا يصغون بدلاً من انتظار دورهم للكلام .. وحين يـتكلمون يحكـون لك قصة. حينما تتكلمان معاً تبنيان شيئاً، وحينما تنتهـيان يغـدو كـل مـنكما مختلفاً عما كان. بدأت (مارلا) تذهب لمجموعـات المساندة بعد ما وجدت النتوء الأول.. وصبيحة وجدنا النـتوء الثانـي، تواثبـت إلى المطبخ وساقاها في رجل واحدة من جوربها الكولون، وقالت: "أنظر .. انا عروس بحر .. ليس هذا مثل مـا يفعلـه الرجال حين يجلسون على المرحاض ويتظاهرون بأنه دراجة بخارية .. هذا شيء مبتكر".

قـبل هذا مباشرة قابلت (مارلا) في مجموعة (الرجال الباقون معـاً) وكانت تعاني من النتوء الأول .. الآن صار هناك نتوء ثان . لكـن عليك أن تعرف أن (مارلا) ما زالت حية .. قالت لي (مارلا) إن فلسفتها في الحياة هي أنها قد تموت في أية لحظة. ومأساة حياتها

أنهـــا لا تفعــل هذا .. حين وجدت (مارلا) النتوء الأول ذهبت إلى عــيادة حيــث جلســت الأمهات الشبيهات بأخيلة المقاتة على مقاعد بلاستيكية متراصة على ثلاثة جوانب، بأطفال كسيحين كالدمى على حجرهـــن أو عــند اقدامهـــن. كان للأطفال سواد حول عيونهم كما يحـــدث للموز حين يفسد وينكمش. والأمهات يهرشن كتلاً من قشر الشعر الذي سببته الفطريات. كانت الأسنان تبدو عملاقة في الوجوه الـــناحلة .. ترى الأسنان كأنها شظايا عظام تخرج من الجلد لتطحن الأشياء. هكذا ينتهي بك الحال لو لم يكن عندك تأمين صحي.

قــبل أن يعـــرف أحد شيئاً، أراد الكثير من الشواذ جنسياً أن يـــرزقوا بأطفـــال، والآن مـــرض الأطفال بينما أمهاتهم يحتضرن وآباؤهم ماتوا بالفعل .. يجلسون وسط رائحة القيء والبول والخل، بينما الممرضة تسأل كل أم منذ متى هي مريضة، وما إذا كان لابنها والـــد حي أو كفيل .. تقول (مارلا) : لا . لو كانت ستموت فهي لا تريد أن تعرف هذا .. مشت (مارلا) من العيادة إلى مغسلة المدينة، وسرقت كل سراويل الجينز من آلات التجفيف.. ثم اتجهت إلى بائع أخـــذ مـــنها السروال بخمسة عشر دولاراً. وابتاعت لنفسها جورباً بكولـــون ..الـــنوع الممـــتاز الذي لا ينزلق لأسفل .. لا يوجد شيء ثابت.. كل شيء يسقط ..

لقد بدأت (مارلا) ترتاد جماعات المساندة لأنها وجدت أنه من الأفضـــل أن تهتم بقاذورات البشر الآخرين. كل إنسان فيه شيء ما خطـــأ.. ولفترة شعرت باستقرار في قلبها .. ثم بدأت (مارلا) عملاً فـــي إعـــدادات الجـــنائز في مستودع للجثث. حيث يخرج الرجال البديـــنون أو ـــ على الأرجح ـــ النساء البدينات من غرفة العرض حاملين جرة حفظ رماد الموتى، في حجم مظروف البيضة. وتجلس (مـــارلا) في البهو بشعرها المعقوص وجوربها ذي الكولون والنتوء في صدرها .. وتقول: "مدام . لا تتملقي نفسك .. لن نستطيع وضع رأســـك المـــتفحم وحده في هذه الجرة الصغيرة .. عودي للمعرض واختاري جرة في حجم كرة (البولنج)".

كـــان قلـــب (مارلا) يبدو كوجهي تماماً.. معبراً عن فوضى العـــالم .. فضـــلات اســـتهلاك قذرة لن يهتم احد بإعادة تدويرها .. أخبرتنـــي (مـــارلا) إنهـــا ـــ ما بين مجموعات المساندة والعيادة ـــ قابلت الكثيرين ممن ماتوا الآن .. هؤلاء الناس ماتوا لكنهم يتصلون ليلاً بها من الجانب الآخر.. كانت (مارلا) تذهب إلى البارات فتسمع الســـاقي يـــنادي باسمها.. وحين تذهب لتلقي المكالمة تجد أن الخط ميـــت .. وفـــي وقتها كانت تعتبر أن هذا هو نهاية الانحدار لأسفل. تقـــول (مـــارلا): "حين تكون في الرابعة والعشرين لا تكون عندك

فكـرة عـن المدى الذي يمكن أن تنحدر إليه .. لكنني كنت سريعة التعلم"

في المرة الأولى التي ملأت فيها (مارلا) جرة رماد جثث، لم يكـن علـى وجههـا قناع.. وبعد هذا تمخطت فوجدت في المنديل الورقي قذارة سوداء بقيت من مستر (فلان الفلاني).. في بيت (بيبر ستريت)، لو دق الهاتف مرة ورفعت السماعة فلم تجد أحداً تعرف علـى الفور أن أحدهم كان يريد (مارلا). كان هذا يحدث أكثر مما تظن.

فـي بيـت (بيبر ستريت) اتصل بي مفتش شرطة يحقق في انفجـار شـقتي، وقد وقف (تايلر) ملصقاً صدره بكتفي، يهمس في أذني الأخرى وأنا أمسك بالهاتف .. وسألني المفتش إن كنت أعرف شخصاً قادراً على تصنيع ديناميت بيتي .. فهمس (تايلر): "الكوارث جزء طبيعي من نشأتي .. نحو المأساة والفناء" . أخبرت المفتش أن الـثلاجة انفجـرت ودمـرت شقتي .. يهمس (تايلر): "إنني لأقطع ارتباطي بالقوة الجسدية والممتلكات .. لأنني لن أكتشف قوة روحي العظمى إلا من خلال تدمير نفسي". قال المفتش إن الديناميت كانت فـيه شـوائب .. بقايا من أوكسالات الأمونيا وبركلوريد البوتاسيوم ممـا يعنـي ان القنبلة تم صنعها في المنزل. والمزلاج على الباب الأمامـي كان موصداً. قلت له إنني كنت في (واشنطن) تلك الليلة.

أخبرني المفتش على الهاتف كيف أن أحدهم رش الفريون من علبة علـى المزلاج، ثم ضربه بأزميل كي يهشم الأسطوانة. هكذا يسرق اللصوص الدراجات..

يقول (تايلر): "المحرر الذي يدمر أملاكي الخاصة إنما يقاتل من أجل خلاص روحي.. ". المفتش يقول إن من صنع القنبلة قد فتح الغاز وأطفأ أضواء الفرن قبل الانفجار بأيام.. يحتاج الأمر إلى أيام حـتى يبلغ الغاز الشقة ويصل إلى (الكومبرسور) في قاع الثلاجة، من ثم يبدأ موتور (الكومبرسور) عملية التفجير..

يهمـس (تايلر):" قل له نعم .. أنت فعلتها .. أنت فجرت كل شـيء .. هذا ما يريد أن يسمعه .. ". أقول للمفتش أن لا .. لم أفتح الغـاز ثم أغادر المدينة ..أنا احب حياتي .. لقد أحببت تلك الشقة .. أحببـت كـل شظية خشب من الأثاث الذي كان حياتي كلها .. كل شـيء .. المصـابيح .. المقـاعد .. السجاجيد .. كلها كانت أنا .. الأطـباق في الخزانة كانت أنا .. النباتات كانت أنا .. كنت أنا الذي انفجر .. ألا يرى ذلك ؟.. لكن المفتش أمرني بألا أغادر المدينة.

الفصل الثاني عشر

اكــتفى ســعادته الســـيد (رئيس اتحاد عمال العرض ونقابة مشـــغلي الســـينما المستقلة) بالجلوس. كان شيء مروع ينمو خلف وتحــت وداخل كل ما أخذه كحقيقة مسلمة من قبل. لا يوجد شيء ثابــت. كل شيء يتهاوى ويتحطم .. أعرف هذا لأن (تايلر) يعرف هذا ..

لمـــدة ثلاث سنوات كان (تايلر) يقوم بتجميع وتفكيك الشرائط لسلســـلة مـــن دور الســـينما. إن الفيلم ينقل في ست أو سبع بكرات صـــغيرة موضوعة في علبة معدنية. عمل (تايلر) هو جمع البكرات الصـــغيرة فـــي بكـــرة واحدة قطرها خمسة أقدام تتعامل معه آلات العـــرض التـــي تغـــذي نفسها. بعد ثلاثة أعوام صارت سبعة دور عـــرض ـــ وعلـــى الأقل ثلاث شاشات في كل دار عرض ـــ تقدم عروضـــاً جديدة كل اسبوع. وكان (تايلر) يتعامل مع مئات النسخ. لكـــن الاتحاد لم يعد بحاجة إلى (تايلر) بعد اليوم. وكان على السيد رئيس الاتحاد أن يطلب من (تايلر) أن يجلس قليلاً. كان العمل مملاً والراتـــب ضئيلاً لذا فإن رئيس اتحاد عمال العرض ونقابة مشغلي السينما المستقلة قال أنه يسدي معروفاً لـــ (تايلر دوردن) عن طريق

هذا الطرد الدبلوماسي المهذب. لا تفكر في هذا كرفض لك. فكر في الأمر كتخفيض عمالة.

يقـــول الســـيد رئـــيس الجماعـــة : "نحن نقدر مساهمتك في نجاحـــنا". قـــال (تايلر) إن هذه لم تكن مشكلة، وضحك .. فطالما أرسل له الاتحاد شيكاته فهو سيبقي فمه مغلقاً. قال (تايلر): "فكر في هـــذا كـــتقاعد مبكر .. بمعاش". لقد تعامل (تايلر) مع مئات النسخ، وعادت الأفلام إلى الموزع، ثم عادت له في إعادة العرض..كوميديا .. دراما .. أفلام موسيقية .. رومانسية .. أفلام حركة .. مغامرات .. كلها تم لحام الكادر المنفرد الخاص بـــ (تايلر) فيها، والذي يظهر البورنو واللواط والعبودية الجنسية والجنس الفمي. ليس لدى (تايلر) مـــا يخســـره. إن (تايلر) هو مخلفات العالم.. هذا هو ما طلب مني (تايلـــر) أن اخـــبر به مدير فندق (برسمان) كذلك. في هذه الوظيفة الأخرى له ـــ في فندق (برسمان) ـــ أعلن (تايلر) انه نكرة..لا أحد يعـــبأ بحياته أو مماته.. وكان الشعور متبادلاً بشكل لعين.. هذا ما طلـــب مني (تايلر) أن أقوله في غرفة المدير، ورجال الأمن يقفون خـــارج الباب. سهرت أنا و(تايلر) لساعة متأخرة وتبادلنا الحكايات بعـــد مـــا انتهى كل شيء.. لقد صرت و(تايلر) أقرب إلى توءمين متماثلين .. كلانا له عظام وجنة غائرة، وقد فقد جلدنا ذاكرته.. نسى

إلى أين ينزلق بعد ما نضرب.. سجحات كانت نتيجة لنادي القتال، أما تشوهات وجه (تايلر) فكانت بيد رئيس اتحاد عمال العرض.

بعـد ما خرج (تايلر) زحفاً من مكاتب الاتحاد، ذهبت لألقى مدير فندق (برسمان). جلست هناك في مكتب مدير فندق (برسمان). أنـا (جـو المنـتقم). كان أول ما قاله لي المدير هو أن لدي ثلاث دقـائق. فـي أول ثلاثين ثانية أخبرته كيف كنت أبول في الحساء، وأعطس على أوراق سلطة الهندباء المقلية، والآن أريد أن يرسل لي الفندق شيكاً كل أسبوع يساوي أجري عن اسبوع عمل مع البقشيش. فـي المقابل لن آتي للعمل ثانية ولن أذهب إلى الصحف والسلطات الصحية لأقدم اعترافاتي الباكية. سوف تقول المانشيتات: "جارسون مخـتل عقلـياً يعـترف بتلويـث الطعام". بالتأكيد قد أدخل السجن ..بوسـعهم أن يشـنقوني أو يجروني في الشوارع أو يسلخوا جلدي ويحرقونـي بالصـودا الكاوية .. لكن فندق (برسمان) سوف يشتهر بأنـه المكان الذي أكل فيه أثرى أثرياء العالم البول. كلمات (تايلر) تخرج من فمي.. وقد كنت في الماضي شخصاً وديعاً..

فـي مكتب اتحاد عمال العرض، ضحك (تايلر) بعد ما لكمه رئيس الاتحاد. اللكمة أطارت (تايلر) من مقعده فجلس جوار الحائط يضـحك. "هلـم !.. لن تستطيع قتلي ! أيها اللعين الغبي !.. حولني إلـى سجادة لكنك لا تستطيع قتلي .. ". لديك الكثير لتخسره .. ليس

لـدي شيء .. أنت لديك كل شيء .. هلم !.. في معدتي .. ضربة أخـرى لرأسـي . كهـف فـي اسـناني .. لكن استمر في إرسال الشيكات.. حطم ضلوعي .. لكن لو نسيت راتب أسبوع لأعلنت ما لدي، ولسوف تصير أنت واتحادك الحقير فريسة للمطالبات القانونية مـن كل صاحب فيلم وموزع وكل أم رأى ابنها قضيباً منتصباً في فيلم الرسوم المتحركة (بامبي).

قال (تايلر): " أنا ركام .. أنا قاذورات وركام ومجنون بالنسبة لـك وكـل هذا العالم اللعين" . قال (تايلر) لرئيس الاتحاد :"أنت لا تبالي بأين أحيا أو كيف أشعر أو ماذا آكل أو كيف اطعم أطفالي .. أو كيف أدفع للطبيب إذا مرضت .. وأنا مجنون وملول وضعيف .. لكنـي ما زلت مسئوليتكم". جالساً هنالك في مكتب فندق (برسمان)، مـا زالـت شفتاي ممزقتين إلى عشرة أجزاء من أثر نادي القتال. الثقـب في خدي ينظر إلى مدير فندق (برسمان).. هذا مقنع للغاية. مبدئـياً قلت ذات ما قاله (تايلر). فبعد ما أوقع رئيس الاتحاد (تايلر) أرضـاً.. وبعـد ما رأى الرئيس أن (تايلر) لم يرد ..تراجع بجسده العمـلاق ــ الأكـبر مما يحتاج إليه ــ وركل (تايلر) في الضلوع، فضـحك (تايلر). بعدما تكور (تايلر) ككرة وجه الرئيس ركلة إلى كليـته لكن (تايلر) كان مستمراً في الضحك. قال (تايلر): "هلم هات

المـــزيد !.. ثق بي .. ستشعر بكثير من التحسن .. ستشعر بشعور رائع !".

في مكتب فندق (برسمان)، سألت مدير الفندق إن كان بوسعي اســتعمال هاتفــه، وطلبت رقم مكتب التحرير في الجريدة. وبينما مديـــر الفندق يراقبني قلت : "مرحباً.. أنا ارتكبت جريمة شنعاء ضد الإنســانية أثناء تعبيري عن الاحتجاج السياسي .. إن احتجاجي كان بسبب استغلال العمال في مهنة الفندقة".. لو دخلت السجن فلن أكون مجرد شخص مختل عقلياً يلوث الحساء. سيكون للأمر بعد بطولي. (روبيـــن هـــود) السقاة الذي يعطي الفقراء. برفق تناول مدير فندق (برســـمان) السماعة من يدي. وقال إنه لا يريد أن أعمل هنا ثانية، بالشكل الذي أبدو به الآن. أقف عند مكتبه وأقول: ماذا ؟. ثم اطوح ذراعي وأضرب أنفي ليسيل منه الدم.

بـــلا ســـبب على الإطلاق أتذكر الليلة التي تشاجرت فيها مع (تايلـــر) للمرة الأولى. أريدك أن تضربني بأقوى ما تستطيع. ليست لكمـــة صعبة. أضرب نفسي مرة أخرى. هذا يبدو جميلاً لكني ألقي بنفســـي إلـــى الـــوراء لأضرب الجدار، محدثاً دوياً هائلاًـــ وموقعاً اللوحات المعلقة هناك. الزجاج المهشم ولوحة الأزهار والدماء على الأرض وأنا بينها. الدم يلوث البساط فأمد يدي وأتمسك بحافة مكتب المدير، ملوثاً إياه بالدم.. وأقول: أرجوك ساعدني .. ساعدني .. ثم

أبدأ في الضحك . ساعدني .. ساعدني .. لا تضربني ثانية أرجوك .. أنـــزلق علـــى الأرض وأزحف ملوثاً البساط بدمي. ستكون أول كلمـــة أقولها (من فضلك).. لذا أبقي شفتي مغلقتين. ينهض الوحش ويجر نفسه وسط الزهور والأكاليل المرسومة على البساط الشرقي. الـــدم يســـيل مـــن انفي وينزلق إلى حلقي ثم فمي .. حاراً..يزحف الوحـــش عـــبر البســـاط ملتهباً جامعاً كل الغبار ونسيل الكتان فوق مخالـــبه الملوثـــة بـــالدم. يمسك بالمدير من كاحله ويقولها: المال . وأضـــحك ثانية .. قلها ..لا تضربني من فضلك.. لفظة (أرجوك* تخرج وسط فقاعة من الدماء .. قلها .. أرجوك ... وتنفجر الفقاعة بالدم..

هذه هي الطريقة التي صار بها (تايلر) يملك الوقت ليبدأ نادي قتال كل يوم من الأسبوع .. بعد هذا صارت هناك سبعة نواد للقتال .. وبعـــد هذا صار هناك خمسة عشر نادياً للقتال .. وبعد هذا صار هـــناك ثلاثـــة عشر نادياً للقتال، ومازال (تايلر) يرغب في المزيد. أتوســـل لمدير فندق (برسمان): أرجوك .. أعطني .. أنت تملك كل شـــيء وأنـــا لا أملك شيئاً.. وأزحف بدمي على ساقي بنطال مدير فـــندق (برسمان) الذي يتراجع للوراء. يستند على عتبة النافذة خلفه وحـــتى شفتاه الرفيعتان تتراجعان عن أسنانه. الوحش ينشب مخالبه في حزام المدير ويتسلق لأعلى كي يمسك بالقميص المنشى الأبيض،

وألــف يــدي الداميتين حول معصمي المدير الناعمين. أرجوك .. وأضــحك بمــا يكفي كي يشطر شفتي إلى نصفين .. ثمة مقاومة إذ يصرخ المدير ويحاول تحرير يديه مني .. ومن دمي وأنفي المهشم .. القــذارة تلتصــق بــالدم الذي يغطينا .. وفي هذه اللحظة الأكثر روعة يقرر رجال الأمن أن يدخلوا الغرفة.

الفصل الثالث عشر

نشــرت الجرائد اليوم كيف أن احدهم اقتحم المكاتب الواقعة بين الطابق العاشر والخامس عشر من برج (هاين)، وخرج من نافذة المكتــب ودهــن الجانب الجنوبي من البناية بقناع ضاحك ارتفاعه خمســة طوابق، ثم اشعل النار وقت الفجر، حتى صارت النافذة في مركــز كــل عين عملاقة تتألق بوهج عملاق لا يمكن تجاهله فوق المدينة بأسرها. وفي الصورة التي نشرت في الصفحة الأولى، يبدو الوجه كثمرة قرع عسلي (يقطينة) غاضبة أو عفريت ياباني أو تنين جشــع يــتعلق في السماء. أما الدخان فبدا كحاجبي ساحرة أو قرني شيطان. لقد صرخ الناس وهم يطوحون رءوسهم للوراء .. ما معنى هذا ؟.. من فعل هذا؟..

حــتى بعــد انطفاء النار ظل الوجه هناك وازداد سوءاً.. لقد صارت العينان الخاليتان ترمقان الجميع في الشارع، لكنهما في الآن ذاتــه كانتا ميتتين. بالطبع تقرأ هذا الكلام وترغب في معرفة ما إذا كــان هــذا جــزءاً من (مشروع الأضرار).تقول الجريدة إن رجال الشرطة ليس لديهم طرف خيط. ربما عصابات شباب أو غرباء من الفضــاء .. أيــاً من كان الفاعل فقد كان معرضاً للموت وهو يتعلق

بإطارات النوافذ ممسكاً بعلبة من الطلاء الأسود. هل هي (لجنة الضرر) أم (لجنة التخريب) ؟.. يبدو أن الوجه العملاق هو واجبهم المنزلي الذي طلب منهم الأسبوع الماضي. (تايلر) قد يعرف، لكن أول قاعدة في (مشروع الأضرار) هي أنك لا تسأل عن (مشروع الأضرار).

في (لجنة الاعتداء) بـ (مشروع الأضرار)هذا الأسبوع، يقول (تايلر) إنه علم الجميع متطلبات إطلاق الرصاص.. كل ما يفعله المسدس هو أن يركز انفجاراً في اتجاه واحد .. في اللقاء الأخير لـ (لجنة الاعتداء) جلب (تايلر) سلاحاً نارياً ودليل الهاتف التجاري. يلتقون في البدروم حيث يلتقي نادي القتال ليلة السبت. كل لجنة تلتقي في ليلة مستقلة: (التخريب) تلتقي الإثنين .. (الاعتداء) الثلاثاء .. (الضرر) الأربعاء .. (التضليل) تلتقي الخميس .. الفوضى المنظمة .. بيروقراطية الفوضوية .. تخيل هذا .. مثل مجموعات مساندة المرضى. شيء من هذا القبيل .. في ليلة الثلاثاء اقترحت لجنة الاعتداء خطة للأسبوع القادم.. وقرأ (تايلر) الاقتراحات وأعطى اللجنة واجبها المنزلي. في مثل هذا الوقت من الأسبوع القادم، يجب على كل عضو في لجنة الاعتداء أن يدخل مشاجرة لا يخرج منها بطلاً منتصراً.. على ألا تكون في نادي القتال. هذا أصعب مما تتصور .. إن رجل الشارع يبذل أي جهد

كي لا يقاتل .. الفكرة هي أن تجد أي نكرة في الشارع ممن لم يسبق لهم القتال، وتجنده.. دعه يجرب الفوز لأول مرة في حياته.. اجعله ينفجر... أعطه عذراً كي يوسعك ضرباً.. يمكنك تحمل هذا .. لو فزت أنت لأفسدت كل شيء ..

قال (تايلر) للجنة: "ما عليكم عمله يا قوم هو أن تذكروا هؤلاء الأشخاص بنوع القوة التي ما زالت لديهم .. ".. هذا هو كلام (تايلر) الحماسي. ثم إنه فتح كل واحدة من الأوراق المطوية في الصندوق الورقي أمامه. هكذا تقترح كل لجنة أحداث الأسبوع القادم. أكتب الأحداث في خانة الجمعية .. ثم اقطع الورقة وأطوها وضعها في الصندوق. (تايلر) يتفقد الاقتراحات ويتخلص من أية أفكار سيئة. كلما تخلص من ورقة وضع ورقة فارغة مطوية في الصندوق. ثم يأخذ كل عضو في اللجنة ورقة من الصندوق. وكما شرح لي (تايلر) فإن من يأخذ ورقة بيضاء فليس لديه هذا الأسبوع إلا واجبه المنزلي. لو سحبت اقتراحاً فعليك مثلاً أن تذهب إلى مهرجان البيرة هذا الأسبوع وتغرق شخصاً في مرحاض كيماوي ..سوف تنال تقديراً أكبر لو أنك تلقيت علقة على عملك هذا . أو تحضر عرض أزياء وتقذف جيلاتين الشليك (الفراولة) من إحدى الشرفات المنخفضة. لو قبض عليك تطرد من (لجنة الاعتداء). لو ضحكت تطرد من اللجنة. لا أحد يعرف من يسحب أي اقتراح ..

فقـــط (تايلر) يعرف الاقتراحات كلها، ويعرف أيها تم قبوله وأيها تم إلقـــاؤه فـــي القمامة. في نهاية الأسبوع قد تسمع عن رجل مجهول يســـرق سيارة (جاجوار) ويقودها لتسقط في نافورة. عندها تتساءل: هل هذا اقتراح من اقتراحات اللجنة التي كان يمكنك أن تسحبها ؟.. الثلاثاء القادم سوف تذهب للقاء اللجنة تحت الضوء الوحيد في نادي القـــتال المعـــتم، ومازلـــت تتساءل عمن دفع السيارة الجاجوار نحو النافورة. من ذهب إلى سقف متحف الفنون وسدد كرات من الدهان نحـــو قاعة النحت ؟.. من رسم قناع الشيطان على برج (هاين) ؟.. بوســـعك أن تتخـــيل فـــريقاً من الكتبة القانونيين وموظفي الأرشيف يتســـللون إلى مكاتبهم اليومية.. لربما كانوا ثملين نوعاً حتى إن كان هـــذا ضـــد قوانين (مشروع الأضرار). يستعملون المفاتيح الخاصة وعلـــب رش الفـــريون كي يحطموا أقفال الخزانات، من ثم يتعلقون علـــى واجهة المبنى المكونة من القرميد، ويأمن كل منهم للآخر بأن يتمســـك بالحبل.. يتأرجحون .. ويجازفون بالموت السريع في تلك المكاتب التي يموتون فيها كل ساعة نهاراً.

وفي النهار التالي سوف يكون هؤلاء الموظفون أنفسهم وسط الـــزحام بشعورهم الممشطة بعناية إلى الخلف، سكارى من قلة النوم لكنهم يضعون ربطات العنق، ويصغون للزحام حولهم يتساءل عمن فعـــل هذا. يصرخ رجال الشرطة في الجميع أن يبتعدوا بينما الماء

يتدفق من كل عين بنية عملاقة. قال لي (تايلر) إنه لا يجد أكثر من أربعة اقتراحات جيدة في كل اجتماع، لذا فإن فرصتك في أن تسحب اقـــتراحاً حقيقـــياً هي أربعة من عشرة. هناك ٢٥ شخصاً في لجنة (الاعـــتداء) بمـــن فيهم (تايلر). يكلف كل منهم بواجبه المنزلي: أن يخسر مشاجرة أمام الملأ .. ثم يسحب اقتراحاً. هذا الأسبوع قال لهم (تايلر) :

ـــ"أخرجوا من هنا وابتاعوا مسدساً.."

ونـــاول أحـــد الفتية دليل الهاتف وطلب منه أن ينتزع إعلاناً مـــنه. ثـــم نـــاول الدليل لآخر. لا يسمح لشخصين بأن يذهبا لذات المكـــان للشـــراء أو إطـــلاق النار. يقول (تايلر): "هذا" ـــ ويخرج مسدســـاً مـــن جيب معطفه – "هذا مسدس.. وخلال أسبوعين يجب على كل منكم أن يحضر مسدساً من الحجم ذاته إلى الاجتماع. ومن الأفضل أن تدفعوا ثمنه نقداً ". يقول (تايلر): "في اللقاء التالي سوف تبدلون المسدسات ثم تبلغون عن سرقة المسدسات التي ابتعتموها"

لـــم يســـأل أحد عن شيء .. أنت لا توجه أسئلة .. هذه هي القـــاعدة الأولى لـــ (مشروع الأضرار). ناول (تايلر) المسدس لمن حوله. كان ثقيلاً برغم صغر حجمه كأن شيئاً عملاقاً كجبل أو شمس قـــد انكمـــش ليصنع هذا. أمسكه أعضاء اللجنة بين إصبعين. أراد الجمـــيع أن يســـألوا عمـــا إذا كان محشواً ، لكن القاعدة الثانية لـــ

(مشروع الأضرار) هي أنك لا توجه أسئلة. ربما كان محشواً وربما لا. ربما كان علينا دوماً أن نفترض الأسوأ.

قــال (تايلر): "السلاح صغير ومتقن الصنع. كل ما عليك هو أن تسحب الزناد للخلف" . القاعدة الثالثة لمشروع التخريب هي ألا أعــذار هــنالك. يقــول (تايلر): "الزناد يحرر المطرقة .. المطرقة تضــرب الــبارود". القاعدة الرابعة هي لا أكاذيب. "الانفجار ينسف قرصاً معدنياً في الطرف المفتوح للمقذوف. وتقوم الماسورة بتركيز المســحوق المتفجر والطلقة التي تنطلق كصاروخ". يقول (تايلر): " مثل رجل يقذف من مدفع .. كقذيفة تنطلق من منصة إطلاق .. في اتجاه واحد".

حيــن ابــتكر (تايلر) (مشروع الأضرار)، قال إنه لا شأن له بالــناس الآخريــن. لم يكن يبالي ما إذا تأذى الناس الآخرون أم لا. كــان الهدف هو أن يعلم كل واحد في المشروع كيف أن لديه القدرة على تغيير التاريخ. نحن – كل واحد منا – بوسعه أن يسيطر على العــالم. لقد ابتكر (تايلر) (مشروع الأضرار) وهو في نادي القتال. كنــت قد قاتلت رجلاً أتى لأول مرة إلى نادي القتال. في ليلة السبت تلك جاءنا شاب له وجه ملائكي للمرة الأولى، فدخلت معه في قتال. هذه هي القاعدة .. لو كانت هذه أول مرة لك في نادي القتال فعليك أن تقــاتل. لقد قاتلته لأن الأرق عاودني وكنت بحاجة إلى تدمير أي

شــيء جمــيل. بما أن أكثر وجهي لا يجد الفرصة ليلتئم أبداً، فليس لدي ما أخسره من ناحية المظهر. سألني رئيسي في العمل عما أفعله بصــدد الفجــوة التــي لا تلتــئم أبداً في خدي. قلت له إنني أسدها بإصــبعين حين أشرب كي لا تخرج القهوة منها. وفي تلك الليلة في نــادي القتال ضربت هذا القادم الجديد، ودققت هذا الوجه الملائكي الجمــيل، فــي الــبداية بالنتوءات العظمية في قبضتي، ثم بمؤخرة قبضتي بعد ما تعرت سلامياتي من أثر أسنانه . قال لي (تايلر) فيما بعــد أنـــه لم يرني قط أدمر شيئاً إلى هذه الدرجة الكاملة. في تلك اللــيلة شــعر (تايلر) بأن عليه أن ينقل نادي القتال لمستوى آخر أو يغلقه. قال (تايلر) وهو جالس إلى مائدة الإفطار في الصباح التالي:
"بدوت لي كمجنون أيها المريض النفسي.. لأين ذهبت ؟"
قلت إنني أشعر بأسوأ حال ولست مسترخياً على الإطلاق. لم أنل أي قسط من النوم. ربما كان المرء قد بدأ يعتاد القتال، ولربما كان علي أن انتقل لشيء أكبر. في هذا الصباح ابتكر (تايلر) (مشروع الأضرار). سألني (تايلر) عن الشيء الذي أقاتله فعلاً.. ما قاله (تايلر) عن أننا فضلات وعبيد التاريخ هو ما شعرت به فعلاً..
أردت أن أدمر كل شيء جميل لم أنله قط ..أحرق غابات أمطار الأمازون .. أرش (الكلوروفلوركاربون) في طبقة الأوزون. أفك أغطية آبار البترول. أردت أن اقتل السمك الذي لن أستطيع أكله،

وأدمر الشواطئ الفرنسية التي لن أراها أبداً. أردت للعالم كله أن يبلغ الحضيض. وأنا اضرب ذلك الفتى تمنيت أن أدفن رصاصة بين عيني كل دب (باندا) مهدد بالانقراض ولم يستطع الحفاظ على سلالته، وكل حوت ودرفيل استسلم وألقى بنفسه على الشط. لا تعتبر هذا انقراضاً.. فكر فيه كخفض أعداد العمالة. لآلاف السنين أفسد البشر كل شيء على هذا الكوكب والآن يتوقع مني التاريخ أن أنظف ما تركه الجميع من فوضى. يجب أن أغسل وأجفف علب الحساء .. علي أن ادفع فاتورة التلوث النووي وخزانات الجازولين والنفايات التي تم إلقاؤها قبل أن أولد بجيل كامل. أمسكت بوجه (السيد ملاك) كأنه طفل أو كرة تحت إبطي، وسحقته بسلاميات أصابعي حتى تهشمت أسنانه وبرزت من بين شفتيه. حتى سقط من بين ذراعي ليتحول إلى كومة عند قدمي. حتى رق الجلد على عظمتي وجنتيه وصار اسود. أردت أن استنشق الدخان.. إن الغزلان والطيور ترف سخيف، والسمك يجب أن يموت ويطفو. أردت أن احرق متحف (اللوفر) .. سوف أحطم (إلجين ماربلز) (*) بمطرقة وأمسح مؤخرتي

(*) معناها (رخام إلجين): قطعة أثرية يونانية عظيمة القيمة من معبد (البانثينون) سرقها إيرل (إلجين) عام ١٨٠١ ووضعها في المتحف البريطاني. وهي القصة المعتادة لأن العثمانيين الذين كانوا يحتلون اليونان كانوا متساهلين بصدد الآثار لأنهم لم يروا أية قيمة لهذه الأشياء. وحالياً تجري معركة دبلوماسية تحاول فيها

بالـ (موناليزا). هذا هو عالمي الآن. عالمي ... عالمي.. وهؤلاء الناس المندثرون موتى.

كـان هـذا علـى الإفطار ذلك الصباح، حين ابتكر (تايلر) مشـروع الأضـرار. أردنا أن نحرر العالم من التاريخ. كنا نتناول الإفطـار فـي ذلك البيت في (بيبر ستريت). وقد قال لي (تايلر): " تخيل أنك تزرع الفجل وتبذر الطماطم في الطابق الخامس عشر من ناطحـة سـحاب منسـية . سندهن ناطحات السحاب بوجوه طوطم وعفاريت. وفي المساء سيفر من بقى من البشر إلى حدائق الحيوان الخاويـة، ويغلقون على أنفسهم الأقفاص ليحتموا من الدببة والنمور والذئاب التي ترقبنا من خارج قضبان الأقفاص ليلاً". يقول (تايلر): "إعـادة تدوير النفايات وتحديد سرعة القيادة هراء .. إنهم يتصرفون كالـرجل الذي يقلع عن التدخين على فراش الموت". "إنه (مشروع الأضـرار) الذي سينقذ العالم. عصر جليد ثقافي .. عصر ظلام يتم خلقه قبل الأوان.. (مشروع الأضرار) سوف يرغم البشرية على أن تنام أو تتوقف فترة كافية إلى أن تشفى الأرض من جراحها.

اليونان استرداد هذا الأثر المهم. لكن يرى كثيرون أنه لو لم تسرق هذه التحفة لاندثرت أو أحرقها العثمانيون للحصول على مادة الجير.

يقــول (تايلر): " أنت تبرر الفوضوية .. تصور هذا .. مثلما يفعل نادي القتال مع الموظفين فإن (مشروع الأضرار) سوف يدمر الحضارة حتى نتمكن من أن نخلق من العالم شيئاً أفضل"

يقول (تايلر): "تخيل أن تطارد الأيائل أمام واجهات المحلات وأكــوام الثياب المتعفنة الجميلة.. سوف تلبس ثياباً جلدية تظل عليك بقــية حــياتك.. سوف تتسلق أغصان (الكودزو) التي تحيط بأبراج(سيرز). هذا هو هدف (مشروع الأضرار) .. أن ينسف الحضارة فوراً. "

أمــا مــا ســيحدث فيما بعد في (مشروع الأضرار) فلا أحد يعرف. القاعدة الثانية هي ألا توجه أسئلة.

قــال (تايلــر) للجنة الاعتداء: "لا تجلبوا طلقات .. ولا تقلقوا بهــذا الصــدد .. نعم .. سوف يكون عليكم قتل شخص ما .. لجان الحــرق والاعــتداء والتشهير والضرر.. لا أسئلة . لا أسئلة .. لا أعذار ولا أكاذيب" . القاعدة الخامسة لــ (مشروع الأضرار) هي أن علــيك أن تــثق بــ (تايلر). طلب مني (تايلر) أن أطبع وأنسخ هذه التعليمات.

منذ أسبوع كان يقيس أبعاد القبو في البيت المستأجر في (بيير ســتريت). طوــله ٦٥ حذاء وعرضه ٤٠ حذاء. كان يفكر بصوت عال. سألني (تايلر):

ــ"كم يساوي 7 X 7 ؟"

اثنين وأربعين ..

ــ"و ٤٢ X ٣ ؟"

مائة وستاً وعشرين ..

ناولني قائمة ملحوظات كتبت باليد وطلب أن أطبعها وأنسخها ٧٢ مــرة. سألته لم هذا العدد ؟. فقال: "هذا هو عدد الذين يمكن أن يناموا في القبو لو وضعناهم في أسرة ذات ثلاثة أدوار من فضلات الجيش. سألته عن حاجياتهم فقال إنهم لن يحضروا إلا ما في القائمة .. وهذا يمكن وضعه تحت الحشية.

هــذه القائمة يجدها رئيسي في آلة النسخ. عداد الآلة ما زال يشير إلى ٧٢ نسخة. تقول القائمة:

ــ"إحضار المطلوب لا يضمن قبولك في التدريبات.. لكن لن ننظر بعين الاعتبار لأي متقدم ما لم يجلب هذه الأشياء ومعها ٥٠٠ دولار نقداً لتغطي تكاليف الدفن"

يقول (تايلر):" إن حرق جثة الفقير يكلف ٣٠٠ دولار على الأقل. والسعر في ارتفاع. كل من يموت وليس معه هذا المال تذهب جثته إلى دروس التشريح. يجب أن يظل هذا المال في حذاء الطالب حتى إذا ما هلك لا يكون موته عبئاً على (مشروع الأضرار). بالإضافة لهذا يجب أن يحمل المتقدم معه قميصين وسروالين أسودي اللون".

الفصل الرابع عشر

يجلب رئيسي فرخاً آخر من الورق إلى مكتبي ويضعه عند كوعي. لم أعد أضع حتى ربطة العنق. رئيسي يضع ربطته الزرقاء فلابد أن اليوم الخميس. الباب المفضي لغرفة رئيسي مغلق الآن، ولم نتبادل إلا كلمتين منذ وجد قواعد نادي القتال في آلة النسخ، وحين لمحت إلى أنني قد أفجر أحشاءه ببندقية آلية. ربما أطلب المسئولين عن عقود الإذعان في قسم النقل. هناك سناد تحميل للمقعد الأمامي لسياراتنا لم يجتز أياً من اختبارات التصادم قبل أن يتم إنتاجه. لو كنت تعرف لأين توجه عينيك فهناك جثث مدفونة في كل صوب. أقول له صباح الخير. فيقول: "صباح". عند كوعي أجد وثيقة أخرى سرية كانت مخصصة لي فقط. مطلوب زوج من الأحذية السوداء والجوارب السوداء ومعطف أسود ثقيل. هذا يتضمن الثياب التي يلبسها المتقدم. منشفة بيضاء واحدة. حشية من مخلفات الجيش. سلطانية بلاستيك بيضاء. على مكتبي ورئيسي يقف جواري، ألتقط القائمة الأصلية وأشكره. يذهب رئيسي لمكتبه بينما ألعب لعبة (السوليتبر) على الكمبيوتر.

بعد ساعات العمل أعطي النسخ لـ (تايلر)، وتمر الأيام. أعود للبيت. أذهب للعمل. أعود للبيت فأجد رجلاً يقف على الرواق الأمامي. الرجل يقف على بابي الأمامي ومعه قميصه الأسود الثاني والسروال في كيس ورقي بني اللون، ومعه الأشياء الأخيرة: منشفة بيضاء وحشية من فضلات الجيش وسلطانية من البلاستيك يضعها على ترابزين الرواق. ومن نافذة بالطابق العلوي نختلس أنا و(تايلر) النظر للفتى. ويأمرني (تايلر) بصرف الفتى. يقول (تايلر): "إنه صغير السن جداً"

إن الفتى الواقف بالرواق هو السيد (وجه الملاك) الذي حاولت تدميره يوم ابتكر (تايلر) (مشروع الأضرار). حتى بعينيه السوداوين وقصة البحارة الشقراء يمكنك أن ترى تقطيبته الصارمة بلا ندوب ولا تجاعيد. ضعه في فستان واجعله يبتسم ولسوف يتحول إلى امرأة. السيد (وجه الملاك) يقف على أطراف أصابعه ويختلس النظر عبر شقوق الخشب، ويداه على جانبه، وحذاءاه أسودان وقميصه اسود. يأمرني (تايلر): "تخلص منه .. إنه صغير جداً"

أسأله : "متى يعتبر الصغير أصغر من اللازم ؟". يقول (تايلر): "لا يهم . إذا كان المتقدم صغيراً نقول له إنه صغير جداً.. لو كان بديناً فهو بدين جداً. نحيل إذن هو نحيل جداً. أبيض إذن هو أبيض جداً. أسود إذن هو أسود جداً..". يقول (تايلر) إن هذه هي

الطريقة التي كانت المعابد البوذية تختبر بها المتقدمين منذ زمن سحيق. تقول للمتقدم لك أن يرحل. فإن ظل ينتظر على المدخل ثلاثة أيام بلا طعام ولا مأوى ولا تشجيع، عندها وعندها فقط يمكنه أن يدخل ويبدأ التدريب. لذا أقول للسيد (وجه ملائكي) إنه صغير السن، ولكنه عند الغداء ما زال ينتظر. بعد الغداء سأنزل له وأضربه بمكنسة . من أعلى ينظر لي (تايلر) وأنا أهوي بالعصا على أذن الفتى، لكن الفتى يظل واقفاً، فألقي بما يحمله في البالوعة وأصيح. ابتعد .. ألم تسمع ؟. أنت صغير جداً.. لن تنجح . تعال بعد عامين وتقدم ثانية. فقط إرحل .. ابتعد عن مدخل بيتي. في اليوم الثاني مازال الفتى هناك، فيخرج له (تايلر) قائلاً: "أنا آسف ..". هو آسف لأنه كلم الفتى عن التدريب، لكن الفتى صغير فعلاً بحق، فليته يتفضل بالرحيل. أسلوب الشرطي الطيب والشرطي الشرير. أصرخ من جديد في الفتى، ثم بعد ست ساعات يخرج له (تايلر) ليقول إنه آسف لكن لا.. يجب أن يرحل. يقول (تايلر) إنه سيطلب الشرطة ما لم يرحل الفتى. لكن الفتى يبقى وثيابه مازالت في البالوعة. الريح تبعد الكيس الورقي الممزق. لكنه يبقى. في اليوم الثالث هناك متقدم آخر على الباب. السيد (ملاك) ما زال هناك، فينزل (تايلر) ويقول له: "هلم .. هات حاجياتك من الشارع وادخل".

وللشــخص الجديد يقول (تايلر) إنه آسف، لكن هناك خطأ. إن القادم الجديد أكبر سناً من أن يتدرب هنا، فلو تفضل بالرحيل.

أذهــب للعمــل كل يوم ثم أعود، وفي كل يوم هناك رجل أو اثنان ينتظران في الرواق. لا تلتقي عيونهم بي. أغلق الباب وأتركهم هــناك. ظل هذا يحدث يومياً لفترة ما، فأحياناً يرحل المتقدم وأحياناً يــبقى حتى اليوم الثالث، وحتى امتلأت كل اسرة المبيت التي ابتعتها و(تايلــر) ووضــعناها في القبو. ذات مرة أعطاني (تايلر) خمسمائة دولار نقداً وطلب أن احفظها في حذائي طيلة الوقت. تكاليف دفني. هــذه عــادة أخرى من عادات أديرة البوذيين. أعود من العمل اليوم لأجــد البيــت مليــئاً بالغرباء الذين قبلهم (تايلر). كلهم يعمل .. لقد تحول الطابق الأول كله إلى مطبخ ومصنع صابون. لا يخلو الحمام أبــداً. يختفــي بعــض الرجال بضعة أيام ثم يعودون ومعهم حقائب حمراء مطاطية مليئة بالدهن السائل. ذات ليلة يصعد (تايلر) للطابق العلوي ليجدني أتوارى في غرفتي فيقول: :لا تضايقهم .. هم جميعاً يعــرفون ما يفعلون. هذا جزء من (مشروع الأضرار). لا أحد يفهم الخطة كاملة، لكن كل واحد مدرب على أداء جزء صغير ببراعة.."

إن قــاعدة (مشــروع الأضــرار) هي أن عليك أن تثق بــ (تايلــر). ثــم يــرحل (تايلر). طيلة اليوم يقوم فريق فتية (مشروع الأضرار) بتذويب الدهن. وأنا لا انام. طيلة الليل اسمع باقي الفرق

تخلــط الصودا الكاوية وتقطع الصابون، وتطهيه ثم تغلف كل قطعة صــابون بالمــناديل الورقية وتضع عليها خاتم شركة (بيبر ستريت للصابون). يبدو أن كل واحد يعرف ما يفعله باستثنائي، و(تايلر) لم يعــد للبيت. أحتضن الجدران شاعراً بأنني فأر حبيس هذه الآلية من الــرجال الصامتين الذين لهم طاقة القردة المدربة، يطهون ويعملون ويــنامون فــي فــرق. شد رافعة .. اضغط زراً. فريق من قردة الفضاء يطهو الوجبات طيلة اليوم، وفرق من قردة الفضاء تأكل من السلطانيات التي جلبوها معهم.

ذات صــباح كنت ذاهباً للعمل لأجد (بوب) الضخم في البهو يلبس حذاء اسود وقميصاً اسود وسروالاً. أسأله عما إذا كان قد رأى (تايلر) مؤخراً. هل أرسله (تايلر) هنا ؟. يقول (بوب) الضخم وكعباه متلاصقان وظهره مستقيماً: "القاعدة الأولى لــ (مشروع الأضرار) هي أنك لا توجه أسئلة عن (مشروع الأضرار)" . فأسأل عن المهمة التــي لا تحتاج لعقل التي كلفه بها (تايلر). هناك اشخاص مهمتهم ســلق الأرز طــيلة الــيوم، أو غســل سلطانيات الأكل أو تنظيف المخلفات. طيلة اليوم. هل وعده (تايلر) بالسعادة إذا ما قضى ست عشــرة ساعة يومياً يقطع الصابون ؟. لا يقول (بوب) الضخم شيئاً فأعود للعمل. أعود لداري لأجد أن (بوب) ما زال في مكانه. لا أنام طــيلة الليل وفي الصباح أجد (بوب) الضخم يعنى بالحديقة. قبل أن

أذهب للعمل أسأل (بوب) الضخم عمن دعاه إلى هنا. من كلفه بهذا العمل ؟. هل رأى (تايلر) ؟. هل كان (تايلر) هنا ليلة أمس ؟. يقول (بوب) الضخم: "القاعدة الأولى لـ (مشروع الأضرار) هي أنك لا توجه أ.."

هنا أقاطعه. أقول .. أجل .. أجل .. أجل ..وبينما أنا في العمل تقوم فرق قردة الفضاء بحفر العشب الموحل حول البيت، ويعاملون القذارة بأملاح (الإبسوم) لتقليل الحمضية. ويكومون الروث الذي جمعوه من حظائر الماشية مع أكياس من بقايا الشعر من الحلاقين، لإبعاد الخلدان والفئران وزيادة محتوى البروتين في الأرض. وفي أية لحظة يأتي قردة الفضاء من سلخانة ما، بحقائب من الدم لزيادة الحديد في التربة، والعظام لزيادة الفوسفور. فرق قردة الفضاء تزرع الريحان والزعتر والخص والنعناع في شكل متعدد الألوان. نافذة من الزهور وسط كل بقعة خضراء. فريق آخر يخرج ليلاً لقتل القواقع والعلق بضوء الشمعة. فريق آخر من قردة الفضاء يلتقط الأوراق وثمر العليق الأفضل لغليه من أجل الحصول على صبغ طبيعي. العشب المعمر لأنه مطهر طبيعي، وأوراق البنفسج لأنها تشفي الصداع، والـ (وودرف) لأنه يعطي الصابون رائحة العشب الذي تم جزه. وفي المطبخ زجاجات من الفودكا لصنع صابون السكر البني . أسرق زجاجة فودكا وأنفق تكاليف جنازتي

على السجائر. تظهر (مارلا). نتحدث عن النباتات. نمشي أنا و(مارلا) عبر الخضرة التي تشبه الكاليدوسكوب (المشكال)، نشرب وندخن. نتحدث عن ثدييها. نتحدث عن كل شيء ماعدا (تايلر دوردن).

وذات يوم نجد في الصحف كيف أن فريقاً من رجال يرتدون السواد قد اقتحموا حياً أكثر ثراء بالجوار، ومعرضاً للسيارات الفاخرة، وهم يحطمون مصدات السيارات بمضارب البيزبول، حتى انتفخت أكياس الهواء بالداخل وانفجرت مبعثرة ما فيها من مسحوق، وقد راحت إنذارات السيارات تعوي.

وفي مصنع (بيبر ستريت للصابون) فرق أخرى تلتقط البتلات من الزهور، أو شقائق النعمان واللافندر وتضعها في صناديق مع طبقة من الشحم الذي سيمتص الرائحة، ليصنعوا صابوناً برائحة الزهور. تخبرني (مارلا) عن النباتات. إن الزهرة ــ تقول لي ــ قابض طبيعي للأنسجة. بعض الزهور لها أسماء جنائزية: السوسن .. الريحان .. إكليل الجبل .. الفربينا ... بعضها لها أسماء جنيات شكسبير مثل : (سبايكنارد) و(كاوزليبس) و(ميدوسويت).. لسان الغزال برائحة الفانيليا المحببة فيه. في كل ليلة أمشي مع (مارلا) في الحديقة إلى أن اتيقن أن (تايلر) لن يعود هذه الليلة. خلفنا قرد فضاء يجمع البلسم أو النعناع الذي تهشمه

(مارلا) تحت أنفي. عقب سيجارة على الأرض. قرد الفضاء يسوي الممر خلفه ليمسح أي أثر يقول إننا مررنا هنا.

وذات ليلة في حديقة وسط المدينة، سكب بعض الرجال الجازولين حول كل شجرة ومن شجرة لشجرة أشعلوا حريق غابات مصغراً. جاء في الصحيفة كيف أن نوافذ مجلس المدينة عبر الشارع ذابت، وكيف أن السيارات الواقفة انصهرت عجلاتها.

بيت (تايلر) المستأجر في (بيبر ستريت) كائن حي رطب من الداخل، بكل هؤلاء الذين يعرقون ويتنفسون. كثيرون يتحركون بالداخل فيترك المنزل. كان هناك من يثقب آلات الصرافة والهواتف التي تعمل بالعملة، ثم يحقن في الثقوب شحماً وبودنج الفانيليا. و(تايلر) لم يعد للبيت. لكن بعد شهر صارت لعدد من قردة الفضاء قبلة (تايلر) على ظهور ايديهم. ثم اختفى هؤلاء القردة أيضاً، وجاء آخرون. وفي كل يوم يأتي يأتي الرجال في سيارات مختلفة. لا ترى السيارة ذاتها مرتين. ذات ليلة اسمع (مارلا) في الرواق تقول لقرد فضاء: "أنا هنا كي أرى (تايلر).. (تايلر دوردن) يعيش هنا .. أنا صديقته". يقول قرد الفضاء: "آسف .. لكنك ..." ـ ثم يصمت ويقول: "أنت أصغر سناً من أن تتدربي هنا"

ـ"إذهب للجحيم"

يقول قرد الفضاء: "بالإضافة لهذا أنت لم تجلبي الأشياء المطلوبة. قميصان وسروالان أسودان". فتصرخ (مارلا): "(تايلر)..! .. ". وحذاءان.."(تايلر).. ! .. ". وجوربان اسودان وزوجان من الثياب الداخلية. "(تايلر).. ! .. ". وأسمع الباب الأمامي يغلق بقوة. (مارلا) لا تنتظر ثلاثة الأيام. في أكثر الأيام أعود بعد العمل وأعد لنفسي شطيرة من زبد الفول السوداني. حين اعود للمنزل أجد احد قردة الفضاء يحكي للقردة الآخرين المحتشدين في الطابق الأول:

- "أنت لست كسفة ثلجية جميلة نادرة. أنت مادة عضوية متحللة ككل واحد آخر. وكلنا جزء من كومة الروث ذاتها."ـ يواصل قرد الفضاء ـ" ثقافتنا جعلتنا الشيء ذاته .. لا أحد منا في الحقيقة أبيض أو اسود أو ثري.. كلنا نريد الشيء ذاته. بينما من ناحية الفردية نحن لا شيء"

ويتوقف القارئ حين أدخل لأعد شطيرة، ويجلس كل قردة الفضاء صامتين كأنما انا وحدي. أطلب منهم ألا يضايقوا أنفسهم. لقد قرأته بالفعل. بل طبعته. حتى رئيسي قرأه. كلنا كومة قمامة كبيرة. استمروا .. العبوا لعبتكم الصغيرة.

ينتظر قردة الفضاء صامتين حتى أعد شطيرتي وآخذ زجاجة فودكا اخرى وأصعد في الدرج. خلفي اسمع: " أنت لست كسفة

ثلجية جميلة نادرة". أنا (جو ذو القلب المحطم) لأن (تايلر) تخلى عني. لأن أبي تخلى عني. أه .. يمكنني الاستمرار للأبد. في عدة ليال بعد العمل أقصد نادي قتال آخر في قبو أو مرآب وأسأل الجميع إن كانوا قد رأوا (تايلر). في كل نادي قتال هناك رجل لم أره قط يقف تحت ضوء وحيد في قلب الظلام، يحيط به الرجال، ويقرأ كلمات (تايلر). القاعدة الأولى لنادي القتال: لا تتكلم عن نادي القتال. حين يبدأ القتال أنتحي بقائد النادي جانباً وأسأله عما إذا كان قد رأى (تايلر). أقول إنني اعيش مع (تايلر) ولم يعد للبيت منذ فترة. تتسع عينا الرجل ويسألني إن كنت حقاً أعرف (تايلر دوردن). هذا يحدث في أكثر أندية القتال. نعم .. أقول إنني أفضل صديق لـ (تايلر). ثم فجأة يريد الجميع أن يصافحوني. ينظر هؤلاء للثقب في خدي والجلد المسود على وجهي، واللون الأصفر والأخضر على الحواف، ثم يلقبونني

بالسيد. لا ياسيدي .. على الإطلاق يا سيدي. لا أحد يعرفونه قابل (تايلر دوردن). أصدقاء اصدقائنا عرفوا (تايلر) وأنشأوا هذا القسم من نادي القتال ي سيدي. ثم يغمزون لي. لا أحد يعرفونه رأى (تايلر دوردن). يسألني الجميع هل (تايلر) يكون جيشاً الآن حقاً؟.

هذه هي الكلمة. هل (تايلر) لا ينام إلا ساعة فحسب كل ليلة ؟. الإشاعات تقول إن (تايلر) سيوجد أندية قتال في كل البلاد. ماذا بعد هذا ؟.. يريد الكل أن يعرف. لقد انتقلت اجتماعات (مشروع الأضرار) إلى أقبية اكبر لأن كل لجنة: السطو .. الإيذاء .. التشهير .. تنمو إذ يتخرج أفراد أكبر من نادي القتال. كل لجنة لها قائد وحتى القادة لا يعرفون مكان (تايلر). يتصل بهم هاتفياً كل اسبوع. كل من في (مشروع الأضرار) يريد معرفة وماذا بعد. إلى اين نحن ذاهبون ؟. ما الذي نتطلع إليه ؟.

في (بيير ستريت) امشي أنا و(مارلا) في الحديقة ليلاً بأقدام حافية، وكل خطوة تتصاعد منها رائحة زهرة الفربينا والجرمانيوم. حولنا قمصان وسراويل سود وشموع، يرفعون أوراق الشجر ليقتلوا قوقعاً أو علقة. تسأل (مارلا) عما يحدث هنا. البراز والشعر المقصوص يبرز جوار اكوام التراب. عظام ودم. النباتات تنمو أسرع مما يستطيع قردة الفضاء جزها. تسألني (مارلا): "ماذا تنوي عمله ؟". ماذا أقول ؟. وسط الطين أرى بقعة ذهبية تلمع فأنحني لأراها. أقول لـ (مارلا) إنني لا أعرف ما سيحدث. يبدو أننا تم التخلي عنا. بركن عيني أرى قردة الفضاء يجولون في ثياب سود، وكل منهم ينحني على شمعته. الشيء الذهبي الذي وجدته هو

ضرس أمامي له حشو ذهبي. جواره يبرز ضرسان محشوان بالزئبق الملغم فضي اللون. إنها عظمة فك. أقول لا .. لا أعرف ما سوف يحدث .. وأدفن الضرس .. الضرسين .. ثلاثة الأضراس وسط القاذورات مع الشعر والبراز حيث لن تستطيع (مارلا) أن تراها.

الفصل الخامس عشر

ليلة الجمعة هذه أنام على مكتبي في العمل. حين أصحو ووجهي ويداي المتقاطعتان على مكتبي، يدق جرس الهاتف، وقد رحل الجميع. كان جرس هاتف يدق في أحلامي ولا أعرف إن كان الواقع قد انزلق للحلم، أم أن الحلم قد انسكب على الواقع. أرد على الهاتف. المسئولية القانونية والإذعان. هذا هو القسم الذي أعمل فيه. المسئولية القانونية والإذعان.

الشمس تغرب وسحب عاصفة قادمة من (وايومنج) واليابان تتجمع نحونا. ليس الأمر أن لدي نافذة في المكتب. كل الجدران الخارجية هي زجاج من السقف إلى الأرضية. كل شيء أعمل فيه هو زجاج من السقف إلى الأرضية. كل شيء ستائر أفقية. كل شيء هو سجادة رمادية صناعية مبرقشة بشواهد القبور الصغيرة، حيث تنغرس أجهزة الحاسب الشخصي في الشبكة. كل شيء متاهة من المربعات تحيط بها أسوار من الخشب الرقائقي المبطن. مكنسة كهربية تئز في مكان ما. ذهب رئيسي للعمل. أرسل لي بريداً الكترونياً ثم اختفى. على أن أعد مراجعة رسمية خلال أسابيع. أرتب كل أوراقي. أجري تحديثات على الملخص الذي سأعرضه.

إنهم يرتبون لمقاضاتي. أنا (جو الذي لا يندهش أبداً). لقد كنت في الفترة الأخيرة أتصرف بشكل تعس.

ألتقط الهاتف فإذا هذا (تايلر) الذي يقول:

ـ"أخرج الآن . ثمة أشخاص ينتظرونك في ساحة انتظار السيارات". اسأله من هم ؟. فيقول (تايلر): إنهم ينتظرون". اشم رائحة الجازولين من يدي. يقول (تايلر): : "أخرج. إن معهم سيارة بالخارج. لديهم سيارة كاديلاك". ما زلت شبه نائم ولا أعرف إن كان (تايلر) حلماً، أم أني أنا حلم (تايلر). أشم رائحة الجازولين على يدي. لا احد هنا لذا أخرج قاصداً ساحة الانتظار. هناك شخص من نادي القتال يعمل في السيارات، وهاهو ذا يوقف سيارته (الكورنيش) حيث مكان وقوف أحدهم. كل ما أستطيع عمله هو أن أنظر إليها .. كل السيارة أسود وذهبي .. علبة سيجار عملاقة تتأهب لتقودني إلى مكان ما. يخرج الميكانيكي من السيارة ليخبرني ألا اقلق. لقد بدل الأرقام مع سيارة أخرى تقف في ساحة الانتظار الطويلة على طريق المطار. يقول الميكانيكي إن بوسعه أن يشغل أي شيء. سلكان يخرجان من عمود القيادة. وصل السلكين معاً عندها تغلق الدائرة إلى الملف اللولبي لبادئ الحركة، وتأخذ السيارة في رحلة مجنونة. إما أن تفعل هذا أو تزيف شفرة المفتاح. ثلاثة قردة فضاء تجلس في المقعد الخلفي بقمصانهم وسراويلهم السود. لا أرى شراً. لا اسمع

شراً. لا أقول شراً. أسأل أين (تايلر) إذن ؟. يفتح لي الميكانيكي باب الكاديلاك كأنه سائقي الخاص. الرجل نحيل وبارز العظام له كتفان يذكرانك بعارضة الهاتف. أسأل إن كنا ذاهبين للقاء (تايلر).

في وسط المقعد كعكة عيد ميلاد بها شموع تنتظر من يوقدها.

أدخل. نقود السيارة. حتى بعد أسبوع من نادي القتال لا يضايقك أن تقود بسرعة قانونية. ربما يكون لون برازك أسود ولديك إصابات داخلية لمدة يومين، لكنك بخير. السيارات الأخرى تمر بك. سيارات تتكوم وراءك وقائدوها يأتون بحركات بذيئة بأيديهم. الغرباء يكرهونك. لا يوجد شيء شخصي هنا. بعد نادي القتال أنت مسترخ تماماً فليس بوسعك أن تهتم. حتى الراديو لا تفتحه. ربما تؤلمك ضلوعك بسبب كسر رفيع كالشعرة كلما اخذت نفساً. السيارات خلفك تقلب أنوارها. الشمس تغرب ذهبية برتقالية. الميكانيكي هنا يقود السيارة. كعكة عيد الميلاد على المقعد بيننا.

من المفزع أنه ترى رجالاً مثل الميكانيكي في نادي القتال. الأشخاص النحيلون لا يتوقفون أبداً. يقاتلون حتى يتحولوا إلى هامبورجر. رجال بيض موشومون كأنهم هياكل عظمية غمست في شمع أصفر، ورجال سود كاللحم المقدد. هؤلاء الرجال يظلون معاً . لا يقولون توقف أبداً. إنهم مليئون بالطاقة ويهتزون بسرعة حتى أنك ترى حدودهم زائغة. هؤلاء الأشخاص الذين يتعافون من شيء ما.

كأن آخر خيار أمامهم هو الموت، وهم يريدون أن يموتوا في قتال. يجب أن يقاتلوا بعضهم. لن يدعوهم واحد آخر للقتال، وهم لن يدعوا شخصاً آخر إلا النحيل مثلهم ذلك المفعم عظاماً وتهوراً.. ولأن أحداً آخر لن يقبل مقاتلتهم. المشاهدون لا يصرخون حين يلتحم شخصان مثل الميكانيكي. كل ما تسمعه هو صوت المتقاتلين يلهثان عبر الأسنان، والأيدي تلتحم، وصوت التصادم حين ترتطم القبضات بالضلوع الرفيعة الجوفاء. ترى الأوتار والعضلات والأوردة تحت جلودهم تثب. جلودهم تلمع وتعرق تحت الضوء الوحيد. عشر . خمس عشرة دقيقة تتوارى. يعرقون .. وعرقهم له رائحة تذكرك بالدجاج المقلي. ستمر عشرون دقيقة من نادي القتال. في النهاية يسقط أحد الرجلين. بعد القتال يظل رجلان من مدمني المخدرات الذين يحاولون الإقلاع معاً بقية الليلة، مرهقين يبتسمان لأنهما قاتلا بخشونة. منذ إنشاء نادي القتال وهذا الميكانيكي يقيم حول بيت (بيبر ستريت). يريدني أن أسمع الأغنية التي كتبها. أن أرى عش الطيور الذي ابتناه. أراني صورة لفتاة وسألني عما إذا كانت جميلة بما يكفي ليتزوجها.

جالساً في المقعد الأمامي يقول الرجل:

ـ"هل رأيت تلك الكعكة التي صنعتها لك ؟..أنا صنعتها ..".

هذا ليس عيد ميلادي. "بعض الزيت وصل إلى الأطواق. لكني

غيرت الزيت ومرشح الهواء. تفقدت الصمام والتوقيت. من المفترض أن ينهمر المطر الليلة لذا غيرت الشفرات".

أسأله عما ينتويه (تايلر). يفتح مطفأة التبغ ويدفع ولاعة السجائر، ويقول: "هل هذا اختبار ؟.. هل تمتحننا ؟". أين (تايلر) ؟. "القاعدة الأولى لنادي القتال هي ألا تتكلم عن نادي القتال" وآخر قاعدة لـ (مشروع الأضرار) هي أنك لا توجه أسئلة، فماذا عساه يخبرني ؟. يقول لي: "يجب أن تفهم أن أباك كان هو النموذج الذي بنيت عليه تخيلك للإله".

ومن ورائي يصغر مكتبي ووظيفتي .. أصغر .. فأصغر ..يختفيان. أشم رائحة الجازولين على يدي. يقول الميكانيكي: "لو كنت ذكراً مسيحياً وكنت تعيش في امريكا، فإن أباك هو نموذجك للإله. وإذا لم تكن تعرف أباك، أو مات أو لم تره في البيت أبداً، فكيف يكون إيمانك بالله ؟".

تلك هي عقيدة (تايلر دوردن) مجملة. خطها على أوراق بينما أنا نائم ثم اعطيت لي كي أنسخها وأصورها في العمل. قرأتها كلها. حتى رئيسي قرأها على الأرجح. يقول الميكانيكي: "ينتهي بك الأمر أن تقضي حياتك بحثاً عن الأب والإله. يجب عليك أن تقبل احتمال أن الله لا يحبك. ربما هو يكرهنا.. ليس هذا أسوأ شيء يمكن ان يحدث".

وكان رأي (تايلر) أن جذب اهتمام الإله بك عن طريق الشر قـد يكـون أفضل من ألا تنال اهتمامه على الإطلاق. ربما مقته لك أفضل من لامبالاته. لو كان عليك الاختيار بين أن تكون عدوه أو لا شـيء فأيهمـا تختار ؟.حسب كلام (تايلر دوردن) فنحن أبناء الرب الأوسطون، بلا مكان خاص في التاريخ أو عناية خاصة. ما لم ننل اهـتمام الـرب فـلا أمل لنا في اللعنة أو الخلاص. ما الأسوأ ؟.. الجحـيم أم لا شـيء ؟.. فقـط حين نعتقل ونعاقب يمكننا أن نرجو الخـلاص. يقـول الميكانيكـي: "إحـرق اللوفـر وامسح مؤخرتك بالموناليـزا.. بهذه الطريقة على الأقل سيعرف الرب أسماءنا". كلما انحـدرت أكثر كلما حلّقت أعلى. كلما ابتعدت اكثر كلما أراد الرب أن تعـود أكثر. يقول الميكانيكي: "لو أن الابن الضال لم يبرح الدار لظـل الحمل السمين حياً" (*). لا يكفي أن تكون ذرة رمل من رمال الشاطئ أو نجمة من النجوم في السماء.

ويدخـل بالسيارة إلى الممر القديم الذي لا يسمح بالتجاوز، وسـرعان مـا يتكون صف من الشاحنات تمشي وراءنا بالسرعة القانونـية. تعميـنا الأضوء من خلفنا، وها نحن اولاء نتكلم .. وقد

(*) يتكلم عن قصة عودة الابن الضال في التوراه. فالفتى الضال قد عاد لأبيه، من ثم ذبح له أسمن حمل عنده.

انعكسـت صـورتنا عـبر زجاج النافذة. نقود بالسرعة التي تسمح للقـانون أن يكون قانوناً كما كان (تايلر) سيقول. إن القيادة بسرعة تشـبه إشعال النار أو زرع القنابل أو إطلاق الرصاص على رجل. المجرم هو المجرم هو المجرم.

يقـول الميكانيكـي: "الأسـبوع الماضي كان بوسعنا أن نملأ أربعة أندية قتال". الأسبوع القادم لو وجد الميكانيكي باراً مناسباً فإنه سوف يشرح القوانين لـ(بوب) الضخم ويعطيه نادي القتال الخاص بـه. من الآن حينما ينشئ أحد القادة نادي قتال، وحين يقف الجميع فـي الضوء الوحيد في القبو ينتظرون، يجب أن يدور القائد ويدور حـول حـدود الزحام في الظلام. أسأله من الذي صنع هذه القواعد الجديدة ؟. هل هو (تايلر) ؟.. يبتسم الميكانيكي ويقول: "أنت تعرف مـن يصنع القواعد". القاعدة الجديدة هي أنه لا يجب أن يكون أحد مركـزاً لـنادي القـتال. لا احد يقف في المركز باستثناء الرجلين المتصارعين. سوف يصرخ القائد وهو يمشي ببطء حول الزحام في الظـلام. سـينظر الـرجال في الزحام للرجال الآخرين عبر مركز الغرفة. هكذا سيكون الحال في كل أندية القتال. ليس من العسير أن تجـد مـرآباً أو بـاراً لاستضـافة نادي قتال جديد. حسب ما يقول الميكانيكـي فـإن القاعدة الجديدة لنادي القتال هي أنه سيظل مجانياً للأبد. لن يكلفك الدخول مالاً أبداً.

يصـــرخ الميكانيكي من النافذة الجانبية في السيارات القادمة نحونا، بينما هواء الليل البارد يهب على جانب السيارة: "تريدكم انتم لا مالكم !". يصرخ الميكانيكي من النافذة :"ما دمتم في نادي القتال، فأنتم لستم ما لديكم من مال في المصرف.. أنتم لستم وظائفكم .. أنتم لستم أسركم .. أنتم لستم ما تقولونه لأنفسكم". يصرخ الميكانيكي في الــريح: "أنتم لستم أسماءكم .. ". يتولى أحد قردة الفضاء في المقعد الخلفــي الأمــر: "أنــتم لســتم مشاكلكم .. أنتم لستم أعماركم ..". الميكانيكــي يملأ السيارة بأضواء الكشافات عبر الزجاج. سيارة تلو أخــرى تــندفع نحونـــا مباشرة نحونا وآلة تنبيهها تصرخ، فينحرف الميكانيكــي بمـــا يكفـــي فقـــط لتحاشيها. الأضواء تأتي نحونا أكبر فأكــبر.. آلات التنبــيه تعــوي .. فيمد الميكانيكي عنقه نحو الوهج والضوضاء ويصرخ: "أنتم لستم آمالكم ..". فلا يسمع احد صراخه. هــذه المــرة انحرفت السيارة التي كانت قادمة نحونا. سيارة أخرى قادمـــة وأضواؤها تتوهج .. تخفت .. تتوهج .. تخفت .. آلة التنبيه تعوي.. فيصرخ الميكانيكي: "لن تنجوا !"

ولا يــنحرف لكن السيارة القادمة نحونا مباشرة تفعل. تظهر ســيارة أخــرى فــيعوي الميكانيكي: "كلنا سنموت يوماً ما .. " هذه المــرة تــنحرف الســيارة القادمة لكن الميكانيكي ينحرف كذلك في طريقها. تنحرف السيارة فينحرف الميكانيكي كذلك. لقد صار الوجه

للوجه من جديد. تذوب وتنتفخ في هذه اللحظة. من أجل هذه اللحظة لا شـــيء يهـــم. أنظر للنجوم ولسوف ينتهي أمرك أنت ..ليس أمر متاعك .. لا شيء يهم.. لا شيء يهم.. حتى رائحة البخر الكريهة من فمك.

الـــنوافذ مظلمة من الخارج وآلة تنبيه السيارة تدوي . أضواء المقدمـــة تتوهج وتخفت في وجهك، فلن يكون عليك أن تذهب للعمل ثانـــية. لـــن تحـــتاج إلـــى حلاقـــة شعر أخرى. يقول الميكانيكي: "بسرعة.. "

وتنحرف السيارة ثانية فيعاود الانحراف في طريقها. يقول : " مـــاذا كنـــت تتمنى لو فعلته قبل أن تموت؟". والسيارة القادمة تعوي والميكانيكـــي هـــادئ جـــداً، حتى أنه يلتفت لي جواره على المقعد ويقول: "عشر ثوان على التصادم .. تسع .. ثمان.. سبع .. ست .. ". أقـــول: وظيفتـــي. أتمـــنى لو تركت وظيفتي. تبتعد الصرخة إذ تـــنحرف السيارة لكن الميكانيكي لا ينحرف ليصدمها. أضواء أكثر أمامنا، فيستدير الميكانيكي لثلاثة القردة في المقعد الخلفي. ويقول: "هـــيه يا قردة الفضاء .. أترون كيف نلعب هذه اللعبة ؟.. اعترفوا الآن وإلا متم جميعاً"..

تمـــر جوارنـــا سيارة على اليمين كتب على واقي الاصطدام الخـــاص بهـــا: "أنا أقود أفضل حين أكون ثملاً". تقول الصحف إن آلافـــاً مـــن هـــذه الملصـــقات ظهرت على السيارات ذات صباح.

ملصقات اخرى تقول: "كن عجلي". "السائقون الثملون يتحدون الأمهات". "قم بإعادة تدوير كل الحيوانات". قرأت الصحف وعرفت أن (لجنة التشهير) هي من فعل هذا. أو ربما (لجنة الأذى). جالساً جواري يخبرني ميكانيكي نادي القتال، ذلك الرجل النظيف المتزن أن نعم .. ملصقات الثمل هذه جزء من (مشروع الأضرار). القردة الثلاثة هادئون في المقعد الخلفي. (لجنة الأذى) تطبع بطاقات جيب للخطوط الجوية تظهر المسافرين يتقاتلون على أقنعة الأكسجين، بينما تهوي طائرتهم نحو الصخور بسرعة ألف ميل في الساعة. تتسابق لجنتا التشهير والأذى على تطوير فيروس يجعل آلات الصرافة في البنوك مريضة .. لدرجة أن تتقيأ أوراقاً بعشرة وعشرين دولاراً. تخرج القداحة المشتعلة فيطلب مني الميكانيكي أن أوقد شموع التورته. أشعل الشموع فتتوهج الكعكة تحت هالة من النيران. "ماذا كنت تتمنى لو فعلته قبل أن تموت ؟". يقولها الميكانيكي وينحرف بنا في وجه شاحنة آتية. تطلق الشاحنة آلة تنبيهها مطلقة دوياً عالياً تلو آخر بينما كشافاتها الأمامية تسطع كأنها الشمس لتضيء ابتسامة الميكانيكي. يقول للمرآة حيث يجلس قردة الفضاء في المقعد الخلفي: "تمنوا شيئاً.. بسرعة !"

"أمامنا خمس ثوان قبل النسيان النهائي.. واحد .." . لقد صارت الشاحنة هي كل شيء أمامنا.. "ثلاثة". من المقعد الخلفي يقول أحدهم: "إركب حصاناً.. ابن بيتاً.. ارسم وشماً".

يقول الميكانيكي:" فلتؤمن بي .. وعندها ستموت للأبد.. ".

انحرفت الشاحنة بعد فوات الأوان، وانحرف الميكانيكي لكن مؤخرة سيارتنا ضربت أحد رفارف الشاحنة الأمامية. لم أعرف هذا وقتها. ما أعرفه هو الأضواء. الأضواء تتألق في الظلام وأطير أنا لأضرب الباب الجانبي ثم الكعكة ثم الميكانيكي خلف عجلة القيادة. شموع الكعكة تنطفئ. وفي ثانية رائعة لم يعد هناك ضوء داخل السيارة الدافئة المبطنة بالجلد، واندفعت صرخاتنا بنفس النغمة العميقة. مع نفس الأنين الخفيض لبوق الشاحنة الهوائي، فلم تعد لنا سيطرة ولا خيارات ولا اتجاه ولا مفر.. لقد هلكنا. أمنيتي الآن هي أن اموت.. أنا لا أمثل شيئاً للعالم إذا قورنت بـ (تايلر). أنا عديم الحيلة .. غبي .. وكل ما أفعله هو أن اريد وأحتاج لأشياء. حياتي الحقيرة.. عملي القذر.. أثاثي السويدي.. لم أقل لأحد هذا قط قط ، لكن قبل أن ألقى (تايلر) كنت أنوي شراء كلب وأسميه (حاشية السلطان).. إلى هذا الحد يمكن أن تسوء حياتك. اقتلني. أتمسك بعجلة القيادة وأتلوى عائداً إلى زحام المرور. الآن استعد لإفراغ روحك. الآن يصارع الميكانيكي عجلة القيادة نحو جانب الطريق

وأنا اصارع كي أموت. هذه معجزة الموت المذهلة. في ثانية أنت حي تمشي وتتكلم .. وفي الثانية الأخرى انت شيء. أنا لا شيء بل أقل من هذا. بارد. غير مرئي. أشم الجلد. حزام الأمان يلتف من حولي كقميص الأكتاف. وحين احاول النهوض يضرب رأسي عجلة القيادة. هذا يؤلمني أكثر مما يجب. أنظر لأعلى فأرى وجه الميكانيكي من فوقي يبتسم ويقود وأرى النجوم خارج نافذته. يداي ووجهي لزجان بفعل شيء.. هل هو دم ؟. ثلج ناعم مخفوق كالقشدة. يقول الميكانيكي: "عيد ميلاد سعيد". أشم الدخان فأتذكر كعكة عيد الميلاد. يقول:"كدت أحطم عجلة القيادة برأسك".

لا شيء سوى هذا .. فقط هواء الليل ورائحة الدخان والنجوم والميكانيكي يقود ويبتسم. رأسي في حجره. وفجأة اشعر بأنني غير راغب في الجلوس. أين الكعكة ؟.. يقول الميكانيكي: "على الأرض.. ". فقط هواء الليل ورائحة الدخان اثقل. هل حققت امنيتي ؟ فوقي على خلفية نجوم السماء يبتسم الوجه:

ـ"شموع عيد الميلاد هذه .. إنها من النوع الذي لا ينطفئ. "

وفوق رأسي تتعود عيناي الظلمة لتريا الدخان ينبعث من نيران صغيرة تحيط بنا في بطانة سقف السيارة.

الفصل السادس عشر

يضغط ميكانيكي نادي القتال دواسة البنزين، ممارساً تهوره الهادئ خلف عجلة القيادة ، ومازال لدينا عمل مهم نقوم به الليلة. ثمة شيء يجب أن أتعلمه قبل انتهاء الحضارة، هو أن أنظر للنجوم وأعرف اتجاهي. الأمور هادئة كأننا نقود سيارة كاديلاك في الفضاء الخارجي.

ثلاثة الرجال في المقعد الخلفي فقدوا وعيهم أو ناموا. يقول الميكانيكي: "أنت مررت بتجربة دنو من الحياة" .. يرفع يده عن المقود ويلمس الكدمة الطويلة حيث ضرب رأسي عجلة القيادة. لقد تورمت جبهتي إلى حد أن عيني أغلقتا، وهو يمرر طرف إصبع بارد على التورم. ترتطم السيارة (الكورنيش) فينفجر الألم من عيني كما يخرج الظل من حافة القبعة. صوت المساعدين الخلفيين يعوي ويئن في السكون بينما نحن نندفع في هذا الطريق الليلي. يقول الميكانيكي كيف أن واقي الصدمات الخلفي لم يعد يثبته إلا الأربطة، وكيف إنه كاد ينفصل حين اشتبك بواقي صدمات الشاحنة. أسأله عما إذا كانت الليلة جزءاً من واجبات (مشروع الأضرار) ؟. يقول:

"جـــزء منها .. علي أن أقدم أربعة قرابين بشرية .. علي أن اجلب الكثير من الشحم"

ـــ"شحم ؟"

ـــ"للصابون"

ماذا يخططه (تايلر)؟. يتكلم الميكانيكي ومن الواضح أن هذا كلام (تايلر دوردن):" أرى أمامي أذكى الرجال على وجه الأرض. " – ويرتســـم وجهه محدداً أمام النجوم في نافذة السائق – "وهؤلاء الـــرجال يعملـــون فـــي مضخات البنزين أو يقومون بالخدمة على الموائد". أرى بوضوح على خلفية النجوم منظر جبهته .. حاجبيه .. منحنى أنفه .. أهدابه .. المنظر الجانبي البلاستيكي لفمه.

– "لـــو اســـتطعنا وضـــع هؤلاء القوم في معسكرات تدريب ونربـــيهم..". "كـــل مـــا يفعله المسدس هو تركيز انفجار في اتجاه واحـــد". "لديـــك طـــابور مـــن الشباب والشابات .. وكلهم يريدون التضحية بحياتهم لهدف ما. الإعلانات جعلت هؤلاء القوم يطاردون السيارات والثياب التي لا يحتاجون إليها. هناك أجيال ظلت تعمل في وظائف تكرهها فقط لتستطيع شراء أشياء لا تحتاج إليها... لا توجد حـــروب عظيمة في جيلنا ولا كساد عظيم .. لكن لدينا حرباً عظمى للـــروح. لديـــنا ثورة عظمى ضد الثقافة. الكساد العظيم هو حياتنا. يجـــب أن نعلـــم هـــؤلاء الرجال والنساء معنى الحرية عن طريق

اســـتعبادهم. نعلمهم معنى الشجاعة بإفزاعهم. ". "نابليون زعم كاذباً أنـــه يســـتطيع أن يجعل الناس يضحون بحياتهم من أجل قطعة من وشـــاح. تصـــور لو اننا نظمنا إضراباً وأبى الجميع العمل حتى يتم توزيـــع ثـــروات العالم بالقسطاس". "تخيل صيد الوعول في الغابات حول خرائب مركز (روكفلر) التجاري".

يقـــول الميكانيكـــي: "ما قلته عن وظيفتك .. هل كنت تعنيه ؟..". نعـــم كنـــت أعنيه. "لهذا نحن على الطريق الليلة". نحن فرقة صـــيد نبحـــث عـــن الدهن. سنذهب إلى مستودع المهملات الطبي. ســـنذهب إلـــى المحرقة وهناك بين الثياب الجراحية المهملة وغيار الجـــروح، والأورام التـــي مـــر علـــيها عشر سنوات، والإبر التي تخلصـــوا منها، وأنابيب الحقن الوريدي.. اشياء مخيفة . نعم اشياء مخـــيفة. بيـــن عينات الدم والأطراف المبتورة سنجد مالاً أكثر مما نســـتطيع نقله في ليلة واحدة حتى لو كنا سننقله في شاحنة مخلفات. سنجد مالاً يكفي لتحميل هذه (الكورنيش) حتى محور العجلة. "دهن .. دهـــن تـــم شفطه من أكثر الأفخاذ ثراء في أمريكا. أغنى وأسمن أفخـــاذ في العالم". هدفنا هو الأكياس الحمراء المليئة بالدهن الذي تم شـــفطه لنـــنقله إلـــى (بيبر ستريت) ونخلطه بالصودا الكاوية ونبات إكلـــيل الجـــبل، ونبـــيعه ثانـــية للناس الذين دفعوا ليشفطوه. قطعة الصـــابون بعشـــرين دولاراً.. هؤلاء الأشخاص هم الوحيدون الذين

يمكنهم دفع مبلغ كهذا. يقول: "أكثر الدهون ثراء ودسامة في العالم. هـــذا يجعل الليلة نوعاً من مغامرات (روبين هود).. ". نيران الشمع تتناثر على بطانة السقف . يقول:" بينما نحن هناك.. علينا أن نفتش عن بعض فيروسات الالتهاب الكبدي كذلك"

الفصل السابع عشر

الآن بـــدأت الدمـــوع تـــنهمر، وانحدرت قطرة كبيرة على ماسورة المسدس ثم على الحلقة المحيطة بالزناد لتنفجر على إصبعي الســـبابة. أغمض (ريموند هسل) عينيه لذا ضغطت المسدس بقوة علـــى صدغه، حتى يظل شاعراً به هناك، وأنني بجواره، وان هذه حياته . انه قد يموت في أية لحظة. لم يكن هذا سلاحاً رخيصاً وقد تســـاءلت عما إذا كان الملح يمكن أن يتلفه. لقد كان كل شيء سهلاً. لقد فعلت كل ما طلبه الميكانيكي. لهذا احتجنا إلى شراء مسدس. هذا هو واجبي المنزلي. علينا أن نجلب لـــ (تايلر) اثنتي عشرة رخصة قيادة. معنى هذا أن كلاً منا سيقدم اثني عشر قرباناً بشرياً.

لقـــد أوقفـــت سيارتي وانتظرت خارج المربع العمراني حتى ينهي (ريموند هيسل) ورديته في (كونر مارت) الساهر طيلة الليل. وعـــند منتصـــف اللـــيل كان بانتظار الحافلة الليلية حين دنوت منه وقلـــت: مرحباً. لم يقل (ريموند هيسل) أي شيء. ربما حسب أنني أريـــد ماله.. راتبه الذي يبلغ الحد الأدنى.. الأربعة عشر دولاراً في جيبه. آه يا (ريموند هيسل) !.. يالأعوامك الثلاثة والعشرين .. حين رحـــت تبكـــي والدمـــوع تـــنحدر علـــى ماسورة المسدس الملصق

بصدغك.. لا .. لم يكن المال هو غرضي. ليس المال كل شيء. لم تقل مرحباً. أنت لست حافظة نقودك التعسة.

أقول له: ليلة طيبة لكن باردة. حتى مرحباً لم تقلها. قلت لا تجر وإلا أطلقت الرصاص عليك من الظهر. أخرجت المسدس وكنت أضع قفازات من اللاتكس، حتى إذا صار المسدس دليل اتهام في قضية فلن يكون عليه إلا قطرات دمع (ريموند هيسل) الجافة. (ريموند هيسل) أبيض عمره ثلاثة وعشرون عاماً بلا علامات مميزة.

ثم نلت اهتمامك. عيناك كبيرتان لدرجة أنني في إضاءة الشارع الخافتة استطعت أن أرى أن لونهما أخضر مقاوم للتجمد. كنت تهتز للأمام والخلف كلما لمس المسدس وجهك، كأنما المسدس ساخن جداً أو بارد جداً. حتى قلت أنا لا تتقهقر .. عندها تركت المسدس يلمسك، وحتى في هذه اللحظة أرجعت رأسك للوراء بعيداً عن الماسورة. أعطيتني حافظتك كما طلبت. كان اسمك على الرخصة هو (ريموند ك. هيسل). تعيش في ١٣٢٠ إس إي ببنج. شقة أ. لابد أنها شقة في البدروم. شقق البدروم تأخذ حروفاً بدلاً من الأرقام. (ريموند ك ك ك ك هيسل).. كنت اتكلم معك. تدحرج رأسك للوراء بعيداً عن المسدس وقلت نعم. قلت نعم أنت تعيش في البدروم. "لديك صور في الحافظة كذلك. هناك صورة أمك. يجب

أن تفتح عينيك لترى صورة بابا وماما يبتسمان وترى المسدس في الوقت ذاته. لكنك تفعل ثم تغمض عينيك ثانية وتبدأ في البكاء.

سوف تهدأ.. إنها معجزة الموت المذهلة. في دقيقة أنت شخص .. في الدقيقة الأخرى أنت شيء. ولسوف يتصل بابا وماما بالطبيب العجوز أياً كان اسمه طالبين سجلات تقويم أسنانك للتعرف على جثتك، لأنه لن يبقى من وجهك الكثير. بابا وماما كانا يتوقعان منك الكثير .. لكن الحياة لم تكن عادلة، وها قد صارت الأمور إلى هذا. أربعة عشر دولاراً. هل هذه أمك ؟. نعم. كنت تبكي .. تمخط ..تبكي.. وابتلعت ريقك. نعم . لديك بطاقة مكتبة. لديك كارنيه استعارة فيديو. بطاقة أمن اجتماعي. أربعة عشر دولاراً نقداً. أردت ان آخذ تصريح اشتراك الحافلة لكن الميكانيكي أمرني بأن آخذ رخصة القيادة فقط. كارنيه طالب جامعي انتهى تاريخ صلاحيته. كنت تدرس شيئاً ما. هنا أطلقت صرخة حادة حتى أنني ضغطت المسدس أكثر على خدك، فبدأت تتراجع حتى أمرتك بأن تثبت وإلا مت حيث أنت. ماذا كنت تدرس ؟. أين ؟.. في الكلية. لديك كارنيه طالب جامعي. أوه .. لم تكن تعرف .. ابك .. ابتلع ريقك.. تمخط .. تمخط .. كنت أدرس الأحياء.

اسمع .. الآن ستموت يا (ريموند ك ك ك ك هيسل) .. الليلة. ربما تموت خلال ثانية أو ساعة.. قرر هذا . لذا اكذب علي.

قل لي أول ما يخطر بذهنك. ابتكر شيئاً. لا اهتم. إن السلاح معي . أخيراً تصغي وتخرج من المأساة الصغيرة التي في ذهنك. إملأ الفراغات.. ماذا يريد (ريموند هسل) أن يكونه حين يكبر ؟ العودة للدار .. قلت إن ما كل تريده هو العودة لدارك. لا غرابة في هذا . لكن بعد هذا كيف تنوي أن تمضي حياتك لو كان بوسعك عمل كل شيء في العالم؟. ابتكر شيئاً. لا تعرف ؟.. إذن ستموت الآن. أقول الآن أدر رأسك. الموت يبدأ خلال عشر .. تسع .. ثمان.. تقول أريد أن اكون طبيباً بيطرياً. هذا يعني الحيوانات .. عليك أن تذهب للمدرسة لهذا الغرض. معنى هذا الكثير من الدراسة. من الممكن أن تذهب للمدرسة وتدرس بجد أو تكون ميتاً. اختر أنت. وضعت الحافظة في الجيب الخلفي لسروالك الجينز. إذن أردت أن تكون طبيب حيوانات.

أنزع فوهة المسدس عن خد وألصقها بالآخر. هل هذا ما أردته دوماً يا (ريموند ك ك ك ك هيسل) ؟.. طبيباً بيطرياً ؟. نعم .. بلا خداع ؟.. لا . لا ... قلت نعم . وألصقت فوهة المسدس بذقنك. تركت الفوهة دائرة براقة رطبة من الدموع. قلت: إذن .. عد للمدرسة، ولو صحوت غداً فلتجد طريقاً يقودك إلى المدرسة. وضغطت الفوهة على كل خد، ثم على ذقنك ثم في جبهتك. قلت من الممكن ان تموت الآن. معي رخصة قيادتك ولسوف آتي لأراك يا

مستر (ريموند ك ك ك ك هيسل) . بعد ثلاثة اشهر ثم ستة أشهر ثم بعد عام. فإذا لم أجدك في المدرسة في طريقك لتصير طبيباً بيطرياً ستموت. لم تقل شيئاً.. أخرج من هنا وعش حياتك الحقيرة، لكن تذكر أني اراقبك. وأنا افضل أن أقتلك على أن أراك تمارس عملاً حقيراً يعطيك فقط ما يكفي من مال لشراء الجبن ومشاهدة التلفزيون. الآن سأرحل فلا تستدر للوراء. هذا ما يريد (تايلر) أن أفعله. هذه كلمات (تايلر) تخرج من فمي. أنا يدا (تايلر). وكل واحد في (مشروع الأضرار) هو جزء من (تايلر) والعكس. سوف يبدو مذاق عشائك أشهى من أي شيء أكلته من قبل يا (ريموند ك هيسل)، ولسوف يكون الغد أجمل يوم في حياتك.

في البار يرحبون بي ويريدون أن يبتاعوا لي الجعة. أسألهم عما إذا كانوا قد رأوا من يدعى (تايلر دوردن). من الغباء أن أسأل إذا ما كانوا يعرفون نادي القتال. القاعدة الأولى هي ألا تتكلم عن نادي القتال. لكن هل رأوا (تايلر دوردن) ؟... يقولون إنهم لم يسمعوا عنه. لكن ربما تجده في شيكاغو يا سيدي. لابد أن الفجوة في خدي هي ما يجعل الناس ينادونني (سيدي). ويغمزون. تصحو في (أوهار) وتركب إلى شيكاغو .. وتقدم ساعتك ساعة.

الفصل الثامن عشر

تصحو في (سكاي هاربر إنترناشونال). وتؤخر ساعة معصمك ساعتين. المركبة تأخذني إلى (فينكس)، لأجد في كل بار أدخله رجالاً بخيوط جراحية حول محاجر عيونهم، حيث هشمت ضربة قوية لحم وجوههم على تلك الحافة الحادة. هناك أشخاص بأنوف منحرفة يرونني بالفجوة في خدي، فنصير أسرة واحدة على الفور. (تايلر) لم يعد للبيت منذ فترة. أمارس عملي البسيط .. أذهب من مطار لمطار لأتفحص السيارات التي هلك الناس فيها. إنه سحر السفر. حياة هشة .. صابون رقيق. مقاعد الطائرة الهشة. في كل مكان أسافر إليه أسأل عن (تايلر) . لو وجدته فإن رخصات قيادة قرابيني البشرية الاثني عشر فيّ جيبي. في كل بار أدخله .. في كل بار لعين ادخله أرى اشخاصاً مضروبين. لو أنك استطعت أن تصحو كل يوم في مكان مختلف وزمن مختلف فلماذا لا تستطيع ان تصحو كشخص مختلف ؟. في كل بار تدخله تجد أشخاصاً تم ضربهم بقسوة يدعونك إلى شرب البيرة. وآسف يا سيدي .. هم لم يقابلوا (تايلر دوردن) قط. ويغمزون. لم يسمعوا بالاسم من قبل يا سيدي .. هل هناك نادي قتال هنا الليلة ؟. لا يا سيدي .. القاعدة

الثانية لنادي القتال هي ألا تتكلم عن نادي القتال. ويهز الأشخاص المضروبين في البار رءوسهم. لم نسمع عنه قط يا سيدي. لكن ربما تجد نادي القتال الذي تسأل عنه في (سياتل).

تصحو في (ميجز فيلد) وتطلب (مارلا) لتعرف ماذا يحدث في (بيبر ستريت). تقول (مارلا) إن كل قردة الفضاء تحلق رءوسها الآن. لقد سخنت آلات الحلاقة الكهربية ورائحة البيت كلها هي رائحة الشعر المحترق. قردة الفضاء كلها تحرق بصمات أصابعها بالصودا الكاوية.

تصحو في (سي تاك) وتؤخر ساعة معصمك ساعتين. المركبة تأخذك إلى قلب (سياتل)، وفي أول بار تدخله تجد الساقي يضع ياقة علاجية ترجع رأسه للوراء، حتى انه يحتاج إلى أن ينظر من فوق أنفه الأحمر المهشم الشبيه بالباذنجان كي يراك. البار فارغ والساقي يقول: "مرحباً بعودتك يا سيدي"

أنا لم آت إلى هذا البار من قبل قط .. قط .. أسأله عما إذا كان سمع عن (تايلر دوردن)، فيقطب الساقي وذقنه ملتصقة لأعلى الياقة ويقول: "هل هذا اختبار ؟"؟.أقول نعم هذا اختبار فهل قابل من قبل (تايلر دوردن) ؟. يقول" أنت جئت هنا الأسبوع الماضي يا مستر (دوردن).. ألا تتذكر ؟". (تايلر) كان هنا إذن. "بل كنت أنت هنا يا سيدي". أنا لم آت هنا قط قبل هذه الليلة. "لو كنت تقول هذا يا

سـيدي فهـو كذلـك. لكنك ليلة الخميس جئت لتسألني متى يغلق البوليس هذا البار".

لـيلة الخميس ظللت أعاني الأرق طيلة الليل. أتساءل عما إذا كنـت متيقظاً.. صحوت في ساعة متأخرة صباح الجمعة وعظامي تؤلمني اشعر بأن عيني لم تغلقا قط. يقول ساقي البار: "نعم يا سيدي .. ليلة الخميس كنت تقف حيث أنت الآن، وكنت تسألني عن كبسات البولـيس.. وأخبرتنـي كيف اضطر كثيرون إلى ترك نادي القتال الخاص بيوم الأربعاء"

يهز الساقي كتفه ويلوي عنقه لينظر في البار الخاوي، ويقول:

ـ"لـن يسـمعنا أحد يا مستر (بوردن).. لقد تخلى عنا سبعة وعشـرون واحداً ليلة أمس .. إن المكان يكون خالياً دوماً بعد نادي القتال".

فـي كل بار دخلته ذلك الأسبوع كان القوم ينادونني (سيدي). وفي كل بار ادخله كان اعضاء نادي القتال يبدون متشابهين. فكيف يعرفنـي غريب ؟. يقول الساقي: "إن لديك وحمة يا مستر (دودن).. على قدمك.. تبدو كأستراليا داكنة مع نيوزيلندا جوارها.. "

فقـط (مـارلا) تعرف هذا .. (مارلا) وأبي. حتى (تايلر) لا يعرف هذا الموضوع. حين اذهب للشاطئ أجلس وتلك الساق مثنية تحتي. السرطان الذي ليس عندي هو في كل مكان الآن.

ـ"كـل واحـد فـي (مشـروع الأضـرار) يعرف يا مستر (دوردن)". ويـرفع السـاقي ظهر يده لي فأرى قبلة محروقة هناك. قبلتـي ؟.. قبلة (تايلر). يقول الساقي: "الجميع يعرف بأمر الوحمة.. إنها جزء من الأسطورة .. أنت تتحول إلى أسطورة لعينة يا رجل".

أطلـب (مـارلا) من فندق (سياتل) لأسألها إن كنا فعلناها .. أنت تعرف ..مكالمة لمسافة بعيدة.. تقول (مارلا): "ماذا ؟". هل نمنا معـاً ؟. "مـاذا ؟". هـل حدث أن مارست الجنس معك ؟. تقول: "ربـاه!.. حسن .. حسن". هل مارسنا الجنس ؟. "أنت كتلة قذارة ". هـل مارسنا الجنس ؟. "بوسعي أن أقتلك". هل معنى هذا نعم أم لا ؟. تقول (مارلا): "كنت اعرف أن هذا سيحدث..أنت مجرد قشرة . تحبنـي وتتجاهلني .. تنقذ حياتي ثم تصنع من أمي حساء ". أقرص نفسي. أسأل (مارلا) عن كيفية لقائنا فتقول (مارلا): "في هذا الشيء المخصص لسرطان الخصية. ثم انقذت حياتي. "

أنـا أنقذت حياتها ؟. "أنت انقذت حياتي". (تايلر) أنقذ حياتها. "أنـت انقـذت حياتي". أدخل إصبعي في فجوة خدي وأحركه.. هذا يكفي لإحداث ألم عنيف يوقظني. تقول (مارلا): "أنت أنقذت حياتي. فـندق (ريجنت).. كنت قد حاولت الانتحار .. هل تذكر ؟". أوه... تقـول (مـارلا): "في تلك الليل قلت إنني أريد الإجهاض. ". كنا قد

تخلصـــنا لـــتونا من التوتر فأسأل (مارلا) عن اسمي. سوف نموت جميعاً..

تقـــول (مـــارلا): "أنت (تايلر دوردن).. اسمك هو (تايلر – براز بدلاً من المخ – دوردن).. تعيش في NE 5123 بيير ستريت حيـــث يحتشـــد الآن أتـــباعك يحلقـــون رءوسهم ويحرقون جلودهم بالصـــودا الكاويـــة". أريد أن أنام. تصرخ (مارلا): "يجب أن ترجع هـــنا.. قـــبل أن يصـــنع هؤلاء الأقزام صابوناً مني". يجب أن اجد (تايلر). أسألها عن كيفية حصولها على الندبة على ظهر يدها. تقول (مـــارلا): "أنـــت.. أنت لثمت يدي". يجب أن اجد (تايلر). يجب أن أنـــام. يجـــب أن اذهب لأنام. أقول لـــ (مارلا) تصبحين على خير، ويصير صراخها أصغر فأصغر فأصغر .. ويتلاشى إذ أضع سماعة الهاتف.

الفصل التاسع عشر

طيلة الليل تحلق الأفكار في الفضاء. هل أنا نائم ؟.. هل نمت أصلاً ؟ هذا هو الأرق. حاول أن تسترخي مع كل زفير لكن قلبك ما زال يتســـارع وأفكارك إعصار في رأسك. لا شيء يفلح.. لست في أيرلـــندا.. ولا تعد الماشية .. أنت تعد الأيام والساعات والدقائق منذ نمـــت آخر مرة. لقد ضحك طبيبك منك. لم يمت أحد قط من نقص النوم. بمظهر وجهك الذي يشبه الفاكهة المهشمة كنت ستفترض أنك ميت.

بعـــد الثالثة صباحاً في سرير فندق في (سياتل)، صار الوقت مـــتأخراً كـــي تجـــد مجموعة مساندة سرطان. متأخراً جداً كي تجد كبســـولات أميـــتال الصوديوم الزرقاء أو السيكونال الأحمر كطلاء الشـــفاه . بعـــد الثالثة صباحاً ليس بوسعك أن تندمج في نادي قتال. يجـــب أن تجد (تايلر). يجب أن تظفر ببعض النوم. ثم تصحو لتجد (تايلر) يقف في الظلام جوار الفراش. تنهض، في اللحظة التي غبت فـــيها في النوم كان (تايلر) هناك يقول: "اصح .. اصح .. لقد حللنا المشكلة مع البوليس هنا في (سياتل). اصح". أراد مدير الشرطة أن يقـــوم بكبســـة علـــى ما يطلق عليه (نشاطات شبه عصابية) وأندية

ملاكمة بعد الساعات الرسمية. لكن لا تقلق .. السيد مدير الشرطة لن يكون مشكلة".

يقول (تايلر): "إننا نمسك به من خصيتيه الآن". أسأل عما إذا كان (تايلر) يتبعني. يقول (تايلر): "مضحك". يقول (تايلر): "أردت أن أسألك الشيء ذاته. لقد تكلمت عني مع الآخرين أيها القذر الصغير.. لقد حنثت بوعدك". (تايلر) يتساءل متى أفهم كنهه. يقول (تايلر): "في كل مرة نمت فيها، كنت أخرج وأقوم بعمل وحشي .. عمل مجنون.. عمل خارج سيطرة عقلي".

يركع (تايلر) جوار الفراش ويهمس:" الخميس الماضي نمت أنت، فاستقللت أنا الطائرة إلى (سياتل) لألقي نظرة على نادي قتال صغير. لأتحقق من عدد المنسحبين. أبحث عن مواهب جديدة. إن لدينا (مشروع الأضرار) في (سياتل) كذلك".

تتحسس أنامل (تايلر) النتوء فوق حاجبي ويقول: "لدينا (مشروع الأضرار) في (لوس أنجيليس) و(ديترويت).. هناك مشروع اضرار كبير في (واشنطن) العاصمة وفي (نيويورك). لدينا مشروع أضرار في (شيكاغو) لشدة دهشتك". يقول (تايلر): " لا اصدق أنك حنثت بوعدك. أول قاعدة هي ألا تتكلم عن نادي القتال".

كان في (سياتل) الأسبوع الماضي حين أخبره ساقي بار يضع ياقة علاجية أن رجال الشرطة سوف يكبسون على نادي القتال.

مأمور الشرطة نفسه أراد هذا بشكل خاص. يقول (تايلر): "ما يحدث هنا هو أن رجال شرطة يأتون لنادي القتال ويحبونه. لدينا صحفيون وكتبة قانون ومحامون، ونحن نعرف كل ما سيحدث". يقول (تايلر): "كانوا سيغلقون أبوابنا على الأقل في (سياتل)". أسأله عما فعل بصدد هذا. يقول (تايلر): "ما فعلناه بصدد هذا .. طلبنا اجتماع لجنة الاعتداء. لم يعد هناك أنت وأنا بعد اليوم". ويعتصر طرف أنفي ويقول: "أعتقد أنك فهمت ما هنالك".

كلانا يستعمل الجسد ذاته لكن في أوقات مختلفة. يقول (تايلر): "علينا واجب منزلي خاص. قلت أحضر لي خصيتي سعادته مأمور شرطة (سياتل) أياً من كان .. ساخنتين يتصاعد منهما البخار. ". أنا لا أحلم. يقول (تايلر): "نعم لا تحلم .. لقد كوننا فريقاً من أربعة عشر قرد فضاء .. منهم خمسة من رجال الشرطة، وقد تواجدنا جميعاً في الحديقة حين يقوم سموه بنزهة كلبه الليلة". يقول (تايلر): "لا تقلق .. الكلب بخير.. لقد استغرقت الهجمة ثلاث دقائق أقل من أفضل بروفة قمنا بها. أفضل بروفة قمنا بها كانت تسع دقائق. كان لدينا خمسة من قردة الفضاء يمسكون به. (تايلر) يخبرني بهذا لكنني بشكل ما أعرفه بالفعل. ثلاثة قردة يراقبون، وواحد خدر الرجل بالأثير وأحدهم أنزل سروال بزة التدريب الموقرة. الكلب كان خنوعاً وقد اكتفى بالنباح والنباح. النباح والنباح.

أحد قردة الفضاء لف الرباط المطاطي ثلاث مرات حتى أحكم العقدة حـول صفن معاليه الموقر. قرد فضاء بين فخذيه يمسك بالمبضع. يهمس (تايلر) في أذني بوجهه الذي تلقى لكمات كثيرة: "وأنا اهمس فـي أذنـه البوليسية الموقرة أن عليه أن يوقف تلك الكبسات على نادي القتال، وإلا أخبرنا العالم أن معاليه لا يملك خصيتين. إلى أي حد تعتقد أنه يمكنك التمادي يا صاحب السعادة ؟.. الرباط المطاطي يقـتل أية أحاسيس هناك". "ما مستقبلك السياسي لو عرف الناخبون أنه لا توجد خصيتان لك ؟".

عـند هذا الحد كان معاليه قد فقد الإحساس. خصيتاه صارتا باردتين كالثلج يا رجل. لو أغلق نادي قتال واحد لأرسلنا خصيتيه إلـى شـرق الـبلاد وغربها. واحدة إلى نيويورك والأخرى للوس أنجيلـيس. واحدة لكل نوع من أنواع الصحف. أخرج قردة الفضاء خرقة الأثير من فمه فقال المأمور: لا .. قال (تايلر): "ليس لدينا ما نفقـده إلا نادي القتال". بينما مأمور الشرطة لديه كل شيء. كل ما بقـى لنا هو قاذورات وركام العالم. وهز (تايلر) رأسه لقرد الفضاء الـذي يحمـل السكين بين فخذي المأمور. سأله (تايلر): "تخيل باقي حياتك بكيسك يتدلى فارغاً". قال المأمور لا .. لا تفعلوا هذا. توقفوا .. أرجوكـم .. رباه .. النجدة .. لا . توقفوا. هنا يدفع قرد الفضاء

بنصـل سـكينه ويكتفي بقطع الرباط المطاطي. ست دقائق وكنا قد انتهينا.

قـال (تايلـر): "تذكر هذا.. الناس الذين تحاول أن تطئهم هم الناس الذين تعتمد عليهم.. نحن القوم الذين يغسلون غسيلك ويطهون طعامك ويقدمون لك العشاء. نحن نعد فراشك. نحرسك أثناء نومك. نقود سيارات الإسعاف. نوجه مكالماتك الهاتفية. نحن الطهاة وسائقو التاكسـي ونعـرف كـل شيء عنك. نحن نتولى مطالباتك للتأمين ونفقـات بطاقـة الائتمان. نتحكم في كل حياتك. نحن أطفال التاريخ الأوسـطون الذيـن ربانا جهاز التلفزيون وقال لنا إننا يوماً سنصير مليونـيرات ونجوم سينما ونجوم موسيقا روك، لكن هذا لن يحدث. ونحـن الآن نسـتوعب هـذه الحقيقة". يقول (تايلر): "لذا لا تعبث معنا..".

قـرد الفضاء يضغط أكثر بالأثير على أنف المأمور، فيغيب عـن الوعي. فريق آخر يضعه في ثيابه ثم يعيدونه وكلبه للدار. بعد هذا السر يخصه . هكذا لم نعد نتوقع المزيد من الكبسات على أندية القتال. لقد عاد سعادته إلى داره مذعوراً لكنه سليم.

يقـول (تايلـر): "كلما قمنا بهذه الواجبات المنزلية الصغيرة، يسـاهم رجـال نادي القتال هؤلاء الذين ليس لديهم ما يخسرون في

(مشروع الأضرار)". ويركع (تايلر) جوار فراشي قائلاً: "أغمض عينيك وأعطني يدك". أغلق عيني فيأخذ (تايلر) يدي . اشعر بشفتي (تايلر) على ندبة قبلته. يقول (تايلر): "قلت لك إنه لو تكلمت عني من وراء ظهري فلن تراني أبداً. نحن لسنا شخصين منفصلين.. باختصار حين تصحو أنت تملك السيطرة ويمكنك أن تطلق على نفسك أي شيء .. لكن متى نمت أتولى أنا القيادة .وتصير أنت مستر (تايلر دوردن)". أقول: لكننا تقاتلنا ليلة ابتكرنا نادي القتال. يقول (تايلر): "لم تكن تقاتلني فعلاً... قلت بنفسك ذلك .. كنت تقاتل كل ما تكرهه في العالم". لكن بوسعي أن أراك. "أنت نائم الآن". لكنك تستأجر بيتاً ولك وظيفة .. وظيفتان... يقول (تايلر): "أطلب شيكاتك الملغاة من المصرف. لقد استأجرت المصرف باسمك. ستجد الكتابة على ظهر شيكات الإيجار تماثل الأوراق التي كنت تنسخها لي". كان (تايلر) ينفق مالي .. لا غرابة في أن رصيدي لا يسمح بالسحب طيلة الوقت.

"والوظائف .. لماذا تعتقد أنك مرهق إلى هذا الحد ؟.. رباه . هذا ليس أرقاً. ما إن تنام أتولى حتى أنا القيادة ..وأذهب للعمل أو نادي القتال أو أي شيء. من حسن حظك أنني لم أجد وظيفة كمربي ثعابين". أقول : لكن ماذا عن (مارلا) ؟. "(مارلا) تحبك .. (مارلا) لا تعرف الفارق بيني وبينك. أعطيتها اسماً مستعاراً يوم

لقائكما.. لم تعطها اسمك الحقيقي قط في أية مجموعة مساندة. أنت أيها القذر المزيف.. منذ أن أنقذت أنا حياتها تعتقد (مارلا) أن اسمك هو (تايلر دوردن)". الآن وقد صرت أعرف سر (تايلر) فهل يختفي للأبد ؟

يقول (تايلر): "لا .. ". ما زال يمسك بيدي. "ما كنت لأكون هنا لو لم تكن بحاجة إلي. ما زلت أحيا حياتي أثناء نومك، لكن إذا حاولت العبث معي أو قيدت نفسك للفراش بالسلاسل ليلاً، أو تعاطيت جرعات كبيرة من المنوم، سنصير عدوين. ولسوف أنتقم منك".

هذا هراء .. هذا حلم. (تايلر) مجرد إسقاط . إنه اضطراب فصامي. حالة هروب نفسي. (تايلر دوردن) هو هلوستي الخاصة. يقول (تايلر): "تباً لهذا الهراء .. ربما كنت أنت هلوسة الشيزوفرنيا الخاصة بي". كنت هنا أولاً. يقول (تايلر): "أجل اجل أجل .. لكن دعنا نر من يبقى للنهاية".

هذا وهم. هذا حلم . وسوف أصحو منه. :إذن اصح منه". هنا يدق الهاتف وقد رحل (تايلر). الشمس تدخل عبر الستائر. إنها السابعة صباحاً والمكالمة مكالمة إيقاظ. وحين أرفع السماعة لا أجد صوتاً.

الفصل العشرون

تتحرك الأمور بسرعة للأمام .. أعود إلى (مارلا) وشركة صابون (بيبرستريت) . ما زال كل شيء يتهاوى. في البيت أشعر بخوف يمنعني من تفقد فريزر الثلاجة. تخيل دستة من أكياس الشطائر البلاستيكية عليها بطاقات مدن مثل (لاس فيجاس) و(شيكاغو) و(ميلوكي) حيث كان على (تايلر) أن يطلق تهديداته لحماية فروع نادي القتال. في كل كيس هناك زوج من مواد الطعام المجمدة. في ركن من المطبخ يجلس قرد فضاء على مشمع الأرضية المتشقق ويتفحص وجهه في المرآة .

ـ"انا قذارة هذا العالم التي ترقص والتي تغني..". هكذا يقول للمرآة. "أنا الفضلات السامة المتبقية من عملية خلق العالم.". يتحرك باقي قردة الفضاء في الحديقة، يلتقطون اشياء ويقتلون أشياء.

بيد واحدة على باب الفريزر آخذ شهيقاً عميقاً وأحاول ان أركز حقيقتي الروحية المستنيرة. قطرات المطر على الزهور حيوانات (ديزني) السعيدة هذا يجعلني أتألم. تنحني (مارلا) فوق كتفي وتقول: "ماذا أعددت للعشاء ؟". يجلس قرد الفضاء القرفصاء وينظر للمرآة: "أنا القذارة وفضلات الكون الملوثة". أستدير

بالكامل.. منذ شهر كنت اخشى أن أترك (مارلا) تلقي نظرة على محتوى الفريزر. الآن اخشى انا نفسي أن أنظر إلى داخل الثلاجة. رباه !. (تايلر). (مارلا) تحبني. (مارلا) لا تعرف الفارق.

تقول (مارلا): "أنا سعيدة لعودتك. ثمة ما يجب ان نناقشه". آه أجل. يجب أن نتكلم. لا استطيع أن أرغم نفسي على النظر داخل الفريزر. أنا (جو الجبان). أقول لـ (مارلا) ألا تلمس شيئاً في هذا الفريزر. لا تفتحيه. لو وجدت شيئاً بداخله لا تأكليه أو تطعميه للقط أو أي شيء. قرد الفضاء الذي يحمل المرآة يرمقنا لهذا أقول لـ (مارلا) إن علينا أن نرحل. يجب أن نكمل هذا الحوار في موضع آخر. في القبو يقف قرد فضاء يقرأ لباقي القردة: " ثلاث الطرق لصنع النابالم.. واحد ..يمكن مزج مقادير متساوية من الجازولين وعصير البرتقال المركز". يقرأ قرد الفضاء في القبو: "اثنان .. يمكن مزج كميات متساوية من الجازولين والدايت كولا. ثلاثة يمكن أن تنيب براز القط في الجازولين حتى يصير الخليط ثخيناً".

نعبر أنا و(مارلا) من مصنع صابون (بيير ستريت) إلى مائدة جوار النافذة في كوكب (ديني).. الكوكب البرتقالي. كان (تايلر) يتكلم عن هذا، وكيف أنه ما دامت إنجلترا قد قامت بكل الاستكشافات وبنت المستعمرات ورسمت الخرائط، فإن أكثر الأماكن الجغرافية لها هذا الطراز من الأسماء المستهلكة. كان على الإنجليز

ان يسموا كل شيء. أو كل شيء تقريباً. مثل إيرلندا. (نيو لندن) (أوستراليا). (نيولندن) الهند. (نيو لندن) إيداهو. (نيويورك) نيويورك. فإذا نظرت إلى المستقبل، تجد أنه بهذه الطريقة حين تبدأ حملات استكشاف أعماق الفضاء، فلسوف تكون الشركات العملاقة هي التي تكتشف الكواكب الجديدة وترسم خرائطها. كرة (آي بي إم) النجمية. مجرة (فيليب موريس). كوكب (ديني). سوف يأخذ كل كوكب هوية الشركة التي تغتصبه أولاً. عالم (بودفايزر).

الساقي الذي يخدمنا لديه بيضة أوزة على جبينه ويقف في صرامة، وقد تلاصق كعباه. يقول الساقي "سيدي !.. هل ترغبان في طلب شيء الآن ؟..". يقول لنا: "سيدي.. كل ما تطلبه مجاني يا سيدي !".

تكاد تتخيل انك تشم رائحة البول في كل طبق حساء. اثنان قهوة من فضلك. تسأل (مارلا): - " لماذا يقدم لنا طعاماً مجانياً ؟". السبب أن الساقي يعتقد أنني (تايلر دوردن). في هذه الحالة تطلب (مارلا) أصدافاً مقلية مع حساء السمك والبصل، ودجاجاً مقلياً وبطاطس مشوية وكعكة بالشيكولاته المخفوقة . ومن الممر المفضي المؤدي إلى المطبخ، يقف ثلاثة طهاة أحدهم له خياطة على شفته العليا، يراقبونني و(مارلا) ويتهامسون وقد تلاصقت رءوسهم

المكدومة معاً. أطلب من الساقي أن يجلب لنا طعاماً نظيفاً من فضلك. من فضلك لا تفعل أية حماقة بالطعام الذي نطلبه.

يقول الساقي: "في هذه الحالة يا سيدي، هل لي أن انصح السيدة هنا بألا تأكل حساء السمك والبصل". شكراً لك .. لا حساء سمك. (مارلا) تنظر لي فأقول لها: "ثقي بي".

يستدير الساقي ويبلغ طلبنا للمطبخ. ومن نافذة المطبخ يرفع الطهاة الثلاثة إبهامهم لأعلى. تقول (مارلا): "إن لك وضعاً متميزاً كـ (تايلر دوردن)". أقول لـ (مارلا) إن عليها من الآن فصاعداً أن تخرج معي في كل مكان ليلاً، وأن تدون في كل مكان ذهبت إليه من أقابله. هل أقوم بإخصاء شخص مهم ؟.. هذا النوع من التفاصيل. أخرج حافظتي وأري (مارلا) رخصة قيادتي التي تحمل اسمي الحقيقي. لا (تايلر دوردن).

تقول (مارلا): "لكن الجميع يعرف أنك (تايلر دوردن)". الجميع ما عداي. لا أحد في العمل يناديني (تايلر دوردن). رئيسي يناديني باسمي الحقيقي. أبواي يعرفان من أنا حقاً. تسأل (مارلا): "إذن لماذا أنت (تايلر دوردن) بالنسبة لبعض الناس ولست كذلك بالنسبة للجميع ؟". حينما قابلت (تايلر) للمرة الأولى كنت نائماً. كنت متعباً مخبولاً مندفعاً، وكلما ركبت طائرة تمنيت أن تتحطم. كنت أحسد الناس الذين يموتون بالسرطان. كنت أكره حياتي. كنت متعباً

وقد كرهت عملي وأثاثي ولم أر سبيلاً لتغيير أي شيء. فقط يمكنني أن أنهيها. كنت أشعر بأنني في مصيدة . كنت مكتملاً اكثر من اللازم. كنت تاماً أكثر من اللازم. أردت مغادرة حياتي الهشة. سئمت قطع الزبد التي تكفي لشخص واحد ومقاعد الطائرة المجعدة. الأثاث السويدي والفن المتقن. أخذت إجازة ونمت على الشاطئ، وحين صحوت كان (تايلر دوردن) هناك عارياً يغمره العرق .. خشناً من الرمال.. وشعره مجعد مبتل يتدلى فوق وجهه. كان يلتقط الخشب الذي يلقيه المد إلى الشاطئ، وما صنعه كان ظل يد عملاقة، وكان (تايلر) يجلس في مركز هذا الإتقان الذي قام به. وما كان لك أن تتوقع من الاكتمال إلا لحظة. ربما لم أصح قط على هذا الشط .. ربما بدأ كل هذا حين تبولت فوق حجر (بلارني). حينما انام لا أنام فعلاً. أنظر للمناضد الأخرى في كوكب (ديني).. أعد واحداً .. اثنين .. ثلاثة .. أربعة .. خمسة أشخاص لهم عظام وجنتين مسودة أو أنوف مهشمة ينظرون لي.

تقول (مارلا): "لا .. أنت لا تنام". (تايلر دوردن) شخصية منفصلة خلقتها انا، والآن يهدد بأن يأخذ حياتي الحقيقية. تقول (مارلا): "مثل أم (أنتوني بيركينز) في فيلم (سايكو). هذا مثير فعلاً. كل شخص له انحرافاته النفسية. ذات مرة كنت على علاقة بشخص لا يكف عن ثقب جسده لتثبيت الحلي ".

أقول أنا إن وجهة نظري هي أنني أنام فينهض (تايلر) بجسدي ووجهي المليء بالكدمات كي يرتكب جريمة ما. في الصباح التالي أنهض منهكاً مهشم العظام متأكداً من انني لم انم قط. في الليلة التالية أدخل الفراش في ساعة مبكرة أكثر فأكثر. هكذا يتولى (تايلر) الأمر فترة أطول وأطول.

تقول (مارلا): "لكنك انت (تايلر).. ". لا .. لا .. لست هو. أحب كل ما يتعلق بـ (تايلر دوردن) وشجاعته وذكائه. أعصابه. (تايلر) مرح وجذاب ومستقل، والرجال ينظرون له متوقعين أن يغير عالمهم. (تايلر) قادر وحر بينما أنا لا. أنا لست (تايلر دوردن).

تقول (مارلا): "لكنك انت (تايلر).. ". (تايلر) وأنا نتقاسم الجسد ذاته وحتى هذه اللحظة لم اعرف هذا. حينما كان (تايلر) يضاجع (مارلا) كنت نائماً. كان (تايلر) يتكلم ويمشي بينما كنت أعتقد انني نائم. كل من في نادي القتال و(مشروع الأضرار) يعرفني باسم (تايلر دوردن). في كل مرة دخلت فيها الفراش مبكراً وصحوت متأخراً، كان سبب هذا أننا كنا معاً. تقول (مارلا): "مثل الحيوانات في مأوى الحيوانات الضالة". وادي الكلاب. حيث حتى إذا لم يقتلوك وأحبك احدهم لدرجة أن يأخذك لداره، فإنهم يخصونك برغم هذا. لن أصحو أبداً وسوف يتولى (تايلر) أمري للأبد. يجلب لنا الساقي القهوة ويقرع كعبيه ويرحل. أشم قهوتي. رائحتها قهوة.

تقـــول (مارلا): "إذن .. حتى لو صدقت هذا كله، فماذا تريد منـــي ؟". إذن (تايلـــر) لا يستطيع السيطرة الكاملة وأنا بحاجة إلى (مـــارلا) كـــي تبقينـــي متيقظاً. طيلة الوقت. دائرة كاملة. ليلة أنقذ (تايلر) حياتها سألته (مارلا) أن يبقيها متيقظة طيلة الليل. في الثانية التـــي أنـــام فيها يتولى (تايلر) الأمر ويحدث شيء مروع. فإذا نمت كـــان على (مارلا) أن تعرف مسار (تايلر). لأين يذهب. ماذا يفعل. هكذا يمكنني في النهار أن أسرع بتصليح الأضرار التي حدثت.

الفصل الحادي والعشرون

اســـمه (روبرت بولسون)، وهو في الثامنة والأربعين. اسمه (روبـــرت بولســـون) وســـوف يظل (روبرت بولسون) في الثامنة والأربعيـــن للأبـــد. علـــى المدى الزمني البعيد سيهبط معدل حياة الإنســـان إلـــى صـــفر. (بوب الضخم). خبز الجبن الضخم. الوعل الكبير كان عليه واجب منزلي هو (جمد واثقب). هكذا دخل (تايلر) إلى شقتي لينسفها بالديناميت المصنوع يدوياً.

خذ علبة من الفريون R-12 لو كان بوسعك أن تجده، خاصة بعد موضوع الأوزون .. أو فريون R-134a ورشه على أسطوانة القفـــل حتى يتجمد. في عمليات (جمد واثقب) ترش السبراي على هـــاتف عمومـــي بالعملـــة أو عداد انتظار أو صندوق صحف. ثم تســـتعمل المطـــرقة والأزمـــيل كي تهشم الأسطوانة المتجمدة. في عملـــيات (جمد واثقب) تثقب الهاتف أو آلة الصرافة ثم تثبت أنبوباً في الثقب وتحقن خلاله الشحم أو بودنج الفانيليا أو لاصق البلاستيك. ليس الهدف أن (مشروع الإيذاء) يريد سرقة بعض الفكة. إن شركة صابون (بيبر ستريت) لديها الكثير من الطلبات المتراكمة. ليساعدنا الله حيـــن يأتـــي موسم الإجازات. الغرض من هذا الواجب المنزلي

تقويـــة أعصـــابك. تحتاج لبعض التحايل. بدلاً من إزميل الثلج ربما اســـتطعت استعمال مثقاب كهربي. هذا يؤدي العمل أفضل كما أنه يحـــدث ضوضـــاء أقـــل. كان ما يمسك به (بوب) مثقاباً كهربياً بلا سلك، حين ظن رجال الشرطة أنه مسدس وقتلوا (بوب).

لم يكن هناك ما يربط (بوب) بمشروع الإيذاء أو نادي القتال أو الصـــابون. في جيبه كانت صورة لنفسه عارياً ضخماً في إحدى مـــباريات كمال الأجسام. لقد قال (بوب) إنها طريقة سخيفة للحياة. تعمـــيك اضواء المنصة ويصيبك بالصمم نظام الصوت حتى يأمرك القاضـــي: إفرد عضلتك الرباعية اليمنى .. إثن واثبت .. ضع يديك حيـــث أراهمـــا. إفـــرد يســـراك .. اثن ذات الرأسين واثبت. ألق بالمســـدس. هذا كان أفضل من الحياة الواقعية. على يده كانت ندبة في موضع قبلتي. كان شعر (بوب) الضخم حليقاً وبصماته محروقة بالصـــودا الكاوية. من الأفضل له أن يتأذى من أن يعتقل، لأنهم لو اعـــتقلوك فقـــد طـــردت من (مشروع الأضرار)..ولن تطلب منك واجبات منزلية أخرى.

فـــي لحظـــة كـــان (بوب) هو المركز الدافئ للحياة الصاخبة حوـــله، وفـــي اللحظة التالية (باول بولسون) صار شيئاً. بعد إطلاق الرصاص عليه جاءت معجزة الموت المذهلة.

اللـــيلة في كل نادي قتال سوف يمشي القائد في الظلام حول زحام الناس الذين سيحدقون في بعضهم البعض، عبر المركز الخالي فـــي كـــل بدرون نادي قتال، ولسوف يصرخ قائلاً: "اسمه (روبرت بولسون)". فيصرخ الجمع:" اسمه (روبرت بولسون)". يصرخ القائد: "عمـــره ثمانـــية وأربعـــون عامـــاً". فيصرخ الجمع: "عمره ثمانية وأربعـــون عامـــاً". عمره ثمانية وأربعون عاماً وهو جزء من نادي القـــتال. عمـــره ثمانـــية وأربعون عاماً وكان جزءاً من (مشروع الأضـــرار). فقط في الموت نحظى بأسمائنا الحقيقية لأننا في الموت لا نصـــير جـــزءاً مـــن المهمة. في الموت نصير أبطالاً. وتتصايح الجمـــوع: "(روبـــرت بولســـون)". وتتصـــايح الجموع: "(روبرت بولسون)". وتتصايح الجموع: "(روبرت بولسون)".

أذهـــب الليلة لنادي القتال كي أغلقه. أقف في الضوء الوحيد فـــي مركـــز القاعـــة فـــيهلل النادي. بالنسبة للجميع هنا أنا (تايلر دوردن). ذكي .. قوي .. شجاع. أطبق يدي طلباً للصمت ثم أقترح: لـــم لا ننهي الليلة عند هذا الحد ؟. عودوا لبيوتكم الليلة وانسوا نادي القتال. أعتقد أن نادي القتال ادى الغرض منه. ألا ترون هذا ؟.. لقد ألغي (مشروع الأضرار).. سمعت أن في التلفزيون مباراة كرة قدم مثيرة.

يكتفـــي مائة رجل بالنظر لي. أقول ثمة رجل قد مات. هذه اللعــبة انتهــت ولم تعد مسلية. هنا من مكان ما خارج الجمع اسمع رئــيس المجموعة الذي لا اعرفه يقول: "القاعدة الأولى لنادي القتال هي لا تتكلم عن نادي القتال".

أصرخ: عودوا لدياركم.!. "القاعدة الثانية لنادي القتال هي لا تــتكلم عــن نادي القتال". لقد ألغي نادي القتال. لقد ألغي (مشروع الأضــرار). "القاعدة الثالثة هي رجلان فقط في المشاجرة". أصرخ: أنا (تايلر دوردن). آمركم بالخروج من هنا!. لكن لا أحد ينظر لي. فقط يتبادل الرجال النظرات عبر مركز الحجرة. يتحرك صوت قائد المجموعــة بــبطء حول الغرفة. رجلان للمشاجرة. لا قمصان. لا احذية. يستمر القتال ما دام يجب أن يستمر. تخيل أن هذا يحدث في مائــة مدينة، وبنصف دستة من اللغات. تنتهي القواعد وأنا ما زلت أقف في مركز الغرفة.

يصرخ الصوت من الظلام: "القتال المسجل رقم ١.. تقدما . أخلــوا مركز النادي". لا أتحرك. "أخلوا مركز النادي". لا أتحرك. الضــوء الوحــيد في الظلام ينعكس في مائة زوج من العيون، كلها تــتركز علــي وتنتظر. أحاول ان أرى كل رجل كما كان (تايلر) ســيراه. اختر أفضل المقاتلين للتدريب في (مشروع الأضرار). من ســيدعوه (تايلر) للعمل في شركة صابون (بيبر ستريت) ؟. "أخلوا

مركز النادي". هذا إجراء قتالي معتاد. بعد ثلاثة طلبات من الرئيس ســوف أطــرد من النادي. لكنني (تايلر دوردن). أنا اخترعت نادي القــتال. نادي القتال ملكي. أنا كتبت هذه القواعد، ولو لم أكن أنا لما كان أحدكم هنا. وأنا آمركم بإيقافه هنا !.

"اســتعدوا لطــرد العضــو خلال ثلاث .. اثنان .. واحد..". تــتقلص دائرة الرجال لتتزاحم فوقي، وتمسك مائتا ذراع بكل بوصة مــن ذراعــي وســاقي، وسرعان ما ارفع كنسر يفرد جناحيه نحو الضــوء. اســتعد لإفــراغ روحك خلال خمس .. أربع .. ثلاث .. اثنتان .. واحدة .. وأنتقل فوق الرءوس من يد ليد سابحاً نحو الباب. أنــا اطفــو .. أنا اطير.. أنا اصرخ : نادي القتال ملكي. (مشروع الأضــرار) كان فكرتي. لا يمكنكم طردي. أنا المتحكم هنا. عودوا لبــيوتكم. يــدوي صوت رئيس المجموعة: "القتال المسجل رقم ١.. تقدما إلى مركز النادي من فضلكما.. الآن". لن أرحل . لن استسلم. استطيع التغلب على هذا. أنا المسيطر هنا.

"أطــردوا عضــو نــادي القتال الآن !". أفرغ روحك الآن. وأطــير ببطء نحو الباب وإلى الليل ذي النجوم فوق رأسي والهواء الــبارد. واستقر فوق اسفلت ساحة الانتظار. تتراجع الأيدي ويغلق الــباب خلفــي. في مائة من المدن يدور القتال من دوني. لي اعوام

أريد أن أنام. أريد ذلك النوع من الانزلاق .. الاستسلام .. ذلك الجزء من النوم الشبيه بالسقوط .. الآن صار النوم آخر ما أريد.

مع (مارلا) في الغرفة 8G في فندق (ريجنت). بينما كل المسنين ومدمني المخدرات يغلقون عليهم حجراتهم الصغيرة، يبدو لي بشكل ما أن قنوطي أمر طبيعي متوقع.

تقول (مارلا) وهي تجلس القرفصاء على فراشها، وهي تمسك بنصف دستة من أقراص الإيقاظ اخرجتها من شريطها: "كنت على علاقة بشاب كان يعاني كوابيس مروعة. كان يكره النوم هو الآخر". ماذا حدث للفتى الذي كانت على علاقة به ؟. "أوه .. لقد مات... نوبة قلبية. زيادة في جرعة الأمفيتامين..". تقول (مارلا): "كان في التاسعة عشرة فحسب". شكراً لمشاركتي المعلومة.

عندما دخلنا الفندق، كان الفتى الجالس على منصة الاستقبال له شعر مزق نصفه إلى الجذور. فروة رأسه عارية مليئة بالقشور، وقد حياني. التفت كل المسنين الجالسين امام التلفزيون ليروا من هذا الذي يناديه الفتى بـ (سيدي). "مساء الخير يا سيدي". الآن أتخيله يتصل بقيادات (مشروع الأضرار) ليبلغهم بمكاني. كلهم لديهم خرائط للمدينة ولسوف يغرسون دبابيس ضغط في النقاط التي أوجد فيها. أشعر بأنني موسوم كأوزة مهاجرة في المملكة البرية. كلهم يتجسسون علي. تقول (مارلا): "يمكنك أن تأخذ ستة من هذه

الأقراص ولا تشعر بغثيان في معدتك. لكن عليك أن تأخذها عن طريق الشرج". أه . هذا ممتع. تقول (مارلا): "أنا لا أخترع هذا . ربما نأتيك بشيء أقوى فيما بعد. بعض العقارات الحقيقية مثل (كروس تويس) أو (الجمال الأسود) أو (التماسيح)". أنا لن أضع هذه الأقراص في شرجي. "إذن خذ اثنين فقط". ثم لأين نذهب ؟. "إلى صالة البولنج. إنها مفتوحة طيلة الليل، ولن يتركوك تنام هناك". أقول إن الناس في كل مكان نذهب له يحسبونني (تايلر دوردن).

"ألهذا تركنا سائق الحافلة نركب مجاناً ؟". نعم. ولهذا تخلى الرجلان في الحافلة عن مقعديهما. "إذن ما وجهة نظرك ؟". لا أحسب أن الاختباء كاف. يجب أن نتخلص من (تايلر) بطريقة ما. تقول (مارلا): "ذات مرة كنت على علاقة بشاب كان يحب ارتداء ثيابي. أنت تعرف .. الفساتين .. القبعات ذات الحجاب. يمكن ان ألبسك مثلي وأتسلل بك". أنا لست مصاباً بشذوذ ارتداء ثياب النساء، ولن اضع هذه الأقراص في شرجي. تقول (مارلا): "الأمور تسوء. ذات مرة كنت على علاقة بشاب أراد أن امثل مشهداً سحاقياً مع دميته الجنسية التي تنفخ بالهواء". تخيلت نفسي قصة من قصص (مارلا). ذات مرة كنت على علاقة بشاب يعاني من فصام شخصية. " ذات مرة كنت على علاقة بشاب يستعمل أجهزة تضخيم العضو الذكري تلك".

أسألها كم الساعة الآن. "الرابعة صباحاً". خلال ثلاث ساعات أخرى يجب ان اكون في العمل. تقول (مارلا): "خذ أقراصك. بما انك (تايلر دوردن) فعلى الأرجح سيتركوننا نلعب البولنج مجاناً. هيه .. قبل أن نتخلص من (تايلر) هل بوسعنا التسوق ؟. ربما حصلنا على سيارة جميلة. بعض الثياب. بعض الأقراص المدمجة".

(مارلا). "حسن .. انس الموضوع".

الفصل الثاني والعشرون

تلك المقولة القديمة التي تحكي كيف انك تقتل دوماً الشيء الذي تحب، صحيحة بالطريقة وعكسها. بالفعل صحيحة بالطريقة وعكسها. هذا الصباح ذهبت للعمل وكانت حواجز الشرطة ما بين البناية وساحة الانتظار، وكان رجال الشرطة يقفون على الباب الأمامي. لم أحاول مجرد الخروج من الحافلة. أنا (جو ذو العرق البارد). من الحافلة أرى النوافذ التي ترتفع من الأرضية إلى السقف في الطابق الثالث من بناية عملي، وقد انفجرت وبالداخل رجل إطفاء في معطف واق اصفر متسخ يفك لوحاً محترقاً يتدلى من السقف. منضدة متفحمة تخرج من النافذة، يدفعها رجلا إطفاء، فتهوي من ثلاثة الطوابق إلى الإفريز، ثم ترتطم بالأرض محدثة أثراً نفسياً أكثر من الصوت. تنفتح والدخان يتصاعد منها.

أنا (فم معدة جو). هذا مكتبي. أعرف أن رئيسي قد مات. ثلاث طرق لعمل النابالم. عرفت أن (تايلر) سيقتل رئيسي. وحين شممت رائحة الجازولين على يدي لحظة قلت إنني أرغب في ترك عملي، عرفت انني اعطيته الإذن. كن ضيفي وتكرم بقتل رئيسي. أعرف أن جهاز كمبيوتر انفجر. أعرف هذا لأن (تايلر) يعرف هذا.

لا أريد أن اعرف هذا لكنك تستعمل مثقاب الصائغ لتصنع فجوة في قمـــة شاشـــة الكمبـــيوتر. كل قردة الفضاء يعرفون هذا. لقد طبعت ملاحظات (تايلر). هذا طراز آخر من قنبلة المصباح الضوئي، حين تحدث ثقباً في المصباح ثم تملؤه بالجازولين. سد الفجوة بالسيليكون أو الشـــمع ثم أعد المصباح للدواية وانتظر حتى يأتي شخص للغرفة ويضيء النور.

أنـــبوب شاشة الكمبيوتر يمكنه أن يحوي كمية جازولين أكثر من المصباح. أنبوب أشعة الكاثود. تحتاج إلى إزالة البلاستيك حول الأنـــبوب وهذا سهل، أو تستعمل الواح التهوية في اعلى العلبة. أولاً تنزع قابس الشاشة. هذا أيضاً ينجح مع التلفزيون. فقط تذكر انه لو تصـــاعدت شـــرارة ــ مجرد كهرباء استاتيكية من السجادة _ فأنت ميـــت. ستحترق حياً وأنت تصرخ. أنبوب الكاثود يمكن أن يحتوي على ٣٠٠ فولت من الكهرباء الإيجابية لذا تستعمل مفكاً كبيراً عبر مكـــثف الكهـــرباء. إذا مت هنا فذلك لأنك لم تستعمل مفكاً معزولاً. هـــناك تفريغ داخل الكاثود لذا ما إن تصنع ثقباً حتى يمتص الأنبوب الهواء بصوت صفير. إبدأ في توسيع الثقب أكثر فأكثر حتى تستطيع إدخـــال قمـــع عبره. ثم املأ الأنبوب بما اخترته من سائل متفجر. الـــنابالم المنزلي جيد، ومن المتفجرات الجيدة برمنجنات البوتاسيوم مخلوطـــة بالســـكر الناعم. الفكرة هي خلط مادة تحترق بسرعة مع

مـــادة تمـــنح هذا الحريق الأكسجين الكافي. لو احترق بسرعة ينجم انفجـــار. بروكسيد الباريوم وغبار الزنك. نترات الأمونيوم ونشارة الألومنـــيوم. إنه كتاب طبخ الفوضويين الجديد. نترات الباريوم في صلصـــة مـــن الكبريت يتم تجميلها بالفحم. هذا هو بارودك الأولي. شهية طيبة ..

احش شاشة الكمبيوتر بهذا، وحين يشغلها البعض فمعنى هذا أن تـــنفجر ســـتة أرطال من البارود في وجوههم. المشكلة هنا أنني كنـــت أمـــيل نوعاً لرئيسي. لو كنت ذكراً وتعيش في أمريكا، وكان أبوك هو نموذجك للإله، فلربما وجدت أباك في مهنتك. لكن (تايلر) لـــم يحب رئيسي. سوف تبحث الشرطة عني. كنت آخر شخص في البـــناية لـــيلة الجمعة. صحوت من النوم لأجد أنفاسي متكاثفة على المكتب، و(تايلر) على الهاتف، يقول لي:

ــ"أخـــرج .. هـــناك سيارة تخصنا .. إنها (كاديلاك)". كان الجازولين على يدي. سألني ميكانيكي نادي القتال عما أتمنى لو كنت فعلـــته قـــبل أن أموت. أردت أن أهجر وظيفتي. كنت بهذا أعطي الإذن لـــ (تايلر). كن ضيفي وتفضل بقتل رئيسي.

مـــن مكتبـــي الـــذي انفجر، أركب الحافلة حتى نقطة العودة المرسومة بالحصى في نهاية الخط. هنا تتلاشى الطرق في الساحات الخالـــية والحقـــول المحروثة. يتناول السائق حقيبة غداء وترموس

ويـنظر لي في المرآة فوق رأسه. أحاول التفكير في مكان اذهب له حيـث لا يبحـث عنـي رجال الشرطة. أرى نحو عشرين شخصاً يجلسـون بينـي والسائق. أعد مؤخرة عشرين رأساً. عشرين رأساً حليقاً. يلتفت السائق نحوي حيث جلست في المقعد الخلفي ويقول:

ـ"مسـتر (دوردن).. أنا فعلاً أحترم ما تقوم به.. لم أرك من قبل لذا أرجو أن تسامحني على هذا". يقول السائق: "اللجنة تقول إن هـذه فكـرتك .. ". وتستدير الرءوس الحليقة واحداً تلو الآخر. ثم يقفـون واحـداً تلو الآخر. أقربهم لي يحمل سكين صيد. هذا الذي يحمل السكين هو ميكانيكي نادي القتال.

يقـول السـائق: "أنـت رجـل شجاع حتى تأخذ نصيبك من الواجبات المنزلية".

يقول الميكانيكي للسائق: "اخرس !.. لا يجب أن تقول شيئاً". أنـت تعـرف أن أحد قردة الفضاء معه ربطة مطاطية ليلفها حول خصيتيك. إنهم يملئون مقدمة الحافلة. يقول الميكانيكي: "أنت تعرف القـانون يـا مستر (دوردن). أنت قلتها بنفسك. لو حاول أحدهم أن يغلـق الـنادي حـتى أنـت فعلينـا أن نظفر بخصيتيه". منسلان.. بيضـتان.. جوهـرتان .. تخـيل افضل جزء منك مجمداً في كيس سـاندوتش بلاسـتيكي فـي شـركة صابون (بيبر ستريت). يقول الميكانيكي: "تعرف أنه لا جدوى من مقاومتنا". يراقبنا سائق الحافلة

فـي المرآة وهو يمضغ شطيرته. تعوي سرينة شرطة وهي تقترب. جـرار زراعـي يقعقع في الحقل عن بعد. طيور. نافذة في مؤخرة الحافلـة نصـف مفـتوحة. سحب. أعشاب تنمو فوق نقطة العودة المرسومة بالحصى. ذباب او نحل يطن حول الأعشاب.

يقـول ميكانيكـي نادي القتال: "تريد شيئاً ثانوياً صغيراً. هذه المرة ليس مجرد تهديد يا مستر (دوردن). هذه المرة سوف نقطعها فعلاً". يقول سائق الحافلة: "إنهم رجال الشرطة". تقترب السرينة من مكان ما عند مقدمة الحافلة. إذن بم أدافع عن نفسي ؟.

تـتوقف سيارة شرطة امام الحافلة، وأضواؤها تتألق حمراء وزرقاء عبر زجاج النافذة، وشخص ما خارج الحافلة يصيح:

ـ"توقـف هـناك !". لقـد نجوت. نوعاً ما. يمكن ان أحكي لـرجال الشـرطة عن (تايلر). سأخبرهم كل شيء عن نادي القتال ولـربما أسـجن. بعدهـا سيكون (مشروع الأضرار) مشكلتهم التي علـيهم حلها، ولن يكون علي التحديق في هذه السكين. يصعد رجال الشرطة إلى الحافلة ويسأل الشرطي الأول:

ـ"ألـم تقطعهمـا بعـد ؟". يقول الشرطي الثاني: "افعل هذا بسـرعة ..ثمـة أمر صدر باعتقاله". ثم ينزع قبعته ويقول لي: "لا يوجد شيء شخصي يا مستر (دوردن). إن لقاءك يسرني".

أقول إنكم جميعاً ترتكبون خطأً جسيماً. يقول الميكانيكي: "أنت اخبرتنا إنك على الأرجح ستقول هذا". أنا لست (تايلر دوردن). "قلت لنا إنك ستقول هذا أيضاً". أنا أغير القواعد. يمكنكم أن تحظوا بنادي قتال لكنكم لن تستأصلوا خصية أي إنسان ثانية. يقول الميكانيكي: "أجل .. أجل ..". لقد اجتاز نصف الممشى والسكين في يده. "قلت إنك بالتأكيد ستقول هذا". ليكن أنا (تايلر دوردن). أنا هو. ليكن أنا (تايلر دوردن). وأنا املي القواعد وأقول لك إرم هذه السكين.

ينادي الميكانيكي من فوق كتفه: "ما أفضل رقم قياسي حققناه في عملية (اقطع- و- اجر) ؟". يصيح أحدهم: " أربع دقائق". يصيح الميكانيكي: "هل يقوم أحدكم بحساب وقت هذه ؟". لقد صعد الشرطيان إلى مقدمة الحافلة الآن، وأحدهما يمسك بساعته ويقول: "ثانية واحدة.. انتظر حتى يبلغ العقرب الثاني رقم اثني عشر". يقول الشرطي: "تسع". "ثمان". "سبع".

أحشر جسدي عبر النافذة المفتوحة. تضرب معدتي الحاجز المعدني الرفيع للنافذة، ومن ورائي يصيح ميكانيكي نادي القتال: "مستر (دوردن).. أنت ستفسد التوقيت تماماً". ونصفي خارج النافذة أنشب أظفاري في الإفريز المطاطي الأسود الذي يحمي العجلة الخلفية. هناك من يمسك بساقي ويشد. أصرخ في الجرار الذي أراه عن بعد: "هيه !.. هيه!!". وجهي أحمر مليء بالدم وأنا أتعلق مقلوباً

لأسفل. أرتفع لأعلى لأن الأيادي حول كاحلي تجذبني ثانية. ربطة عنقي تطير أمام وجهي. تتعلق بكلة حزامي بحاجز النافذة. النحل والذباب والعشب على بعد بوصات من وجهي، وأنا أصرخ: "هييه !". أيد تتعلق بمؤخرة سروالي، تجذبني وتهز سروالي وحزامي فوق أردافي. أحدهم داخل الحافلة يصرخ: "دقيقة واحدة !".

ينزلق حذائي عن قدمي. تضم الأيدي ساقي معاً. حاجز النافذة الذي سخنته الشمس يخترق معدتي. يتدلى قميصي الأبيض حول يدي وكتفي. وما زلت أصرخ: "هييه!"

رجلاي مفرودتان مستقيمتان خلفي. سروالي انزلق عن رجلي واختفى. الشمس تلتمع دافئة على مؤخرتي. الدم يسيل على وجهي وعيناي تنفجران من الضغط. كل ما أراه القميص الأبيض حول وجهي. الجرار يقعقع في مكان ما. النحل يطن. وكل إنسان يبعد مليون ميل عني. وعلى بعد مليون ميل خلفي يصرخ احدهم: "دقيقتان !". وتنزلق يد بين رجلي وتفتش. ويقول أحدهم: "لا تؤلموه!". الأيدي الممسكة بكاحلي تبعد ملايين الأميال. أتصورها في نهاية طريق طويل طويل. تأمل موجه. لا تتخيل حاجز النافذة سكيناً ساخنة تشق معدتك. لا تتخيل فريقاً من الرجال يباعدون بين فخذيك. على بعد مليون ميل.. على بعد بزيليون ميل.. يد خشنة

دافئة تلتف حولك وتجذبك للداخل، وأحدهم يمسكك بقوة اكثر فأكثر. ربطة مطاطية.

أنت في أيرلندا. أنت في نادي القتال. انت في العمل. أنت في أي مكان لكن ليس هنا. ". احدهم يصرخ بعيداً بعيداً: "ثلاث دقائق!". أنت تعرف الأمر يا مستر (دوردن).. لا تعبث مع نادي القتال".

يـد دافـئة توضع تحتك كأنها قدح. طرف السكين البارد. يد تلتف حول صدرك. اتصال جسدي علاجي. وقت الأحضان. والأثير يوضع علىانفك وفمك. ثم لا شيء .. لا شيء ..

نسيان.

الفصل الثالث والعشرون

شـقتي التـي دمرها الانفجار سوداء بلون الفضاء الخارجي، مدمـرة قابعـة في الليل فوق اضواء المدينة الخافتة. أما وقد ذهبت الـنوافذ، فقد تدلى شريط الشرطة الأصفر الذي يحيطون به مسرح الجـريمة، يتلوى من حافة الهاوية في الطابق الخامس عشر. أصحو مـن نومي على الأرضية الخرسانية. كانت هذه أرضية من الخشب فـيما مضى، وكانت هناك لوحات على الجدران قبل الانفجار. كان هـناك أثـاث سويدي. كل هذا قبل (تايلر). أنا مرتد ثيابي الكاملة. اضع يدي في جيبي وأتحسس. لا توجد اعضاء ناقصة. خائف لكني سليم الجسد.

اتجـه إلى الحافة التي تطل من فوق خمسة عشر طابقاً على ساحة الانتظار. تأمل أضواء المدينة والنجوم .. عندها تضيع. كل هـذا صـار خلفنا. هاهنا – في أميال الليل التي تفصل بين الأرض والـنجوم – أشـعر كأنني واحد من حيوانات الفضاء تلك. كلاب .. قردة . بشر .. قم بعملك الصغير فقط.. اضغط زراً. اجذب رافعة. لا تفهـم حقـاً أياً مما تقوم به. العالم قد فقد صوابه. رئيسي مات.. بيتـي تلاشـى. وظيفتي ضاعت. وأنا مسئول عن هذا كله. لم يبق

شـــيء. سحبت اكثر من رصيدي في المصرف. اخطُ على الحافة. شــريط الشرطة يتأرجح ما بيني وما بين النسيان. اخطُ على الحافة. مــاذا عســاه يكون هناك أيضاً ؟. هناك (مارلا). اخطُ على الحافة. هــناك (مــارلا) وهـــي في قلب كل شيء لكنها لا تعرف هذا. إنها تحــبك. إنها تحب (تايلر). وهي لا تعرف الفارق. يجب أن يخبرها أحدهم. أخرج. أخرج. انقذ نفسك.

تركب المصعد إلى المدخل، والبواب الذي لم يحبك قط يبتسم لك الآن وقد فقد ثلاث أسنان من فمه، ويقول: "صباح الخير يا مستر (دوردن).. هــل أجلب لك سيارة أجرة ؟ هل أنت بخير ؟ هل تريد استعمال الهاتف ؟". تتصل بـــ (مارلا) في فندق (ريجنت). الموظف هــناك يقــول: "حـــالاً يا مستر (دوردن)". ثم تأتي (مارلا) للهاتف. الــبواب يصغي من فوق كتفك. الموظف في فندق (ريجنت) يصغي أيضـــاً على الأرجح. تقول: (مارلا) يجب أن نتكلم. تقول (مارلا): "اذهـــب للجحـــيم". تقول إنها ربما تكون في خطر. إنها تستحق أن تعـــرف مـــا يجري هنالك. يجب أن تقابلك. يجب أن تتكلما. "أين؟". فلتذهـــب إلـــى أول مكان التقينا فيه. تذكري. ارجعي بالذاكرة. كرة الضـــوء الشافية البيضاء. القصر ذو الأبواب السبعة. تقول: "فهمت. سأكون هناك بعد عشرين دقيقة". كوني هناك. وتضع السماعة فيقول الــبواب:"يمكن أن أجلب لك سيارة الأجرة يا مستر (دوردن). مجاناً

لأي مكان تريد". فتية نادي القتال يقتفون أثرك. تقول: لا .. الجو جميل الليلة وأحسبني سأمشي.

إنهـــا لـــيلة الســبت.. ليلة مجموعة سرطان القولون في قبو (فيرســـت ميثودست). و(مارلا) بانتظارك هنالك حين تصل. (مارلا ســينجر) تقلــب عينـــيها. (مارلا سينجر) بعينين يحيطهما السواد. تجلســـان علـــى البســـاط الوبري الخشن على ناحيتي دائرة التأمل، وتحـــاول ان تســـتدعي الحـــيوان رمز قوتك، بينما ترمقك (مارلا) بعيـــنها الســـوداء. تغمـــض عينـــيك وتتأمل في القصر ذي السبعة الأبـــواب. تهدهـــد الطفل في داخلك. ترمقك (مارلا). ثم يأتي وقت الاحتضان. افتح عينيك. يجب أن نختار رفيقاً لكل منا. (مارلا) تعبر الغرفة بثلاث خطوات سريعة، وتصفعني بعنف على وجهي. شارك نفســـك مـــع الآخريـــن كلـــية. (مارلا) تقول: "أنت يا قطعة القذارة اللعيـــنة!" حولنا يقف الجميع يحملقون. ثم تنهال علي قبضتا (مارلا) فـــي كل اتجاه. إنها تصرخ: "أنت قتلت شخصاً. لقد طلبت الشرطة ولسوف يكونون هنا حتماً في أية دقيقة".

أمســـك بمعصميها، وأقول: إن الشرطة قد تأتي لكن ربما لا تفعـــل. تتلوى (مارلا) وتقول إن الشرطة قادمة بسرعة إلى هنا كي تقيدنـــي إلى المقعد الكهربائي، سوف يخبزون عيني حتى تخرج من مكانهـــا، أو علـــى الأقـــل يعطوننـــي حقنة مميتة. سوف يبدو هذا

بالضبط كلدغة نحلة. جرعة كبيرة من فينوباربيتال الصوديوم وبعدها النوم الأكبر. كأنه مأوى الكلاب. (مارلا) تقول إنها رأتني اقتل شخصاً أمس. لو كانت تعني رئيسي فأنا أقول اجل أجل أجل. أعرف .. الشرطة تعرف.. الجميع يبحث عني كي يعطيني الحقنة المميتة، لكن (تايلر) هو من قتل رئيسي. أنا و(تايلر) لنا بالصدفة نفس البصمات لكن لا أحد يفهم. تقول (مارلا): "اذهب إلى الجحيم". وتدفع عينها المضروبة نحوي. "لأنك أنت وأتباعك تحبون أن تُضربوا. فقط إلمسني مرة واحدة ولسوف ينتهي أمرك". تقول (مارلا): "أنا رأيتك تطلق الرصاص على رجل أمس".

أقول كلا .. كانت قنبلة. وقد حدث هذا صباح اليوم. (تايلر) أحدث ثقباً في شاشة كمبيوتر ثم صب الجازولين أو البارود. كل القوم المصابين بسرطان القولون يقفون يراقبون هذا. تقول (مارلا): "لا. أنا اقتفيت أثرك إلى فندق (برسمان) وكنت تعمل ساقياً في إحدى حفلات ألغاز القتل تلك." حفلات ألغاز القتل.. الأثرياء يأتون للفندق لحفل عشاء كبير، ويمثلون نوعاً من قصص (أجاثا كريستي). وبين تقديم عصيدة السلامون ولحم الغزال، تنطفئ الأنوار لدقيقة ويتظاهر أحدهم بأنه قتل. موت مسل من طراز (دعونا نتظاهر بهذا). بقية العشاء يسكر الضيوف ويأكلون حساء الخضر، ويحاولون البحث عن أدلة تقودهم إلى أيهم هو القاتل المخبول. تقول

(مارلا): "أنت أطلقت الرصاص على مندوب العمدة للحفاظ على البيئة". (تايلر) أطلق الرصاص على مندوب العمدة لشيء ما. (مارلا) تقول: "وأنت لست مصاباً بالسرطان كذلك".

هكذا تجري الأمور بسرعة. فرقع بأصابعك وعندها ينظر لك الجميع. أصرخ فيها: أنت كذلك لست مصابة بالسرطان !. تصرخ (مارلا): "لقد ظل يأتي هنا عامين، وهو ليس مصاباً بشيء!". أنا احاول إنقاذ حياتك.

_"ماذا ؟.. ولماذا تحتاج حياتي إلى إنقاذ ؟". لأنك تقتفين اثري. لأنك اقتفيت اثري الليلة ولأنك رأيت (تايلر دوردن) يقتل شخصاً، و(تايلر) سوف يقتل أي شخص يتهدد (مشروع الأضرار). كل شخص في الغرفة يبدو وقد خرج من مأساته الصغيرة. موضوع سرطانهم التافه. حتى الذين يتعاطون أقراص علاج الألم المنومة ينظرون لنا بعيون متسعة متنبهة.

أقول للجمع: أنا آسف .. لم اقصد أي أذى. يجب أن نرحل . يجب أن نتكلم عن هذا في الخارج". هنا يصيح الجميع: "لا .. ابق !.. وماذا أيضاً ؟". أقول انا لم أقتل أحداً. أقول أنا لست (تايلر دوردن). إنه الجزء الآخر من شخصيتي المنفصمة. هل رأى احدكم فيلم (سيبيل) ؟.

تقــول (مارلا): "إذن من سيقتلني ؟. (تايلر) أم أنت ؟". أقول (تايلــر)، لكني استطيع أن أتولى أمر (تايلر). فقط خذي حذرك من أعضاء (مشروع الأضرار). ربما أعطاهم (تايلر) أمراً بأن يخطفوك أو أي شيء.

-"ولماذا يجب ان اصدق هذا ؟". هكذا تجري الأمور بسرعة. أقــول لأنني أحسبني أميل لك. تقول (مارلا): "إذن هو ليس حباً ؟". أقــول هذه لحظة مبتذلة بما يكفي. لا تتعجلي الأمور. الكل يراقبنا. يجــب أن أرحــل. يجب أن اخرج من هنا. أقول: خذي الحذر من الأشــخاص حليقــي الــرءوس أو الذين يبدون كأنما هم تلقوا علقة. عــيون ســود. أسنان مفقودة. هذا النوع من الأمور. تقول (مارلا): "إذن لأين تذهب ؟" .

يجب أن أتولى أمر (تايلر).

الفصل الرابع والعشرون

كــان اسمه (باتريك مادن)، وكان مندوب العمدة للحفاظ على البيــئة. كــان اســمه (باتريك مادن)، وقد كان عدواً لـــ (مشروع الأضــرار). أجول في الظلام حول بناية (فيرست ميثودست) فتعود لي الذاكرة كاملة. كل ما يعرفه (تايلر) يعود لذاكرتي. كان (باتريك مــادن) يجمــع قائمة عن البارات التي تعقد فيها أندية القتال. فجأة صــرت اعرف كيف اشغل آلة عرض سينمائي. أعرف كيف اهشم الأقفــال، وكــيف اســتأجر (تايلر) البيت في (بيير ستريت) قبل أن يكشــف عن نفسه لي على الشط. أعرف لماذا وجد (تايلر). (تايلر) كــان يحــب (مارلا). من الليلة الأولى للقائنا، أراد (تايلر) أو جزء منــي أن يكــون مع (مارلا). لا شيء من هذا يهم. ليس الآن. لكن التفاصــيل تعــود لي وأنا أمشي في الليل إلى أقرب نادي قتال. ثمة نــادي قتال في قبو (بار السلاح) في ليالي السبت. من المحتمل أن تجــده في القائمة التي يجمعها (مادن).. (مادن) الميت البائس. الليلة أذهــب لـــ ((بــار السلاح) فينشق الجمع لدى دخولي على طريقة سوســتة الثــياب. بالنســبة للجمــيع هنا أنا (تايلر دوردن) العظيم القــوي.. الإلــه والأب.. من كل صوب حولي اسمع: "مساء الخير

ســيدي".. "مرحــباً بــك فــي نادي القتال يا سيدي".. "شكراً على الانضمام لنا سيدي".

وجهي الوحشي بدأ يلتئم لتوه. الفجوة في خدي تبتسم. تقطيبة فــوق فمــي الحقيقي. لأنني (تايلر دوردن) ولأنه (طظ فيكم) فإنني أســجل نفســي لقــتال كل واحد في النادي الليلة. خمسون معركة. معركة واحدة في كل مرة. لا أحذية لا قمصان. تستمر المعارك ما دامــت يجــب أن تستمر. وإذا كان (تايلر) يحب (مارلا)، فأنا احب (مارلا). وما يحدث لا يمكن التعبير عنه بكلمات. أريد أن أخنق كل الشــواطئ الفرنســية التي لن أراها. تخيل أن تصطاد الوعول عبر الغابات الرطبة حول مركز (روكفلر).

فــي أول معركة أمسك بي الفتى في مقص (نلسون) كامل ثم راح يضغط وجهي .. يضغط خدي .. يضغط الفجوة في خدي على الأرض الخرســانية حــتى تحركــت اسناني من مكانها، وغرست جذورهــا المدبــبة في لساني. الآن اتذكر (باتريك مادن) ميتاً على الأرض . تمــثال صغير لزوجته وابنته الصغيرة ذات (الشنيون) في شــعرها. زوجــته ضحكت وحاولت ان تصب الشمبانيا بين شفتيه الميتتيــن. قالــت الزوجة إن هذا الدم المزيف أحمر جداً.. أكثر من الــلازم. ذاقت مسز (باتريك مادن) الدم. أتذكر أنني كنت هناك أقف خارج حفل لغز القتل، والسقاة الذين هم قردة فضاء يقفون للحراسة

مــن حولــي. (مارلا) في ثوبها الذي تتناثر عليه زهور سود كورق الحائط، تراقب من الناحية الأخرى من قاعة الرقص.

فــي معركتــي الثانية وضع الفتى ركبته ما بين لوحي كتفي. الفتى يجذب ذراعي معاً خلف ظهري، ثم يضرب صدري بالأرض الخرســانية. عظمــة ترقوتي .. اسمعها تتهشم على جانب. سوف أهشــم (إلجين ماربلز) بمطرقة وأمسح مؤخرتي بالموناليزا. رفعت مسز (باتريك مادن) إصبعين ملوثين بالدم، والدم يسيل في مجار بين اســنانها، ثم سال الدم على أصابعها.. على معصمها.. فوق السوار الماسي..ثم إلى كوعها حيث راح يتساقط في قطرات على الأرض .

القتال الثالث .. أصحو لأجد أن هذا هو القتال الثالث. لا مزيد من الأسماء في نادي القتال. أنت لست اسمك.. أنت لست أسرتك .. رقــم ثلاثــة يــبدو أنــه يعرف ما أريد، ويمسك برأسي في الظلام ويخنقني. هناك مسكة تعطيك فقط ما يكفي من الهواء كي تظل حياً. رقم ثلاثة يمسك برأسي في ثنية ذراعه، كأنه يمسك بطفل رضيع أو كــرة قــدم، ويدق رأسي بقبضته المطبقة. حتى تعض أسناني اللحم داخل خدي. حتى تلاقي الفجوة في خدي ركن فمي. يلتقي الشقان في شق واحد كبير يمتد من أذني لأنفي. رقم ثلاثة يضرب حتى تتعرى قبضته. حتى أبكي. كيف سيتخلى عنك كل من أحببت أو يموت. كل مــا خلقته سوف يلقى به بعيداً. كل شيء فخرت به سوف ينتهي في

القمامة. أنا (أوزيماندوس) ملك الملوك.. لكمة أخرى وتتغلق أسناني على لساني. يسقط نصف لساني على الأرض ويركل بعيداً. التمثال الصغير الذي يمثل مسز (باتريك مادن) وهي راكعة جوار جثة زوجها. الأثرياء ..الناس الذين يعتبرونهم اصدقاء يحتشدون حولها ثملين ويضحكون. الزوجة قالت: "(باتريك)!". بركة الدم تتسع وتتسع حتى تلمس تنورتها. تقول: "(باتريك).. هذا كاف .. كف عن الموت..".

الدم يتسلق تنورتها . الخاصية الشعرية. خيطاً بخيط يتسلق تنورتها. من حولي يصرخ رجال (مشروع الأضرار). ثم تصرخ مسز (باتريك مادن). وفي قبو (بار السلاح) يسقط (تايلر دوردن) على الأرض في فوضى دافئة. (تايلر دوردن) العظيم.. الذي وصل للاكتمال في لحظة والذي قال إن هذه اللحظة هي غاية ما تصبو إليه من الاكتمال. وتستمر المعارك لأنني أريد أن اموت. لأنه في الموت فقط نحظى بأسماء. فقط في الموت لا نعود جزءاً من (مشروع الأضرار).

الفصل الخامس والعشرون

يقف (تايلر دوردن) هناك.. غاية في الوسامة.. ملاكاً بطريقه (كل شيء اشقر) الخاصة به. رغبتي في الحياة تذهلني. أنا الذي صرت عينة من نسيج دموي في غرفتي بشركة صابون (بيير ستريت). كل شيء في غرفتي قد ولى. المرآة التي عليها صورة قدمي، يوم أصبت بالسرطان لمدة عشر دقائق. ما هو أسوأ من السرطان. لقد ذهبت المرآة. باب الخزانة مفتوح وقمصاني الستة البيض والسراويل السود والثياب الداخلية والأحذية قد ولت جميعاً. يقول (تايلر): "انهض".

خلف وداخل وتحت كل ما أخذته قضية مسلمة كان شيء مرعب ينمو. لقد تهاوى كل شيء. تم إخلاء قردة الفضاء. كل شيء أعيد توزيعه، بما فيه الدهن المشفوط والأسرّة والمال .. وبخاصة المال. لم تبق إلا الحديقة والبيت المستأجر. يقول (تايلر): "آخر ما سنقوم به هو موضوع استشهادك. موتك العظيم". لن يكون هذا كما الموت الحزين المفعم بالكآبة، بل سيكون موتاً مفرحاً باعثاً على الأمل. أوه يا (تايلر).. أنا أتألم .. اقتلني هنا. "بل انهض". اقتلني .. اقتلني .. اقتلني ..

يقول (تايلر):" يحب أن يكون ضخماً. تخيل هذا: فوق أعلى بناية في العالم. يستولي (مشروع الأضرار) على البناية كلها. الدخان يخرج من النوافذ. المكاتب تهوي على الناس المتزاحمين في الشارع. أوبرا موت حقيقية .. هذا ما ستحظى به". أقل لا. لقد استغللتني بما يكفي. "لو لم تتعاون سنطارد (مارلا)". أقول له إذن تقدمني إلى حيث تريد. يقول (تايلر): "أخرج بحق الجحيم من الفراش الآن. وضع مؤخرتك في السيارة اللعينة".

لذا أقف أنا و(تايلر) على قمة بناية (باركر موريس) والمسدس في فمي. نحن في آخر عشر دقائق لنا. لن تكون بناية (باركر موريس) هنا بعد عشر دقائق. أعرف هذا لأن (تايلر) يعرف هذا. ماسورة المسدس تلتصق بمؤخرة حلقي، و(تايلر) يقول: "لن نموت".

أتحسس ماسورة المسدس بلساني وألصقها بخدي السليم، وأقول: (تايلر).. انت تفكر في مصاصي الدماء. هذه آخر ثمان دقائق لنا. المسدس هنا في حالة ما إذا وصلت طائرات هليكوبتر الشرطة أولاً. يبدو المنظر كأنه رجل وحيد يضع مسدساً في فمه، لكن (تايلر) هو الذي يمسك بالمسدس وهذه حياتي أنا. خذ ٩٨% من حمض النتريك المدخن، وأضفه لثلاثة اضعاف الكمية من حمض الكبريتيك. لقد صار عندك النيتروجلسرين. سبع دقائق. اخلط النيترو

بنشارة الخشب وسوف تحصل على مفجر بلاستيكي جيد. أكثر قردة الفضاء يمزجون النيترو بالقطن ثم يضيفون أملاح (الإبسوم) كمصدر للكبريتات. هذا أيضاً ينجح. بعض القردة يستعملون البارافين، لكن البارافين لم ينجح معي قط. أربع دقائق. أنا و(تايلر) على حافة السطح والمسدس في فمي .. أتساءل عما إذا كان المسدس نظيفاً. ثلاث دقائق. ثم يصرخ احدهم: "انتظر !".

هذه (مارلا) قادمة نحونا عبر السطح. (مارلا) قادمة نحوي أنا لأن (تايلر) قد اختفى. (تايلر) هلوستي انا لا هلوستها. (تايلر) قد اختفى سريعاً كحيلة مشعوذ. الآن انا مجرد رجل يدس مسدساً في فمه. تصرخ (مارلا): "لقد اقتفينا اثرك. كل الناس من مجموعة مساندة المرضى. لا تفعل هذا.. ألق بالمسدس".

خلف (مارلا) كل سرطانات القولون وكل طفيليات المخ وكل مرضى سرطان الجلد الأسود ومرضى الدرن، يمشون ويعرجون ويدفعون مقاعدهم نحوي. إنهم يقولون: "توقف". أصواتهم تصل لي على الريح الباردة وهم يقولون: "توقف" و"بوسعنا أن نساعدك". "دعنا نساعدك".

وعبر السماء يأتي صوت الـ(ووب ووب) المميز لهليوكوبتر الشرطة. أصرخ ابتعدوا. اخرجوا من هنا. هذه البناية ستنفجر. تصرخ (مارلا): "تعرف هذا". تبدو اللحظة كعيد الظهور

الخـــاص بي. أنا لا أقتل نفسي .. أنا أقتل (تايلر). أنا (جو العنيف). أتذكر كل شيء.

تصرخ (مارلا): "ليس هذا حباً ولا أي شيء.. لكن أعتقد انني أميل لك". دقيقة واحدة. (مارلا) تميل لـــ (تايلر). (مارلا) تصرخ : "لا . بـــل اميل لك أنت. أنا اعرف الفارق بينكما". ولا شيء ينفجر. فوهـــة المسدس ملتصقة بخدي السليم. اقول (تايلر) .. أنت مزجت النيـــترو بالبارافين . أليس كذلك ؟. البارافين لا ينجح أبداً. يجب أن أفعل هذا.

طائرات هليوكوبتر الشرطة. أجذب الزناد.

الفصل السادس والعشرون

فـــي بيت أبي هناك منازل كثيرة. بالطبع حينما جذبت الزناد لقيت حتفي. كذاب. وقد مات (تايلر).

مـــع طائـــرات الهليوكوبـــتر الخاصة بالشرطة تهدر نحونا، و(مـــارلا) وكل مجموعة المساندة التي لم تستطع أن تساعد نفسها، وكلهم يحاول أن ينقذني، كان علي أن أجذب الزناد. كان هذا أفضل من الحياة الحقيقية. ولحظتك المكتملة تلك لا تستمر للأبد.

كـــل شيء في السماء أبيض في أبيض. مزيف. كل شيء في الســـماء هـــادئ والأحذيـــة مكسوة بالمطاط. أستطيع النوم هنا في الســـماء. الـــناس يكتبون لي ويقولون إنهم لن ينسوني. إنني بطلهم. ســـوف أتحسن. الملائكة هنا من طراز ملائكة العهد القديم. فيلق له ملازمـــون، و حشد سماوي يعمل في ورديات. وردية الليل. يجلبون لـــك الطعـــام على صينية ومعها كوب ورقي به الدواء. طاقم ألعاب وادي الدمى (*).

(*) من الواضح طبعاً أنه في مستشفى الأمراض العقلية، وإن اعتبر أن هذه هي السماء. لكني اضطررت لتخفيف بعض المقاطع في هذا الفصل فقط لأنها لا تخلو من تجديف لا شك فيه.

يسألونني "لماذا ؟ ". لماذا سببت كل هذا الألم ؟. ألم أفهم ان كــلاً منا كسفة ثلجية مقدسة متميزة في خصوصيتها ؟ ألا أرى أننا جميعاً مظاهر للحب ؟

أنا لا أرى أننا متميزون. لكننا لسنا قمامة ولا مخلفات كذلك. نحن نحن فحسب. وما يحدث لنا يحدث فحسب.

أتذكــر كــل شـــيء. خروج الرصاصة من مسدس (تايلر)، وكــيف مزقت خدي الآخر لترسم لي ابتسامة من أذن لأذن. أجل .. كيقطينة (الهالوين) الغاضبة. كعفريت ياباني. كتنين جشع.

(مارلا) ما زالت على الأرض وهي تكتب لي. يوماً ما – كذا تقــول – ســوف يعيدونني. ولو كان هناك هاتف في السماء لطلبت (مــارلا) ولحظـــة ان تقول: "آلو" لن اضع السماعة. "مرحباً.. ماذا يحــدث؟.. قــل لي كل التفاصيل الصغيرة". لكني لا أريد أن أعود. لــيس بعــد. لسبب ما. لأنه من حين لآخر يجلب لي أحدهم صينية الغداء وعليها الغداء، وعينه مسودة أو جبينه منتفخ من أثر الخياطة، ويقــول: "نفــتقدك يا مستر (دوردن)". أو يدفع رجل ذو أنف مهشم الممســحة بجــواري ويهمس: "كل شيء يسير طبقاً للخطة. سوف نحطم الحضارة حتى نصنع من العالم شيئاً أفضل". ويهمس :" نحن نتطلع لاستعادتك ".

تمت

Mico Mark